مكتبة مصر

محمد

صلى الله عليه وسلم

توفيق الحكيم

SS

توفيق الحكيم

محمد

صلى الله عليه وسلم

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

SS

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية)	١٩٣٦
٢ ــ عودة الروح (رواية)	١٩٣٣
٣ ــ أهل الكهف (مسرحية)	١٩٣٣
٤ ــ شهر زاد (مسرحية)	١٩٣٤
٥ ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية)	١٩٣٧
٦ ــ عصفور من الشرق (رواية)	١٩٣٨
٧ ــ تحت شمس الفكر (مقالات)	١٩٣٨
٨ ــ أشعب (رواية)	١٩٣٨
٩ ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية)	١٩٣٨
١٠ ــ حمارى قال لى (مقالات)	١٩٣٨
١١ ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)	١٩٣٩
١٢ ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة)	١٩٣٩
١٣ ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)	١٩٤٠
١٤ ــ حمار الحكيم (رواية)	١٩٤٠
١٥ ــ سلطان الظلام (قصص سياسية)	١٩٤١
١٦ ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة)	١٩٤١
١٧ ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات)	١٩٤٢
١٨ ــ بجماليون (مسرحية)	١٩٤٢
١٩ ــ سليمان الحكيم (مسرحية)	١٩٤٣
٢٠ ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل)	١٩٤٣
٢١ ــ الرباط المقدس (رواية)	١٩٤٤

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هايتمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د. إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ويندر ونشر دار ماكملان — لندن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَلْ إنمّا أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يوحَى إلّى .... ﴾

[قرآن كريم]

المقـــدمة

بيـــان

المألوف فى كتب السيرة أن يكتبها الكاتب ، سارداً باسطاً ، محللا معقباً ، مدافعاً مفنداً !...

غير أنى يوم فكرت فى وضع هذا الكتاب قبل نشره عام ١٩٢٦ م ألقيت على نفسى هذا السؤال :

« إلى أى مدى تستطيع تلك الطريقة المألوفة أن تبرز لنا صورة بعيدة ـــ إلى حد ما ـــ عن تدخل الكاتب ؟... صورة ما حدث بالفعل ، وما قيل بالفعل دون زيادة أو إضافة ، توحى إلينا بما يقصده الكاتب أو بما يرمى إليه ؟... »

عندئذ خطر لى أن أضع السيرة على هذا النحو الغريب . فعكفت على الكتب المعتمدة والأحاديث الموثوق بها ، واستخلصت منها ما حدث بالفعل وما قيل بالفعل . وحاولت ـــ على قدر الطاقة ـــ أن أضع كل ذلك فى موضعه كما وقع فى الأصل ، وأن أجعل القارئ يتمثل كل ذلك ؛ كأنه واقع أمامه فى الحاضر ، غير مبيح لأى فاصل ـــ حتى الفاصل الزمنى ـــ أن يقف حائلا بين القارئ وبين الحوادث ، وغير مجيز لنفسى التدخل بأى تعقيب أو تعليق ، تاركا الوقائع التاريخية ، والأقوال الحقيقية ترسم بنفسها الصورة .

كل ما صنعت هو الصب والصياغة فى هذا الإطار الفنى البسيط ؛ شأن الصائغ الحذر ، الذى يريد أن يبرز الجوهرة النفيسة فى صفائهـــا الخالص ، فلا يخفيها بوشى متكلف ، ولا يغرقها بنقش مصنوع ، ولا يتدخل إلا بما لا بد منه ؛ لتثبيت أطرافها فى إطار رقيق لا يكاد يرى .

هذا ما أردت أن أفعل :

فإذا اتضح للناس ـــ بعد هذا العمل ـــ أن الصورة عظيمة حقا ؛ فإنما العظمة فيها منبعثة من ذات واقعها هى ، لا من دفاع كاتب متحمس ، أو تفنيد مؤلف متعصب ...

المنظر الأول

(على أطمة بـ « يثرب » .... الوقت ليل ...)

يهودى : (يصرخ بأعلى صوته) يا معشر يهود !

(جماعة من « يهود » يقبلون ، ويجمعون إليه)

الجماعة : ويلك !... مالك ؟...

اليهودى : (يشير إلى السماء) انظروا !... انظروا !...

الجماعة : (يتطلعون إلى السماء) ماذا ؟....

اليهودى : (يشير إلى السماء) طلع الليلة نجم . « أحمد » !...

المنظر الثانى

(« عبد المطلب » بجوار الكعبة ...)

امرأة : (تجرى نحوه تصيح) أبشر يا « عبد المطلب » !... أبشر !...

عبد المطلب : ماذا ؟...

المرأة : جاءت آمنةُ بولد ، لا ككل الوِلْدان !...

عبد المطلب : ولد ؟...

المرأة : لقد نظَرت ــ وهو يَخرجُ منها ــ أن قد خرجَ منها نور ، رأت به قصورَ « بُصْرَى » من أرض الشام !!...

عبد المطلب : « فى فرح » إنها والله للرُّؤيا التى رأيتُ ... هلمِّى بنا !...

المرأة : أىُّ رؤيا ؟...

عبد المطلب : ألم أرَ فى منامى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى لها طرَف فى السماء وطرف فى الأرض ، وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب

ثم ؛ كأنها شجرة ، على كل ورقة منها نور ؛ وإذا أهْل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ويحمَدونها ؟!...

المرأة : فَلْتُسم المولودَ « محمداً » !...

عبد المطلب : (فى فرح) نعم ! وَلألْتمس له المراضع ؟...

المرأة : هلمَّ فانظر إليه !...

(يذهبـان مسرعين)

المنظر الثالث

(فى سوق « عكاظ » ... « حليمة » مرضع « محمد » بين نسوة ، وهى تحمله على صدرها ، وعلى مقربة منها : أتانها ، وشاة لها) ...

إحدى النسوة : من هذا الصبى ؟...

حليمة : هو يتيم لا أب له ولا مال !...

المرأة : إنا لنرجو أن يكون مباركاً ...

حليمة : إنه لكذلك ، ولقد رأينا بركته ..

المرأة : كيف ذلك ؟...

حليمة : كنت لا أروِى ابنى من لبَنى فهو وابنى الآن يَروِيَان ، ولو كان معهما ثالث لرَوِى !... لقد أمرتْنى أمه أن أسألَ عنه !!...

المرأة : ها هنا فى السوق عرَّافٌ من « هذيْل » يُريه الناس صبيانهم ...

حليمة : نعم !... لأعرضنَّه على عراف « هذيل » وأسأله عنه !...

المرأة : (**تشير إلى مكان فى السوق**) هلمى بنا إليه ... إنه جالس فى مكانه ...

(تنهض حليمة بمحمد ، وتتجه إلى العراف)

حليمة : أيها العراف !... انظر إلى هذا الصبى وأخبرنى عنه !...

العراف : (**ينظر وجه محمد**) ابن مَن هذا ؟...

حليمة : هو يتيم لا أب له !...

العراف : (**يصيح**) يا معشر « هذيل » !... يا معشر العرب !....

(**يجتمع إليه الناس من أهل الموسم** ...)

الناس : مالك ؟... ما للك ؟..

العراف : اقتلوا هذا الصبى !...

حليمة :(**تتسل بـ « محمد »**)واولداه ...

الناس : (**يلتفتون ، ولا يرون شيئاً**) أى صبى ؟...

العراف : (**يلتفت حوله باحثاً عن « حليمة »**) هذا الصبى ... اقتلوه !... اقتلوه !...

(**الناس لا يرون شيئا** ... ...)

المنظر الرابع

(**صومعة « بحيرا » الراهب « ببصرى » من أرض الشام** ....)

بحيرا : (**ينظر من صومعته إلى ركب مقبلين**) هذا ركب تجار قريش ... عجباً !... ماذا أرى فيه ؟... قد تغير هذا العام ؟!... كثيراً ما يمرون بى فلا أرى ما أرى !...

(**ينهض إليه خادمه « نسطاس »**... ...)

نسطاس : ماذا ترى ؟...

بحيرا : انظر تلك الغمامة التى فوق القوم !...

نسطاس : (**ينظر**) نعم !... إنها تُظل غُلاماً بين القوم !...

بحيرا : هذه الغمامة لا تظل إلا نبياً !...

نسطاس : نبياً ؟ ... أترى هو الذى حدثتنى عنه ؟...

بحيرا : أكبر ظنى ... لقد آن أوانه !...

نسطاس : (**ينظر**) هذا الغلام ...

بحيرا : فلنتبين الأمر !... يا « نسطاس » !... اصنع طعاماً للقوم !...

نسطاس : (**يسرع إلى ما أمر به**) نعم !.

بحيرا : (**ينادى**) يا معشرَ قريش !... إنى قد صنعت لكم طعاماً ، وأحب أن تحضروا كلكم ؛ صغيرُكم وكبيرُكم عبدُكم وحرُّكم !...

أبو طالب : (**من بين القوم**) والله يا « بحيرا » إن لك لشأناً اليوم !... ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟؟...

بحيرا : صدقت ... قد كان ما تقول ؛ ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرِّمكم ، وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم !...

(**يجتمعون إليه ، ويتخلف الغلام محمد ...**)

أبو طالب : (**لبحيرا الذى ينظر فى القوم باحثاً**) مالك تنظر فى القوم ؟... عمن تبحث يا « بحيرا » ؟...

بحيرا : يا معشرَ قريش !... لا يتخلَّفَنَّ أحد منكم عن طعامى !...

الجميع : يا « بحيرا » ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك ، إلا غلاما ، هو أحدث القوم سنّاً ، فتخلف فى رِحالهم ...

بحيرا : لا تفعلوا ... ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم !...

رجل من قريش : واللات والعُزَّى إنه لَلُؤم بنا أن يتخلف ابنُ « عبد الله بن عبد المطلب » عن طعام من بيننا !...

(يقوم إليه فيحتضنه ويجلسه مع القوم ...)

بحيرا : **(يلحظ « محمداً » لحظا شديداً)** ادن منى أحدِّثك !...

(ثم يقوم ، وينتحي به ناحية ، بعيداً عن القوم)

بحيرا : **(لـ « محمد » هامساً)** يا غلام !... أسألك بحق اللات والعُزّى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه !...

محمد : لا تسألنى باللات والعزى شيئاً ... فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما..(*)

بحيرا : فبالله إذن ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه !...

محمد : سَلْنى عما بدا لك ...

بحيرا : أتحب العُزلة ؟...

محمد : نعم !...

بحيرا : أتتأملُ فى السماء والنجوم ؟...

محمد : نعم !...

بحيرا : أتلعَب مع الغلمان كما يلعبون ؟...

محمد : كلاَّ !...

بحيرا : أترى فى نومكَ رؤى تصدُق فى يقظتك ؟...

محمد : نعم !...

بحيرا : **(يقبل على « أبا طالب »)** يا « أبـا طـالـب » !... يـا « أبـا

(*) يلاحظ أن الكلام الذى على لسان النبى ، فى هذا الكتاب هو كلام تاريخى ، وردت نصوصه فى كتب معتمدة ، هى على سبيل الحصر : سيرة ابن هشام وتفسيرها للسهيلى ، وطبقات ابن سعد ، والإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتاريخ الطبرى ؛ وصحيح البخارى ، وتيسير الوصول ، والشمائل للترمذى وللبيجورى . وكذلك الوقائع الواردة فى هذا الكتاب كلها صحيحة مروية فى الكتب السابق ذكرها . على أن ترتيب هذه الوقائع وتنسيقها ، لم يتبع فيه النظام الزمنى المعروف فى كتب التاريخ لما هو مفهوم من أن هذا الكتاب ليس عملا تاريخيا ولا علمياً ، وإنما هو عمل فنى .

طالب » !...

أبو طالب : (**فى دهشة**) ما شأنك يا « بحيرا » ؟...

بحيرا : (**مشيراً إلى محمد**) خبّرنى ، ما هذا الغلام منك ؟...

أبو طالب : ابنى !...

بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ...

أبو طالب : إنه ابن أخى !..

بحيرا : وما فعل أبوه ؟...

أبو طالب : مات وأمه حُبلى به !...

بحيرا : (**فى شبه همس**) صدقتَ ... ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ؛ فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغُنَّه شراً ؛ فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، نجده فى كتبنا وما رويناه عن آبائنا ...

أبو طالب : (**متعجباً**) شأن عظيم لابن أخى هذا !؟...

بحيرا : نعم ... إن وجهه وجه نبى ، وعينَه عينُ نبى !...

أبو طالب : نبى ؟... وما النبى ؟..

بحيرا : هو الذى يوحى إليه من السماء ، فينبىءُ به أهلَ الأرض ...

المنظر الخامس

(قبائل « قريش » مجتمعة عند الكعبة ... أعرابى وراع يرعى غنمه على مقربة منهم)

الأعرابى : (**مشيراً إلى المجتمعين**) من هؤلاء ؟...

الراعى : تلك قبائل قريش يختصمون ...

الأعرابى : فيم يختصمون ؟...

الراعى : فى بناء الكعبة ... كل قبيلة تريد أن تضع حجر الركن دون الأخرى ...

الأعرابى : أرى واللات أنهم يتحاورون ويتحالفون ويُعدون للقتال ...

الراعى : أجل ... مررتُ بهم الساعة أسوق غنمى ، فوجدت « بنى عبد الدار » قد قربت جفنة مملوء دماً ، ثم تعاقدوا هم و « بنو عدى » على الموت ... وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم !...

الأعرابى : (**يسرع بالانصراف**) هلمَّ بنا قبل أن يستفحل الخطب ...

(**أبو أمية بن المغيرة ينهض فى « قريش »**)

أبو أمية : يا معشر قريش !... احقنوا دماءكم ، واجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ...

قريش : رضينا !...

أبو أمية : (**يلتفت**) أرى غلاماً داخلا !...

قريش : (**صائحين**) هذا الأمين ... ! هذا « محمد » !...

أبو أمية : أترضَوْن حكمه ؟...

قريش : نعم !...

أبو أمية : (**صائحاً**) يا « محمد » !... تعلم أنا كنا قد أجمعنا رأينا على بنيان الكعبة !... وأن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم شيدناها حتى بلغ البنيان موضع الركن كما ترى ، فاختصمنا فيه : كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى كاد ينشَبُ بيننا القتال ... وقد رأينا الآن أن نحتكم إليك فى أمره ، فاحكم بيننا بما ترى !...

محمد : هلمَّ إلىّ ثوباً !...

أبو أمية : ائتوه بثوب ...

(**يحضرون ثوباً فيتناوله « محمد » ، ويفرشه على الأرض ، ويأخذ حجر الركن ، فيضعه فيه بيده** .....)

محمد : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً !...

أبو أمية : (**معجباً فرحا**) مرحى !... مرحى !...

(**يمر بهم شيخ غريب** ....)

الشيخ : (**صائحاً بهم**) يا معشر قريش !... أرضيتم أن يضع هذا الركنَ وهو شرفكم ، غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟!...

أبو أمية : (**فى غضب**) منْ هذا الرجل ؟...

قريش : هذا شيخ من « نجد » !...

أبو أمية : بل إنه الشيطان ... اغرب أيها الرجل ... لا شأن لك بما نحن فيه ... إن هذا الغلام اليتيم لخليق أن يجمعَ رأىَ العرب يوماً ، وأن يوحِّد الناس ...

المنظر السادس

(**فى دار « أبى طالب »** ....)

أبو طالب : (**لمحمد**) يا ابن أخى !... أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عيرُ قومك ، وقد حضر خروجُها إلى الشام !... و « خديجةَ بنت خُويلدٍ » تبعث رجالا من قومك فى مالها ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك ...

محمد : ما أحبَبْت !...

أبو طالب : (**ينظر إلى الباب**) ها هو ذا غلامها مَيْسَرَة !...

ميسرة : (**يدخل**) مولاتى قد أرسلتنى إلى « محمد الأمين » تعرض عليه الخروجَ فى تجارتها إلى الشَّام وتعطيه ضعفَ ما تعطى رجلاً من قومه ...

أبو طالب : (لميسرة) وما حَملهَا على ذلك ؟!...
ميسرة : قد سمعتْ بأمانتِه وحسن خلقه !...
أبو طالب : (يلتفت إلى « محمد » فرحاً ....) يا « محمد » !... هذا رزق قد ساقه الله إليك !...

المنظر السابع

(فى دار « خديجة بنت خويلد » ، وهى مع « نفيسة بنت منبه » و « ميسرة ».)

ميسرة : (لخديجة) لقد ربحت تجارتُك يا مولاتى ضعف ما كانت ترَبح !...
نفيسة : إنه الأمين !... أو لمْ يدْعوه بالأمين !...
ميسرة : بل إنَّهُ النبى !...
خديجة : نبى ؟!...
ميسرة : نعم ... لقد باع سلعتَه فوقع بينه وبين رجل تلاَحٍ فقال له : احلف باللاَّت والعُزَّى ، فقال « محمد » : ما حلفت بهما قط !... وإنى لأمر فأعرض عنهما ، فقال الرجل : القول قولُك ، ثم همس لى : هذا والله نبىٌّ يجدُه أحبارُنا منعوتاً فى كتبهم ...
خديجة : (كالمخاطبة لنفسها) نبى !... نعم ... تُحسُّ نفسى ذلك !...
نفيسة : (لخديجة) ماذا بك ؟!...
خديجة : (متفكرة) يا « نفيسة » ؟!...
نفيسة : لبيْك !...
خديجة : انطلقى إلى « محمد » فاذكرينى له !...
نفيسة : (فى عجب) أنت ؟... إنك أوسطُ « قريش » نسباً ، وأعظمهم

شرفاً ، وأكثرهم مالا ... إن كلَّ قومك حريص على زواجك لو قدر على ذلك ... وقد طلبك أكابر « قريش » وبذلوا لك الأموالَ فلم تفعل ...

خديجة : انطلقى إلى « محمد » فاذكرينى له !..

المنظر الثامن

(... **عند « محمد »** ....)

نفيسة : (**لمحمد**) يا « محمد » !... ما يمنعك أن تتزوجَ ؟...

محمد : ما بيدى ما أتزوج به !!...

نفيسة : فإن كُفيتَ ذلك . ودُعيتَ إلى الجمال والمال والشرف ... ألا تجيب ؟...

محمد : فمن هى ؟...

نفيسة : « خديجة » !

محمد : (**فى دهش** ...) « خديجة بنت خويلد » ؟!...

نفيسة : نعم !..

محمد : (**فرحا**) وكيف لى بذلك ؟؟...

نفيسه : (**فى ابتسامة**) عَلَىَّ !...

محمد : (**فى فرح وبلا تردد**) فأنا أفعل !...

الفصل الأول

المنظر الأول

(... « غار حراء » .... راعيان يرعيان .. الغنم على مقربة من الغار ...)

الراعى الأول : (**لصاحبه مشيراً إلى الغار**) أترى هذا الغار ؟...

الراعى الثانى : (**ينظر إلى حراء ...**) نعم !...

الراعى الأول : لقد أبصرته كثيراً يخلو به ؛ فيتعبَّدُ فيه !...

الراعى الثانى : وحدَه ؟...

الراعى الأول : نعم وحده !...

الراعى الثانى : (**يلتفت إلى بطن الوادى**) انظر !...

الراعى الأول : ماذا ؟..

الراعى الثانى : إنه مقبل ...

الراعى الأول : (**ينظر ملياً**) نعم إنه متَّجِه إلى الغار !...

الراعى الثانى : إن معه زاده !...

الراعى الأول : نعم ... إنه يتزود لذلك !...

الراعى الثانى : اختبئ كى لا يبصرنا !...

(يختفيان فى الوادى .... محمد يسير إلى الغار فى صمت ، ويضع زاده بمدخله ، ثم يسجد طويلا ...)

محمد : (**ناظراً إلى السماء**) ألم يأنِ لى أن أرى وجهك الذى أشرقت له الظلمات ؟..

الراعى الأول : (**لصاحبه فى همس**) أرأيت ؟...

الراعى الثانى : نعم !...

الراعى الأول : إنه يلبث كذلك متحنثًا الليالى الطِّوال !...

الراعى الثانى : ألا ينام ؟!...

الراعى الأول : لعله ينام ، وهو فى موضعه هذا !...

الراعى الثانى : إنَّ فعله ينفُذ إلى قلبى ...

الراعى الأول : هلم بنا !...

(**يذهبان** ....)

محمد : ياربَّ هذا الكون !... يا خالق السموات !.. يا خالق الشمس والقمر والنجوم !... يا خالق هذه الأرض وهذه الجبال !... يا ربى وخالقى وخالق الكائنات !... أريد وجهَك !... أريدُ وجهَك !...

(**يرى ضوءاً غريباً ، ويسمع صوتاً عجيباً ، ويهبط عليه الوحى** ...)

الوحى : يا « محمد »!...

محمد : (**يأخذه ذعر**) من هذا ؟!...

الوحى : يا « محمد » أنا « جبريل »!!...

محمد : ماذا أسمع ؟!.. ماذا أسمع ؟!...

جبريل : أنا « جبريل » يا « محمد » !...

محمد : جبريل !؟...

جبريل : (**يدنى كتاباً فى نمط من ديباج** ...) اقرأ !...

محمد : (**يأخذه رعب**) ما أقرأ !!...

جبريل : (**يغته بالكتاب**) اقرأ !!...

محمد : (**وقد بلغ منه الجهد**) ما أقرأ !!...

جبريل : (**يغته**) اقرأ !....

محمد : ماذا أقرأ ؟...

جبريل : ﴿ اقرأ باسم ربِّكَ الذى خلق * خلق الإنسانَ من علق * اقرأ وربُّك الأكرم * الذى علَّم بالقلم * علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾

المنظر الثانى

(فى دار « محمد » ، « خديجة » بقرب الباب ، « محمد » يدخل على « خديجة » وبه روع شديد ....)

خديجة : (**تستقبله**) أين كنت ؟... لقد بعثتُ رسلى فى طلبك حتى بلغوا « مكة » ورجعوا إلىّ !...

محمد : (**مرتعداً**) زمِّلونى !... زمِّلونى !...

خديجة : (**فى خوف**) ماذا بك ؟!...

محمد : زمِّلونى !... زمِّلونى !...

خديجة : (**صائحة فى الدار**) الدثار ، أسرعوا بالدثار !...

محمد : (**يجلس**) زمِّلونى !...

(تأتى جارية بدثار ، فتناوله « خديجة » على عجل ....)

خديجة : (**وهى تدثر « محمداً » فى قلق وارتياع**) رحمة بى خبِّرنى بأمرِك !...

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) ملَك من السماء !...

خديجة : رحمةً وغَفْراً ... ماذا أسمع ؟... ماذا تقول ؟..

محمد : إنى إذا خلوتُ وحدى سمعتُ نداء خلفى : يا « محمد » !... يا « محمد » !... فأنطلق هارباً فى الأرض ... واليوم ....

خديجة : (**فى قلق**) واليوم ؟؟..

محمد : مَلكا من السماء !... رأيت اليوم مَلكا هبط علىّ وكلمنى وسمعتُ صوتَه !..

خديجة : (**تصغى إليه ملياً**) ملكا ؟!...

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) قال لى : يا « محمد » ، أنا « جبريل » ، وأقرأنى من كتابٍ معه فى نمط من ديباج !...

خديجة : جبريل ؟!... (**تطرق متعجبة مفكرة**) ...

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) لقد خشيت على نفسى !..

خديجة : (**ترفع رأسها**) كلا !... والله ما يُخزيكَ الله أبداً !.

محمد : يا « خديجة » !... والله ما أبغضتُ بغضَ هذه الأصنامِ شيئاً قط ، ولا الكهان !...

خديجة : هوِّن عليك !...

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) إنى أرى ضوءاً ، وأسمع صوتاً وإنى لأخشى أن أكون كاهناً !...

خديجة : كلا يا ابنِ عم ... لا تقل ذلك !.. إن الله لا يفعل ذلك بك أبداً !.. إنك لتصلُ الرَّحِمَ ، وتصدقُ الحديثَ وتؤدِّى الأمانة !.. وإن خُلُقَك لكريم !!...

محمد : إنَّ بى خشية مما حدث لى !...

خديجة : هَلم إلى ابن عمى « ورقة » نقص عليه ما رأيتَ وسمعت ؛ فهو نصرانىٌ قد قرأ الكتب ، وسمع من أهل « التوراة » و « الإنجيل » ...

المنظرَ الثالث

(... **عند « ورقة بن نوفل » ... وهو شيخ كبير أعمى ..... « ... « محمد » و « خديجة » بين يديه**)

خديجة : (**لورقة وقد فرغ « محمد » من حديثه**) أسمعتَ من ابنِ أخيك ؟..

ورقة : (**مطرقاً مفكراً**) نعم !...

خديجة : وماذا ترى ؟...

ورقة : (**يرفع رأسه فى قوة**) قُدُّوس قُدُّوس !.. والذى نفس « ورقة » بيده لقد جاءه « الناموس الأكبر » الذى كان يأتى « موسى » !... (**يلتفت صوب محمد**) ليتنى أكون حياً ، إذ يخرجك قومُك !...

محمد : (**فى عجب**) أوَ مخرِجىَّ هم ؟...

ورقة : لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودِىَ ... وإن يدركْنى يومك أنصرك نصراً مؤزَّراً...

المنظر الرابع

(... « **محمد** » و « **خديجة** » **فى دارهما** .)

خديجة : (**لمحمد**) يا ابن عم !... أتستطيعُ أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟...

محمد : نعم !...

خديجة : فإذا جاءكَ فأخبِرنى به !...

(**يرى الضوء ، ويسمع الصوت فيصيح**)

محمد : يا « خديجة » !... ها هو ذا !... ها هو ذا !...

خديجة : « جبريل » ؟..

محمد : (**يهبط عليه الوحى ، فيضطرب ، ويتغير صوته**) نعم !.. « جبريل » قد جاءنى ... (**فى همس واضطراب**) إنه أمامى الآن ...

خديجة : (**فى شبه همس**) قم يا ابنَ عمِّ ؛ فاجلس على فخذِى اليسرى !... (**يجلس كما قالت** ....)

محمد : (**همساً**) لماذا ؟...

خديجة : (**هامسة**) ستعلم ... هل تراه ؟...

محمد : (**ينظر إلى جبريل**) نعم !...

خديجة : تحوَّلْ فاجلس على فخِذى اليمنى !...

(**يفعل كما قالت** ......)

محمد : (**همسا**) قد فعلت !...

خديجة : هل تراه ؟...

محمد : (**ينظر إلى جبريل**) نعم !...

خديجة : تحول واجلس فى حجرى !..

محمد : (**مترددا**) فى حجرك ؟!...

خديجة : افعل ... هل تراه ؟...

محمد : (**يجلس ثم ينظر إلى جبريل**) نعم !...

خديجة : (**تنحسر وتلقى خمارها**) هل تراه الآن ؟...

محمد : (**ينظر فلا يرى جبريل**) لا !...

خديجة : (**صائحة فى فرح**) يا « ابن عم » !... اثبُت وأَبشر !... فو الله إنه لملكٌ ، وما هو بشيطان ؛ إذ لو كان شيطاناً لما استحيا ...

(... **محمد ينهض من جوار خديجة وتعود هى إلى خمارها فيبدو جبريل من جديد ويدنو من محمد ؛ فيرتعد ؛ ويتصبب جبينه عرقا !**)

محمد : (**مرتجف الصوت**) خديجة !...

خديجة : (**تراه ، فتهرع إليه**) ما لك يا ابن عم ؟!...

محمد : إنى ...

خديجة : (**فى قلق وخوف**) مالكَ ترتعد ، وما لجبينك يتفصَّد عرقا ؟...

محمد : دثِّرونى !... دثِّرونى !...

خديجة : (**تدثره سريعا ، وتهمس**) هوِّن عليك !...

جبريل : (لمحمد ، ولا يسمعه غير محمد) ... ﴿ يأيُّها المدثر !... قم فأنذر ، وربَّك فكبر ، وثيابك فطهرْ ، والرجز فاهجـر ، ولا تمنُنْ تستكثر ، ولربك فاصبر !.. ﴾

المنظر الخامس

(فى شعاب مكة ... محمد يصلى ومعه صبى صغير ، هو ابن عمه على بن أبى طالب ... الراعيان يبصرانهما عن كثب ....)

الراعى الأول : (**لصاحبه**) لقد كان يتعبد وحده ، فتبعه اليوم آخر !...

الراعى الثانى : هذا الذى يتبعه صبى حديث السن !!...

الراعى الأول : يخيَّل إلىّ أن هذا الصبى قد خرج معه مستخفياً من أهله !...

الراعى الثانى : (**يلتفت**) انظر ؟...

الراعى الأول : (**ينظر إلى حيث أشار صاحبه**) هذا « أبو طالب » !...

الراعى الثانى : كأنه يبحث عن شىء !...

الراعى الأول : لقد اتجه صوبَ المتعبِّدين ...

(أبو طالب يعثر بمحمد وعلى ، وهما يصليان ، فيتأملهما لحظة فى صمت ...)

أبو طالب : (**يدنو منهما**) يا محمد !... ما تصنع هنا ...

محمد : (**وقد فوجئ**) أى عم ؟... إنى ...

أبو طالب : إنك تصلى وتتعبد !...

محمد : نعم يا عم !...

أبو طالب : خبِّرنى يا ابن أخى !!... ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟...

محمد : أى عم !... هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ،

ودين أبينا « إبراهيم » بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت — أى عمِّ — أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهُدى ، وأحقُّ من أجابنى إليه ، وأعاننى عليه !..

أبو طالب : أنا ؟!...

محمد : نعم !...

أبو طالب : يا ابن أخى !.. إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى ، وما كانوا عليه ... ولكن والله لا يخلصْ إليك شىء تكرهه ما بقيتُ !...

على : (**يتقدم إلى أبيه**) أبتاه ...

أبو طالب : (**يلتفت إلى على**) وأنت يا بنى ؟!... ما هذا الدِّين الذى أنتَ عليه ؟..

على : يا أبت !... آمنت بالله ، وبرسول الله ، وصدَّقْتُه بما جاء به ، وصليت معه لله ، واتبعته !...

أبو طالب : (**متعجبا**) أنتَ أيضاً ؟!...

على : نعم يا أبت !...

أبو طالب : (**يتفكر قليلا**) أما إنه لم يدعُكَ إلا إلى خيرٍ فالزمْه !...

المنظر السادس

(**عند أبى بكر — وقد جلس إليه عثمان بن عفان** .....)

أبو بكر : (**لعثمان**) والله يا « عثمان » ما دعانى « محمد » إلى دينه حتى أجبت ، ما نظرت فيه وما ترددت !...

عثمان : إنك يا « أبا بكر » رجل صادق ، وإنَّا لنحبك ونألفُكَ لعلمك وخلقك ، ولا أُحبُّ إلى نفسى من أن أتَّبع الدينَ الذىَ اتبعتَ ...

أبو بكر : إنه دين الحق !...

عثمان : إن الأمين لم يكذبْ قطُّ !...

أبو بكر : نعم ... إن « محمداً » لم يكذبْ قط !...

عثمان : إن ما جاء به ، وما قصصتَ عليّ قد أضاء قلبي بنور كأنه نور الضحى !...

أبو بكر : نعم !... إنه النور الذى يهدى السبيل ؛ لقد دخل دارى فأضاء قلوبَ أهلِه الصالحين جميعِهم ، حتى غلامي « بلال » !...

عثمان : اللهمَّ إنّى على هذا الدين !...

أبو بكر : (**ينهض به مغتبطا**) قم بنا إلى « محمد » !...

المنظر السابع

(**محمد على جبل الصفا ، بين يدى جبريل ...**)

جبريل : ﴿ أنذِرْ عَشيرَتك الأقربين * واخفِضْ جناحَك لمن اتبعَكَ من المؤمنين * وقل إنى أنا النذيُر المبين * فاصدَعْ بما تؤمَرُ ... وأعرض عن المشركين !.. ﴾

(**يرتفع عنه الوحي ......**)

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) سأَصدَعُ بما أُمِرتُ ، سأَصدَعُ بما أمرت ...

(**ينهض..............**)

(**يمر به أعرابى ....**)

الأعرابى : يا هذا !... ما يُبقيك ها هُنا وحدَك بعيداً عن القوم ؟!...

محمد : (**لا يجيب ، ويتجه إلى الناس مناديا**) يا معشرَ قريشٍ !...

(**يقبلون ، ويتجمعون إليه ، وفى مقدمتهم عمه أبو لهب**)

أبو لهب : ما لك محمد ؟...

محمد : ادنوا منى أُكلِّمكم !...

قريش : تكلم !...

محمد : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدِّقونى ؟

قريش : نعم !... أنت عندنا غير مُتَّهم ! وما جرَّبنا عليك كذِباً قط ...

محمد : إذَن فاسمعوا !...

قريش : قل !...

محمد : إنى نذيرٌ لكم بين يدىْ عذابٍ شديد !... يا « بنى عبد المطلب » يا « بنى عبد مناف » يا « بنى زهرة » يا « بنى تميم » يا « بنى مخزوم » ، يا بنى « أسد » !... إن الله أمرنى أن أنذِرَ عشيرتىَ الأقربينَ ، وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرةِ نصيباً إلا أن تقولوا : « لا إله إلا الله ... »

أبو لهب : تبًّا لك سائرَ هذا اليوم !... ألهذا جمعتنا ؟..

الناس : (**ساخرين**) ألهذا جمعتنا ؟!..

أبو لهب : تفرَّقوا — أيها الناسُ — عن هذا المجنون الضالِّ !...

محمد : ما أعلم إنساناً فى العرب ، جاء قومَه بأفضلَ مما جئتُكم به ؛ قد جئتكم بخيرِ الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى ربى أن أدعوَكم إليه ؛ فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ؟... وأن يكون أخى ووصيِّ وخليفَتى فيكم ؟؟...

قريش : (**تبتعد عنه ساخرة**) ... لا أحد !... لا أحد !...

أعرابى : نعم ... لا أحدَ يؤازرُك على هذا ، حتى ولا كلب الحىّ !...

على : (**يتقدم ويصيح بصوته الصغير**) أنا يا رسولَ الله عَونُك !... أنا حربٌ على من حاربْتَ ...

أعرابى : (**مشيراً إلى على**) أهذا كلُّ جيشك يا « محمد » ؟!...

(**يضحك ويضحك معه الناس ...**)

أبو لهب : (**للصبى على ...**) تبًّا لك ، ولمن اتبَّعتَ !..

الأعرابى : تبًّا لهما من ضَالِّين !...

(تنصرف قريش مستهزئة بمحمد وبالصبى على)

(... محمد يقف لحظة مطرقا مدحوراً وإلى جانبه على دامع العينين ....)

محمد : **(يرفع رأسه ويتلو فى غيظ)** ﴿ تَبَّتْ يَدا « أبى لهب » وتب !... ما أغنى عنه ماله وما كسَب ، سيصلى ناراً ذات لهب !... ﴾

المنظر الثامن

(رجال من أشراف قريش مجتمعون فى الكعبة ، وهم : أبو جهل وأبو سفيان ، وأمية بن خلف وغيرهم ...)

أبو جهل : أسمعتم بخبر هذا الدِّين الذى جاء به هذا الرجل ؟...

أمية : **(يشير إلى أصنام الكعبة)** محمد ؟... إنه يبغض آلهتنا هؤلاء !...

أبو سفيان : ولقد اتبعه بعض القوم ، وإنهم ليستخفون بصلاتِهم فى شعاب مكة ...

أبو جهل : لقد علمتُ أن « محمداً » قد اتبعه « أبو بكر » ، و « عثمان بن عفان » و « سعد بن أبى وقاص » وآخرون ، وأن « سعداً » استخفى البارحةَ فى نفر من أصحاب « محمد » فى شِعب من شعابِ « مكة » فظهر عليهم نفر من قومنا وهم يصلُّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم ، فضرب « سعد » رجلا من قومنا بِلحى بَعيرٍ فشجه ...

أبو سفيان : إنها لفتنة يحدثها « محمد » !...

أمية : بل هى بدعة يحْدِثها فى العرب « بنو عبد مناف »!..

أبو سفيان : لعلهم يريدون أن يظهروا ، ويذهبوا بها فضلا على العرب كافة !...

أبو جهل : (**صائحا**) هذا لن يكون ... لقد تنازعنا نحن و « بنو عبد مناف » الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وَحَملوا فحَملنا ، وأعطَوا فأعطَينا ، حتى إذا تحاذْينا على الرُّكبِ ، وكنا كفرسَىْ رهان ؛ — قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء !... فمتى ندرك مثلَ هذه ؟!... كلا ... ، واللات لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدِّقه ...

أمية : نعم ، واللات لا نؤمن به أبداً !...

أبو سفيان : هلموا إلى « أبى طالب » نكلمه فى أمر ابن أخيه ، قبل أن يستفحل الخطْب !...

أبو جهل : نعم ، هلموا بنا !...

(**ينهضون** ....)

المنظر التاسع

(**فى دار أبى طالب ، وهو جالس مع أبى جهل وأبى سفيان وأمية الخ ...**)

أبو جهل : يا « أبا طالب » إن لكَ سِناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإن ابنَ أخيك قد عابَ ديننا ؛ فإما أن تكفّه عنَّا ، وإما أن تخليَ بيننا وبينه ؛ فإنك على مثلِ ما نحنُ عليه من خلافِه ، فنكفيك أمرَه !...

أبو طالب : يا بَنى قومى !... يعظم علىَّ فراقكم وعداوتكم ، غير أنى لا أطيب نفساً بإسلام ابن أخى لكم ... ولا خذلانِه !...

أبو سفيان : لى رأى ، أتسمعُ منى ؟...

أبو طالب : قل يا « أبا سفيان » !..

أبو سفيان : ما دمتَ لا تريد خذلان ابن أخيك ، فهذا « عمارة بن الوليد » أنهدُ فتىً فى قريش وأجْمَلهُ ؛ فخذهُ ، فلك عقله ونصرهُ ، واتَّخِذْه ولداً فهو لك ، وأسلم إلينا ابنَ أخيك ، هذا الذى قد خالفَ دينَك ودينَ آبائك . وفرَّقَ جماعة قومك — فنقتله ؛ فإنما هو رجلٌ برجل !...

أمية : نعْمَ الرأى ..

قريش : (**كلهم فى صوت واحد**) نِعمَ الرأى !... نِعمَ الرأى !...

أبو طالب : والله لبئس ما تسوموننى !... أتعطوننى ابنَكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟.. هذا والله ما لا يكون أبداً ...

أبو جهل : والله يا « أبا طالب » لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهُه ، فما أراك تريد أن تقبلَ منهم شيئاً ...

أبو طالب : والله ما أنصفونى ، ولكنكَ قد أجمعتَ خذلانى ومظاهرةَ القوم على ، فاصنعْ ما بدا لك !...

أبو جهل : (**فى غضب**) هلموا بنا !... هلموا !...

(**ينصرف معه جماعة قريش ... ويبقى أبو طالب مطرقا مفكراً محزونا ..**)

محمد : (**يقبل عليه**) عماه !... مالك ؟...

أبو طالب : (**متغير الصوت**) يا ابنَ أخى !... إن قومك قد جاءونى فى أمر هذا الدين الذى جئت به ، وأجمعوا على فراقى وعداوتى ؛ فأَبقِ علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلنى من الأمر ما لا أطيق ...

محمد : (**فى قوة وعزم**) يا عمُّ !... والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهرَه الله أو

أهلِكَ فيه ؛ — ما تركتُه ...

(لا يتمالك فيستعبر باكيا ...)

أبو طالب : **(يرق له)** أتبكى ؟...

(محمد يذهب منصرفا ....)

أبو طالب : **(يناديه)** أقبل يا ابن أخى !...

محمد : **(يقبل)** أخاذلى أنت ؟...

أبو طالبِ : **(فى عزم وقوة)** كلا ، اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ؛ فوالله لا أسلمُك لشىء أبداً ...

المنظر العاشر

(محمد واقف على منازل القبائل من بنى عامر فى موسم الحج ....)

محمد : يا « بنى عامر » !... إنى رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أبين عن الله ما بعثنى به !...

(يأتى أبو لهب من خلفه ...)

أبو لهب : يا « بنى عامر » !... إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُخوا اللات والعزَّى من أعناقكم ، وخلفاءَكم من الجن إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ؛ فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه !...

(غلام من بين الناس المستمعين ، يسأل أباه هامسا .....)

الغلام : مَن هذا الرجل يا أبت ؟...

والد الغلام : **(همسا)** هذا فتى من قريش يزعم أنه نبى !..

الغلام : ومن هذا الذى يتبعه ، ويردُّ عليه ما يقول ؟!...

والد الغلام : هذا عمُّه « عبد العزَّى ، أبو لهب » !...

ابن فراس : (**وهو أحد الناس ، يقول لمن معه معجبا بمحمد**) إن هذا الفتى يريد أن يحدث حدثاً فى العرب !...

أعرابى : (**فى إعجاب**) نعم ... إنه لفتًى !...

ابن فراس : نعم !.. انظر إلى عينيه وما يَشعُّ فيهما من عزْم وقوة ؟!...

الأعرابى : إنه يتكلم كلام المستوثق من أمره المؤمن بما يقول !...

ابن فراس : (**كالمخاطب نفسه ، ناظراً إلى محمد**) نعم ... والله ، لو أنى أخذت هذا الفتى من « قريش » لأكلت به العرب !...

(**يتقدم ابن فراس إلى محمد** .....)

الأعرابى : (**لابن فراس**) أين ؟... أتذهب إليه ؟...

ابن فراس : (**صائحا**) يا محمد !... أرأيتَ إن نحنُ تابعْناك على أمرك ، وأظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمرُ من بعدك !...

محمد : (**يلتفت إلى ابن فراس**) الأمر إلى الله ، يضعه حيث يشاء !...

ابن فراس : (**فى غضب**) حيث يشاء !؟... أفنُهدِف نُحورنا للعرب دونَك ، فإذا أظهركَ الله كان الأمر لغيرنا ؟... كلا ... لا حاجة لنا بك ... انصرفوا عنه أيها الناس !!...

(**ينصرف عن محمد مع الناس ، ويبقى محمد وحيداً حزينا** .....)

المنظر الحادى عشر

(نفر من قريش فى حى من أحياء مكه بينهم الوليد بن المغيرة وأبو لهب ......)

الوليد : يا معشر قريش ؟... إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدُم عليكم فيه ، وقد سمِعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمِعُوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا ، فيكذِّبَ بعضُكم بعضاً ، ويردَّ قولَكم بعضُه بعضاً ...

أبو لهب : فأنت يا « أبا عبد شمس » ؛ فقل وأقِم لنَا رأياً نقلْ به !...

الوليد : بل أنتم ؛ فقولوا أسمعْ !...

أبو لهب : نقولُ كاهن ؟!...

الوليد : لا واللاتِ ماهو بكاهن ... لقد رأينا الكهان ؛ فما هو بزمزَمَـةِ الكاهنِ ، ولا سجعِه !...

أبو لهب : نقول مجنون ؟!...

الوليد : ما هو بمجنون !... لقد رأينا الجنون وعرفناه ؛ فما هو بخنْقِه ، ولا تخالُجِهِ ، ولا وسوسته !...

أبو لهب : نقول شاعر ؟!...

الوليد : ما هو بشاعر !... لقد عرفنا الشعر كلَّه ، رجزَه وهزَجَه ، وقريضَه ومقبوضَه ومبسوطه ؛ فما هو بالشعر !...

أبو لهب : نقول ساحر ؟!...

الوليد : ما هو بساحر !... لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم فما هو بنفْثِهم ، ولا عقَدِهم !..

قريش : **(صائحين فى حيرة)** فما نقول يا « أبا عبد شمس » ؟؟..

الوليد : واللات إن لقوله لحلاوة !... وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ... إن أقربَ القول فيه أن تقولوا هو ساحر ، جاء بقول ، هو سحرٌ يفرِّق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته !...

المنظر الثانى عشر

(أشراف قريش مجتمعون فى حجر الكعبة)

أبو سفيان : أوَ ينزل الوحى على هذا الرجل وأُترَكَ وأنا كبير قريش وسيدها ، ويتركَ « أبو مسعود ، عمرُو سيد « ثقيف » ؟..

أبو جهل : أو تصدِّق أنه ينزل عليهِ وحىٌ يا « أبا سفيان » ؟.. إنه لساحر فرَّق جماعتنا وسبَّ آلهتنا !..

أبو سفيان : لو أن عمَّه « أبا طالب »أسلمه إلينا ؟!... لكنه لا يريد أن يسلِمَه لشىء أبداً !!...

عقبة بن أبى معيط : إن ذِكره قد بلغ المدينة !...

أبو جهل : وغداً يبلغ ذكرُه بلادَ العرب كلَّها ...

أمية بن خلف : أعلِمتم أنه يعرِضُ نفسه فى المواسم على قبائل العرب ، يدعوهم إلى دينه ؟...

عقبة : نعم ... وإنه ليزعم لهم أن بعدَ الموت بعْثاً وجنة يدخلها من تابَعه ... وناراً يصْلاها منخالفه !...

أبو جهل : إنك جالستَه وسمعت منه ؛ لقد بلغنى ذلك يا « عقبة »!... وإن وجهى من وجهك حرام إن أنت

جلست إليه ، أو سمعت منه أو تأته — فَتْفُل فى وجهه !...

عقبة : سأتفل فى وجهه !...

أبو سفيان : (**ينظر إلى الكعبة**) صه !.. هو مقبل !...

أبو جهل : (**ينظر**) نعم ، وخلفه صاحبه « أبو بكر » !...

أمية : (**ينهض**) انظروا حتى أُغمزَه ببعض القول !...

أبو جهل : اَفعل !...

أمية : (**يلتقط من الأرض عظما باليا ، وقد أرَمَّت ، ويعترض محمداً**) يا محمد !... أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أَرَمَّ ؟؟!...
(**ثم يفته بيده ، ثم ينفخه فى وجه النبى ، فيمسح النبى عن وجهه ما أصابه ، بينما تضحك قريش ضحكا عاليا** ....)

أبو بكر : (**فى حزن ، أصفر الوجه ، خافت الصوت**) رحمتَك اللهُمَّ ؟..

محمد : (**يلتفت إلى أمية**) نعم ... أنا أقول ذلك ... يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يُدخلك الله النار !...

أمية : (**يدنو من محمد**) أتقول : يبعثنى الله ربك بعدما أكونُ هكذا ؟؟..

محمد : نعم !...

أمية : (**يضحك ملء فمه**) يبعثنى بعدما أكون مثلَ هذه العظام التى أَرَمَّت ؟!...

محمد : (**يتلو**) : « وضرب لنا مثلاً ، ونسى خلقه ، قال : مَن يحيى العِظامَ وهى رَمِيمٌ ؟!.. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة، وهو بكلِّ خلق عليمٌ ، الذى جعلَ لكم من الشجرِ الأخضرِ ناراً ؛ فإذا أنتم منه توقدون !... »

أمية : (**متخبثا**) يا محمد!.. هَلُمَّ فلنعبد ما تعبد، وتعبُد ما نعبد، فنشتركَ نحن وأنتَ فى الأمر؛ فإن كان الذى تعبدُ خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا

بحظنا منه ، وإن كانَ ما نعبد خيراً مما تعبد كنتَ قد أخذتَ بحظك منه ؟..

محمدِ : (**يتلو**) ﴿ قل يا أيُّها الكافرون ! * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم ، * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دينِ ! ﴾..

عقبة : (**يدنو من النبي**) نعم !... لنا ديننا وهو خير من دينك هذا ...

(ثم يتفل فى وجه النبي ، فلا يحرك النبي ساكنا ، ويصفـر وجهه .....)

أبو بكر : (**همسا وقد أخذته رعدة**) اللهُمَّ عونَكَ !...

محمد : (**يتلو**) ﴿ ويوم يَعَض الظالم على يديه ، يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً !.. ﴾

(**ينصرف** .....)

أبو جهل : (**صائحا**) أنتركه بعد أن عَابَ آلهتَنا ؟!...

عقبة : (**فى نفر من قريش ينهضون إلى النبى**) يا محمد !... أنت الذى تقول إن إلهك خيرٌ من آلهتِنا ؟...

محمد : (**يلتفت إليه**) نعم أنا الذى أقول ذلك !...

عقبة : (**للرجال**) لا تدعوه !...

(عقبة ونفر من قريش يقومون إلى محمد ، ويأخذ كل رجل منهم بمجمع ردائه ...)

أبو بكر : (**صائحا مرتاعا**) ماذا تريدون به ؟... ماذا تريدون به ؟...

عقبة : (**للرجال**) اقتلوه !...

أبو بكر : (**يقوم دون النبي باكيا**) أتقتلون رجلا أن يقولَ ربى الله ؟..

(يفدى محمداً بنفسه ، فيمسكون بـه ويصدعـون رأسـه ، ويجذون لحيته .)

أبو سفيان : (**ضائحا**) دعوا « محمداً » !... هذا عمه « حمزة » متوشحاً قوسه ، راجعاً من قنصه !...

(**الرجال يتركون محمداً وأبا بكر يذهبان لشأنهما** ....)

أمية : (**يلتفت**) « حمزة » أعزُّ رجالِ قريش !... أين ؟... (**يبصر حمزة مقبلا**) نعم ... إنه إذا رجع من قنصه ، لا يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة !..

أبو جهل : إنه ليس على دين ابن أخيه ...

عقبة : أوَ قد تبعَ هذا الفتى الضالَّ إلا السفهاء والغلمان !...

(**يقبل حمزة عم النبى متوشحا قوسه**)

امرأة : (**تعترض حمزة وتقول له همسا**) يا أبا عمار !...

حمزة : ما لك ؟..

المرأة : (**هامسة**) لو رأيتَ ما لقى ابنُ أخيك « محمدٌ » من « أبى الحَكَم » وأصحابِه !!... رأوه ها هنا الساعة ، فآذَوْهُ وسبُّوه وبلغُوا منه ما يكره ، ثم انصرف عنهم « محمد » ولم يكلِّمهُم !...

حمزة : (**فى عينيه الغضب**) أفَعَلوا به هذا ... وأنا عمه ؟!...

(**ثم يلتفت ، فيرى القوم ، فيتجه إليهم**)

أمية : (**همسا لأصحابه**) إن « حمزة » مقبل نحونا !...

أبو جهل : (**فى شىء من الرهبة**) أرَى فى عينيه ...

أمية : نعم !... إنه البَأس !...

حمزة : (**فى غضب لأبى جهل**) ماذا لقى أبن أخى منك يا « أبا الحكم » ؟...

أبو جهل : إنك لغاضب ؟!...

حمزة : أتشتمه ؟!...

أبو جهل : وما يَعنِيك من أمره ؟...

حمزة : (**فى صيحة شديدة**) ما يعنينى من أمرِه ؟!... أنا على دينهِ أقول ما يقول ، فرد ذلكَ علىّ إن استطعْتَ !..

(**ثم يرفع قوسه ، ويضرب بها أبا جهل فيشجه شجة منكرة .....**)

عقبة : (**صائحا**) أيها الرجال !... قوموا إليه !... قوموا إليه !...

(**نفر من قريش ، يقومون لنصرة أبى جهل**)

أبو جهل : (**لأصحابه فى هدوء**) دعوا «أبا عمارة» !.. فإنا واللات قد سَبينا ابن أخيه سبّاً قبيحاً ...

المنظر الثالث عشر

(**محمد جالس وحده فى المسجد وأشراف قريش مجتمعون عن كثب يتهامسون ..**)

قريش : ما الرأى فى « محمد » ؟ إن عمه « أبا طالب » يمنعه وينصره علينا ؟...

عتبة بن ربيعة : أجل !... ولا قِبل لنا « بأبى طالب » !...

أبو جهل : ما رأيت مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل !.. إنى لأخشى أن يتابعه بعض رءوس القوم ، فيعز ويمتنع ، ويفشو أمره فى القبائل ...

أبو سفيان : ما أحسبه يا « أبا الحكم » إلا نائلا منا إن تركناه فيما هو فيه ؛ فلقد أسلم بالأمس « حمزة » ، وهو أعزُّ فتى فى قريش !...

قريش : وما الرأى ؟...

عتبة : (**تبدو له فكرة**) : يا معشر « قريش » ألا أقوم إلى « محمد »

فأكلمه وأعرض عليه أموراً ؛ لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيّها شاء ، ويكفّ عنا ؟...

قريش : بلى يا « أبا الوليد » !.. قم إليه فكلمه !...

(يقوم عتبة إلى محمد ويجلس إليه)

عتبة : **(للنبي)** يا ابن أخى ! إنك منا حيث قد علمت : من السلطة فى العشيرة ، والمكان فى النَّسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم ؛ فرّقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعِبْت به آلهتهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم ؛ فاسمع منى أعرضْ عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبلُ منى بعضها !....

محمد : قل يا « أبا الوليد » أسمعْ !...

عتبة : يا ابن أخى !... إن كنت إنما تريد — بما جئت به من هذا الأمر — مالاً ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفاً ... سودناك علينا ؛ حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكاً ، ملّكناك علينا ؛ وإن كان هذا الوحى الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك ؛ طلبنا لك الطِّب ، وبذلنا فيه أموالنا ؛ حتى نُبرئك منه !...

(يسكت عتبة وينظر إلى النبى ...)

محمد : أقد فرغت يا « أبا الوليد » ؟!..

عتبة : نعم !...

محمد : فاستمع منى !...

عتبة : أفعل !...

محمد : **(يتلو)** ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * تنزيلٌ من الرحمنِ الرحيم * كتابٌ فصِّلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرُهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا فى أكنَّة مما تدعونا إليه ؛ وفى آذاننا وقرٌ ،

ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون * قل إنما أنا بشرٌ مثلُكم يوحى إلىّ أنما إلهُكم إله واحد ، فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾

(**عتبة ينصت ويلقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع ....**)

محمد : (**يمضى فى التلاوة**) ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون * قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك ربُّ العالمين * وجعل فيها رواسىَ من فوقها ، وبارك فيها ، وقدَّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً !... قالتا : أتينا طائعين * فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزيَّنا السماء الدنيا بمصابيح وحِفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم * فإن أُعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمودَ ؛ إذ جاءتهم الرسُل من بين أيديهم ومِن خَلفهم ألاّ تعبدوا إلا الله ، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ، فإنَّا بما أرسلتم به كافرون * فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشدُّ منا قوة ، أو لم يَروا أن الله الذى خَلقَهُم هو أشدُّ منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نِحِسَات لنُذيقهم عذابَ الخِزْى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخْزى وهم لا ينصَرون * وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهُدى ، فأخذتهم صاعقة العذابِ الهُونِ بما كانوا يكسبون .. ﴾

(**يسجد !.....**)

(**عتبة يطرق مأخوذا؛ كأنما على رأسه طائر واقع .....**)

محمد : (**يرفع رأسه ، ويلتفت إلى عتبة**) قد سمعت يا « أبا الوليد »

ما سمعتَ !... فأنت وذاك !...

عتبة : (**كالمخاطب لنفسه ، وهو يقوم إلى أصحابه**) نعم !... نعم !...

أبو جهل : (**لقريش ناظراً إلى عتبة ، مقبلا عليهم**) أحلف لقد جاءكم « أبو الوليد بغير الوجهِ الذى ذهبَ به » ...

(**عتبة يأتى ويجلس إليهم ساكتا ..**)

أبو جهل : ما وراءك يا « أبا الوليد » ؟..

عتبة : (**سابح الفكر**) ورائى !...

أبو جهل : تكلم !...

عتبة : (**فى صوت متغير**) ورائى أنى سمعت قولا ما سمعتُ مثله قط ، واللات ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكِهَانة !... يا معشر « قريش » !.. أطيعونى واجعلوها بى ، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه !...

(**قريش يعروها دهش ، ويصمت الجميع**)

أبو جهل : (**يتنبه ، ويرفع رأسه ملتفتا إلى عتبة**) سحرَك واللات يا « أبا الوليد » بلسانه !...

عتبة : « واللات ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ !... »

قريش : أهذا رأيك فيه ؟!...

عتبة : هذا رأيى فيه ، فاصنَعوا ما بدا لكم !.. قد نزَل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد ، لقد كان « محمد » فيكمْ غلاماً حَدَثاً ، أكرمَكم خلقاً ، وأصدَقكم حديثاً ، وأعظمَكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صُدغَيْه الشيبَ ، وجاءكم بما جاءكم به ؛ — قلتم كاذبٌ وساحرٌ ، ومجنون !...

(**النضر بن الحارث يتقدم ...**)

النضر : بماذا جاءنا « محمد » ؟...واللات ما محمدٌ بأحسنَ حديثاً منى ،

وما حديثه إلا أساطير الأولين !... دعونى أُحدِّثكم بأخبار : « رستم » و « اسفنديار » وملوك فارس ، إنها يا « أبا الوليد » خيرٌ من قوله الذى سمعت منه ...

(لا يأبه أحد به ... صمت ...)

أبو سفيان : (**بعد لحظة**) يا معشر « قريش » !... عندى رأى ...

الجميع : ما هو يا « أبا سفيان » ؟...

أبو سفيان : فلنبعث أحدنا إلى أحبار « يهود » بالمدينة ، يسألهم عن « محمد » وصفته ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ...

المنظر الرابع عشر

(فى المدينة ... عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث بين أحبار اليهود .)

النضر : (**لحبر كبير بين الأحبار**) إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ؟...

الحبر : سلوه عن شىء فإن أخبركم به فهو نبى مرسل !....

النضر : ما هو ؟...

الحبر : سلوه عن الروح ... ما هى ؟...

عقبة : فإن أخبرنا بذلك ؟....

الحبر : فاتبعوه ؛ فإنه نبى !...

النضر : وإن لم يفعل ؟...

الحبر : فهو رجل متقوِّل ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم !...

المنظر الخامس عشر

(فى مكة ... قريش مجتمعة فى حي من أحيائها ، يقبل النضر وعقبة ...)

النضر : يا معشرَ قُريش !... قد جئناكم بفصْل ما بينكم وبين « محمد » !..

أبو سفيان : (**من بين القوم**) ماذا ؟...

النضر : قد أخبرنا أحبارُ يهود ، أن نسأله عن شيء أمرونا به ،، فإن أخبركم عنه فهو نَبى ، وإن لم يفعل فالرجل متقوِّلٌ ، فَرَوْا فيه رأيَكم ...

أبو جهل : (**يلتفت**) ها هو ذا « محمد » فى طريقه إلى الكعبة !...

(محَمد يقبل ماشيا فى سكون ...)

أبو سفيان : (**صائحا**) يا « محمد »!..

محمد : (**يلتفت**) ما تريد ؟..

أبو سفيان : (**ينهض ويعترض النبى**) إن كنت نبياً مرسلا ، فأخبرنا عما نسألك عنه !...

محمد : (**ينظر إليه فى صمت**) ؟..

أبو سفيان : (**للنضر وعقبة**) سلاه عما أخبرتما به !...

النضر : (**يتقدم إلى النبي**) يا « محمد » !... أخبرنا عن الروح ... ما هي ؟..

محمد : الروح ؟...

النضر : نعم !...

محمد : (**كالمخاطب نفسه**) الروح ؟!..

النضر وعقبة : (**معا**) نعم .. نعم ... الروح !...

محمد : أخبركم بما سألتم عنه غداً ...

(**ثم يتركهم.. ويسير فى سبيله مطرقا مفكراً** ......)

المنظر السادس عشر

(**فى شعاب مكة .. النبى ساجد عند غار حراء** ....)

(**راعيان ينظران إليه عن كثب** ....)

الراعى الأول : (**هامسا لصاحبه**) إنه يأتى كل يوم ؛ فيسجد ويرفع يديه إلى السماء ؛ كأنما هو يستنجد ويستعين ، أكبر ظنى أنه فى بلاء عظيم ؟..

الراعى الثانى : أرى فى وجهه حقاً أنه محزون وأنه فى بلاء !...

(**ينصرفان ويقبل أبو بكر وخلفه بلال** ...)

بلال : (**همسا لمولاه أبى بكر**) لقد أرجفَ أهلُ « مكة » ، وقالوا : « وعدنا « محمد » غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها ولا يخبرنا بشىء » !...

أبو بكر : (**فى قلق**) قل لهم يا « بلال » أنِ اصبروا .. إن « محمداً » لا بدَّ موف وعده !...

بلال : لقد سمعتُ بعضَ الناسِ يزعُم أن الوحىَ انقطع عن النبى ، وأن ربَّه قد نسيَه !..

أبو بكر : (**فى حزن ، وهو ينظر إلى النبى الساجد عند الغار**) إن الله لا ينسى نبيَّه ...

بلال : (**فى حرارة ناظراً إلى النبى**) اللهمَّ رحمتك !...

أبو بكر : (**كالمخاطب لنفسه**) اللهم خفِّف عنه !... إنه ليشُق عليه ما يتكلم به أهل « مكة » !...

(**ينصرف مع بلال** ......)

محمد : (**وحيداً فى بلاء يستعين ربه**) أىْ رب !... إليك أشكو بلائى ... أى رب .. ابعث إلىّ وحيك .. ابعث إلىّ وحيك !... لقد سألونى عن الروح ، ولا أعلم بم أجيب ... أى رب ... أنسيتنى ؟... اللهم إنى لفى بلاء !...

(**يسمع صوتا فيرفع رأسه فيرى جبريل فيمتلئ قلبه فرحا ويصيح** ......)

محمد : جبريل !... جبريل !...

جبريل : محمد !...

محمد : جبريل !... لقد احتبست عنى يا « جبريل » ، حتى سؤت ظنا !...

جبريل : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا ، وما بين ذلك ، وما كان ربك نَسِياً ﴾ ...

﴿ ولا تقولن لشىء إنى فاعلٌ ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ؛ وقل عسى أن يهدِيَنِ ربى لأَقرَب من هذا رشداً ﴾ ...

﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ؛ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ..

المنظر السابع عشر

(بعد غروب الشمس ....)
(أشراف قريش عند ظهر الكعبة....)

أبو سفيان : أسمعتم ما أجاب به « محمد » !...﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ... ﴾

أمية : نعم ... وهو يزعم أن ربه أنزل عليه « جبريل » بهذا !...

أبو جهل : واللات ، هذا القول ما هو بالجواب عما سألناه ، ألا ترَون أنه قد عجز !؟...

عتبة : يا « أبا الحكم » !... أتسمع منى ؟...

أبو جهل : قل يا « أبا الوليد » !...

عتبة : والله ما هو بعاجز ، وما كذبكم فى هذا شيئا ، إن الروح لا يمكن أن تكون من أمر بشر ... لقد صدَقكم ، وما كان عليه ــ لو أنه نبى كاذب ــ أن يقول لكم فى أمرها قولا ، أو يصف لكم وصفاً يسكتكم به ؟!..

أبو جهل : قلت لك يا « أبا الوليد » !... إن وجهى من وجهك حرام ، إن أنت قلت أمامه الساعة مثل هذا الكلام.!...

أمية بن خلف : أو قد بعثتم إليه ؟...

أبو سفيان : نعم !... قد بعثنا إليه أنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ، ليكلموك !...

مية بن خلف : أجل !.. ابعثوا إليه فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه !...

أبو جهل : لن يستطيع اليوم أن يسحرنا بحديثه كما سحر « أبا الوليد » !..
أبو سفيان : (**ينظر**) إنه مقبل سريعاً !...
أمية : (**ينظر**) أرى فى وجهه المستبشر أنه يظن أن قد بدا لنا فيه بداء ؟..
(**محمد يحضر ويجلس إليهم مستبشراً ، طامعا فى إسلامهم ...**)
أبوسفيان : (**لأبى جهل**) كلمه أنت يا « أبا الحكم » !...
أبو جهل : (**لمحمد**) يا « محمد » !... إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا واللات ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلتَ على قومك ؛ فإن كنت أنما جئت بهذا الحدَثِ ، تطلب به مالا ؛ جمعنا لك من أموالنا ؛ حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنتَ إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودُك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا مَلّكناك علينا،وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ، بذلنا لك أموالنا ، فى طلب الطِّبِّ لك حتى نبرئكَ منه ؛ أو نعذرَ فيك ...
(**يسكت وينظر إلى النبى ....**)
محمد : ما بى ما تقولون ؛ ما جئت بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا المُلك عليكم ؛ ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه على ،أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ..
قريش : (**تتهامس**) إنه غير قابل !..
أبو جهل : يا « محمد » !... إن كنت غيرَ قابل شيئاً مما عرضناه عليك ، فإنك تعلم أنه ليس من الناس أحدٌ أضيق بلداً ، ولا أقلَّ ماء ، ولا أشد عيشًا ؛ منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا

هذه الجبال ؛ التي قد ضيَّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً ؛ كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا منْ مضى من آبائنا ؛ فنسألهم عما تقول ... أحقٌّ هو أم باطل ؟... فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدَّقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول !...

محمد : ما بهذا بُعثت إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلّغتكم ما أرسِلتُ به إليكم ؛ فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله ؛ حتى يحكم الله بيني وبينكم !...

قريش : (**تتهامس**) إنه غير فاعل !...

أبو جهل : فإذا لم تفعل لنا ، فخذ لنفسك : سَل ربك أن يبعثَ معك مَلكًا يصدِّقُك بما تقول ، ويراجعُنا عنك !...

أبو سفيان : وسله فليجعلْ لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة ، يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق ، تقوم وتلتمس المعاش ؛ كما نلتمسه !...

أمية : نعم !... فليجعلْ لك قصوراً وكنوزاً ، حتى نعرفَ فضلَك ومنزلتَك من ربك ، إن كنتَ رسولاً كما تزعم !..

محمد : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربَّه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكنَّ الله بعثني بشيراً ونذيراً ؛ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليّ أصبر لأمرِ الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ...

قريش : (**تتهامس**) فليُرِنا ما يتوعَّد !...

أبو جهل : نعم !... أرِنا ما تتوعد !... أسقِطِ السماء علينا كسَفاً كما زعمتَ ؛ فإنّ ربك إن شاءَ فعل ؛ فإنا لا نؤمن لكَ إلا أن تفعلَ !...

محمد : ذلكَ إلى الله ، إن شاء أن يفعلَه بكم فَعل !...

أبو سفيان : يا محمد !.. أفما عَلمَ ربُّك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ؛ فيتقدمَ إليك فيعلِّمَك ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا ، إذا لم نقبل منكَ ما جئتنا به ؟...

أبو جهل : يا « محمد » !... إنه قد بلغنا أنك إنما يعلِّمك هذا الذى جئت به ، رجلٌ باليمامَةِ يقال له « الرحمن » !.. وإنا واللاّت لا نؤمن بالرحمنِ أبداً ؛ فقد أعذرنا إليك ، إنا واللات ، لا نتركك وما بلَغت منا ، حتى نهلكَكَ أو تُهلكنا !..

أمية : نحن نعبد الملائكةَ وهى بنات الله !...

أبو سفيان : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكةِ قبيلا !...

(محمد يقوم عنهم يائسا ، ويقوم خلفه عبد الله بن أبى أمية .....)

عبد الله : يا « محمد » !... عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقْبله منهم ، ثم سألوك عن الروح ماهى ؟... فلم تأتِ بجواب مفيد ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ؛ ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك — فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ؛ — فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ؛ — فو الله لا أومن بك أبداً ؛ حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتىَ بصكٍّ : معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول !... وايمُ الله أن لو فعلتَ ذلك ما ظننت أنى أصدِّقك !..

(محمد ينصرف حزينا آسفا .....)

أبو جهل : يا معشر قريش !... إن « محمداً » قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهِدُ اللاَّت لأجلسَنَّ له غداً بحجر ما أطيق حمله ؛ فإذا سجد فى صَلاته فضَخْت به رأسه ، فأسلِمونى عند ذلك ، أو امنعونى ؛ فليصنع بعد ذلك « بنو عبد مناف » ما بدا لهم !..

الجميع : واللاَّت لا نسلمك لشىء أبداً ، فامض لما تريد !..

المنظر الثامن عشر

(**أبو طالب وقد حضره الموت !...**)

أبو طالب : شَرْبَة ماء !...

(**أخوه العباس على رأسه يسقيه ...**)

أبو طالب : « يلتفت » من هذا ؟...

العباس : أين ؟...

(**أبو طالب يشير إلى الباب ...**) العباس(**يتوجه إلى الباب ... ينظر ، ثم يعود**) هو ... « أبو جهل » فى رجال من أشراف قومه ، ما أحسبهم إلا يمشون إليك فى أمر محمد ابن أخيك ...

أبو طالب : أدخِلْهُم علىَّ !...

العباس : (**يدخلهم ويهمس لهم**) رويداً !... ترفقوا به !...

أبو جهل : (**يدنو من الفراش**) يا « أبا طالب » إنك منا حيثُ قد علمت ، وقد حضرَك ما ترى وتخوَّفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ... فادعه فخذ له منَّا ، وخذ لنا منه ؛ ليكفَّ عنّا ، ونكفَّ عنه وليدَعنا وديننا ، وندَعهُ ودينه !...

أبو طالب : (« **العباس** » **فى صوت ضعيف**) « محمد » !...

العباس : (**يلتفت إلى الباب**) هو مقبل !...

(**يدخل محمد** ....)

أبو طالب : (**لمحمد**) يا ابن أخى ، هؤلاء أشرافُ قومِك قد اجتمعوا لك . ليعطوك ، وليأخذوا منك !...

محمد : نعم يا عم !... كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدينُ لكم بها العجم !..

أبو جهل : نعم ... وأبيكَ عشرُ كلمات !...

محمد : تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه !...

(**يصفق القوم بأيديهم استنكاراً** ....)

أبو جهل : أتريد يا « محمد » أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟... إن أمرك لعجب !...

أبو سفيان : (**نافد الصبر يتهيأ للانصراف مع بعض القوم**) والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا ، وامضوا على دين آبائكم !...

العاص بن وائل : نعم !.. دعوه ... فإنما هو رجل أبترُ لا عقِب له ، لو قد مات لقد انقطع ذكره ، واسترحتم منه ...

(**يتفرجون ويخرجون** ......)

أبو طالب : (**للنبي بعد خروج قريش**) والله يا ابن أخى ما رأيتُك سألتهم شطَطًا .

محمد : (**ناظراً إليه ، طامعا فى إسلامه**) أى عَمِّ !... فأنت فقلْها ، أستحل لك بها الشفاعةَ يوم القيامة ...

أبو طالب : يا ابن أخى !... والله لولا مخافة السُّبةِ عليك ، وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن « قريشٌ » أنى إنما قلتهُا جزَعاً من الموت لقلتهُا ... لا أقولها إلا لأ سُرَّك بها ...

(**يقترب منه الموت .....**)

العباس : أخي !...

أبو طالب: (**فى صوت ضعيف جامد النظرات**) من هذا ؟...

العباس : أين ؟...

(**أبو طالب يغمض عينيه ؛ ويحرك شفتيه**)

العباس : (**ينحنى عليه ، ويصغى إليه بأذنه ، ثم يهمس لمحمد**) يا ابن أخي !... والله لقد قال أخي الكلمة التى أمرتَهُ أن يقولَها ...

محمد : (**بلا حراك**) لم أسمع !...

المنظر التاسع عشر

(**بيت النبى فى مكة**)

بلال : (**يدخل باكيا**) واحزناه !... واضيعتاه !...

جارية : ويحَك يا « بلال » !... مابك ؟...

بلال : قاتلهم الله !...

الجارية : ما يبكيك يا « بلال » ؟...

بلال : قاتلهم الله !...

الجارية : من هم ؟...

بلال : أغرَوْا أحد سفهائهم ، فاعترض رسول الله وحثا على رأسه التراب !...

الجارية : التراب ؟..

بلال : نعم !..

الجارية : « قريش » ؟..

بلال : نعم ... « قريش » صنعتْ هذا !..

الجارية : نعم !... اليوم ؟...

بلال : واحزناه عليك يا « أبا طالب » !... من ذا يمنع اليوم النبيَّ وينصره ؟...

الجارية : صه ودع البكاء عنك يا « بلال » لا تسمعك مولاتى ... إنها فى فراشها اليوم تشكو !...

بلال : تشكو ؟... زوج النبى ، « خديجة » !!...

الجارية : (**ترى فاطمة بنت النبى مقبلة**) صه !..

(**النبى يدخل والتراب على رأسه ...**)

بلال : (**همسا**) رسولَ الله !..

فاطمة : (**تلتفت إلى هيئة النبى وتصيح**) أبى !... من صنع بك هذا ؟!...

محمد : (**فى صوت المتعب**) هوِّنى عليك !...

فاطمة : أهى قريش ؟...

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) نعم ... والله ما نالتْ منى قريشٌ شيئاً أكرهه حتى مات « أبو طالبْ » !...

فاطمة : (**تبكى**) أبتاه !...

محمد : (**يلتفت إليها**) لا تبكى يا بُنَية ؛ فإن الله مانعٌ أباك !...

فاطمة : اجلس ، وأغسل عنكَ هذا التراب !.

المنظر العشرون

(**أبو لهب و أبو سفيان يتقابلان ... فى طريق بمكة ....**)

أبو لهب : أعلمت يا « أبا سفيان » ؟..

أبو سفيان : ماذا ؟...

أبو لهب : « خديجةُ » فى الموت ؟...

أبو سفيان : زوج « محمد » ؟..

أبو لهب : أجل !... عما قليل تذهبُ أيضاً ، تلك التى كانت تشُدُّ أزرَه وتُعزُّ شأنه !...

أبو سفيان : عسى أن يلحق بها أولئك السفهاء الذين تابعوه ...

أبو لهب : لقد رأيتُ فيهم رأياً ...

أبو سفيان : ما هو ؟...

أبو لهب : إذا قدمتِ العِير « مكة » وأتى أحدُهم السوق ليشترىَ شيئاً من الطعام لعياله ، سأقوم فأقول : يا معشرَ التُّجارِ !... غالوا على « محمد » وأصحابه ؛ حتى لا يدركوا معكم شيئاً ؛ فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ؛ فأنا ضامن أن لا خَسارَ عليكم ، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافاً ، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغَوْن من الجوع ، وليس فى يديه شىء يطعمهم به ...

المنظر الحادى والعشرون

(فى دار النبى ... خديجة على فراش الموت وإلى جوارها محمد وهو مطرق فى حزن ... محمد يسمع صوتا فيرفع رأسه فيرى جبريل)

محمد : (**لخديجة وهو ناظر إلى السماء**) يا « خديجة » ... هذا « جبريل » !... يقرئك السلام من ربك !...

خديجة : (**فى صوت ضعيف**) لله السلامُ ، ومنه السلامُ وعلى جبريل السلام !..

محمد : (**يثوب إلى نفسه ويلتفت إلى خديجة**) أمرتُ أن أبشرك ببيت من

قصبٍ فى الجنة ؛ لا صخب فيه ولا نصَب !...

خديجة : هل فى الجنة قصَب ؟!...

محمد : إنه قصب من لؤلؤ مُجْتَبى ...

(**صمت** ...)

خديجة : ما أشق الفِراق !...

محمد : (**مطرقا**) سيكون اللقاء فى الجنة إن شاء الله ...

خديجة : (**فى تنهد عميق**) إن شاء الله !...

محمد : تكرهين ما أرى منك يا « خديجةُ » ، وقد يجعل الله فى الكره خيراً ...

خديجة : خيراً إن شاء الله !...

محمد : أشعرتِ أن الله قد أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة « مريم ابنة عِمران » ، و « كلثومَ أخت موسى » ، و « آسية امرأة فرعون » ؟!...

خديجة : الله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟...

محمد : نعم !..

خديجة : (**فى صوت ضعيف**) بالرِّفاء والبنين !...

(**تلفظ الروح** ....)

محمد : (**جزعا**) يا « خديجة » !... يا « خديجة » !...

المنظر الثانى والعشرون

(**فى بطحاء مكة وقد حميت الظهيرة ، رجال ونساء من أتباع محمد يضربون ، ويعذبون ، ويعلو صياحهم** ....)

بلال : (**يمر بامرأة ويسألها**) لماذا يُصنع بهم هذا ؟!...

المرأة : (**همسا**) ليفتنوهم عن دينهم !..

بلال : قريش فعلت هذا اليوم ؟...

المرأة : نعم ... لقد عدت قريشٌ على من اتبع النبى ، فوثبَتْ كل قبيلةٍ على مَنْ فيها من أصحاب محمد المستضعفين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب كما ترى ، وبالجوع والعطش ، وقد اشتد الحر ...

بلال : ويل لهم !... ويل لهم !...

المرأة : (**تلتفت إلى صوت قادم**) صه !... هذا (**أمية بن خلف**) !...

(**تنصرف المرأة سريعا ....**)

بلال : (**لنفسه**) أمية !... ويل لى !...

أمية : (**يرى بلالا**) هذا أنت يا ابن الحبشية !..

عقبة : (**وهو يسير إلى جانب أمية**) إنه من أتباع « محمد » المخلصين !...

أمية : (**لرجال معه**) اطرَحُوه على ظهره فى هذه البطحاء !...

(**يطرحه الرجال فى الرمضاء ، تحت الشمس الحامية .....**)

بلال : (**صائحاً**) اتقوا غضبَ الله !... اتقوا غضَبَ الله ...

أمية : (**لرجاله مشيراً إلى صخرة كبيرة**) ضعوا على صدره هذه الصخرة العظيمة !...

(**بلال لا ينبس ، وهم يضعون على صدره الصخرة ....**)

أمية : (**لبلال وهو تحت الصخرة العظيمة فى بلاء عظيم**) لا تَزال هكذا ؛ حتى تموتَ أو تكفرَ بمحمد ، وتعبدَ اللاّت والعُزَّى !...

بلال : (**ناظراً إلى السماء وهو يتلوى من الألم**) أحدٌ ، أحدٌ !...

ورقة بن نوفل : (**يمر ببلال ويهمس فى أنه**) أحد !... أحد !... والله يا « بلال » !.

أمية : دع هذا العبد وشأنه يا « ورقة » !...

ورقة : (**يقبل على أمية**) أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا ؛ لأجعلن قبره كقبور الصالحين والشهداء !..

(**ينصرف**)

عقبة : (**لبلال**) لا تزال هكذا ، حتى تتركَ دينَ « محمد » وتعبدَ آلهتنا !...

بلال : (**صائحاً**) أحَد ... أحَد !...

(**يأتى أبو بكر ....**)

أبو بكر : (**لأمية بن خلف**) ألا تتقى الله فى هذا المسكين !... حتى متى ؟!...

أمية : أنت الذى أفسدته ؛ فأنقذه مما ترى !...

أبو بكر : أفعلُ ... عندى غلامٌ أسود أجلَدُ منه وأقوى علي دينك ، أعطيكه به !...

أمية : قد قبلت !...

أبو بكر : هو لك ، رد عليَّ « بلال » أعتقه !...

(**يطلقون له بلال فينصرف به ..**)

أمية : (**لرجاله**) فليظل أصحاب « محمد » هؤلاء فى هذا العذاب !...

(**ينصرف هو وعقبة ـــ يقبل النبى من طريق أخرى ويمر بأصحابه .....**)

محمد : (**همساً للمعذبين**) اصبروا واثبتوا !..

أحد المعذبين : (همسا) يا رسول الله ، ألا نقاتلهم فندفع عن أنفسنا الأذى !...

محمد : لم أومَر بالقتال !....

أحد المعذبين : وهل نصبرُ طويلاً على هذا البلاء ؟...

محمد : (همسا) لو خَرجْتم إلى أرضِ الحبشة ؛ فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرضُ صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه !!...

المنظر الثالث والعشرون

(جماعة من قريش بينهم عمر بن الخطاب والشاعر لبيد والوليد وعقبة وابن مظعون يتسامرون ويحتسي بعضهم الخمر عند إسحق الخمار .....)

عقبة : أعلمتم الخبر ؟.. لقد هاجر كثير من أتباع « محمد » إلى الحبشة ؛ هرباً مما هم فيه من البلاء !...

عمر : نعم !... قد علمنا وسنرسل فى أعقابهم بعضَنا إلى « النّجاشىّ » كى يسلمهم إلينا !...

عقبة : إن « محمداً » لم يقدر على أن يمنعَ أصحابه مما هم فيه !...

ابن مظعون : خسِئت !...

عقبة : عجباً لك يا « ابن مظعون » !.. ما الذى أقعدك عن الخروج إلى الحبشه مع مَن خرج ؟!..

الوليد : أنا أجيرُه وأحميه ؟!...

عقبة : حقاً ، إنه آمنٌ فى جوارك !...

عمر : دعونا من هذا الحديث !... أنشدنا شعراً يا « لبيد » !...

لبيد : أين الخمر ؟..

عمر : (**ينادى الخمار**) هاتِ خمرَك يا « إسحق » !..

ابن مظعون : (**يلتفت**) أرى فى الظلام رحْلاً مقبلا ، عليه رجلٌ وامرَأة !...

عقبة : (**ينظر**) إنهما ولا ريب من المهاجرين !...

عمر : (**ينظر ملياً**) وَىْ !... هذا « عامر » و « أم عبد الله » !..

(**ينهض ويتجه إليهما** ....)

عامر : (**على الرحل يرى عمر مقبلا**) ألمح أحد المشركين يدنو منا !...

أم عبد الله : (**تلتفت**) هذا والله « ابن الخطاب » !...

عمر : (**يقترب منهما**) إنه الانطلاقُ يا « أمَّ عبد الله » ؟...

أم عبد الله : نعم ... والله لنَخرُجنْ فى أرض الله — لقد آذيتُمونا وقهرتمونا — حتى يجعل الله لنا مخرجاً !...

عمر : (**فى حزن ورقة**) صحبَكم الله !..

(**ويطرق لحظة ، ثم يقفل راجعاً إلى مكانه**)

أم عبد الله : (**لعامر**) يا « أبا عبد الله » !... أرأيتَ « ابنَ الخطاب » ورقته وحزنه علينا ؟...

عامر : أطمِعتِ فى إسلامه !...

أم عبد الله : نعم !..

عامر : لا يُسلمُ الذى رأيتِ ؛ حتى يسلم حمار « الخطاب » !...

الوليد : (**لعمر**) أين ذهبت يا «عمر» ؟... استمع إلى شعر « لبيد » !..

عمر : نعم .. إنى مصغٍ !... قل يا « لبيد » !...

لبيد : (**ينشد**) ألا كلُّ شىء ما خلا الله باطلُ ...

ابن مظعون : (**مقاطعاً فى حماسة**) صدقت !...

لبيد : (**يمضى فى الإنشاد**) وكل نعيم لا محالة زائل !...

ابن مظعون : (**مقاطعا**) كذبتَ !... نعيمُ الجنةِ لا يزُول !...

لبيد : (غاضباً) يا معشر « قريش » !.. والله ما كان يُـؤذَى جليسُكم ، فمتى حدَثَ هذَا فيكم ؟...

عقبة : إن هذا سفيه فى سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ؛ فلا تجدنَّ فى نفسِكَ من قوله !...

ابن مظعون : شهد الله مَنِ السَّفيه !...

عقبة : قُبِّحت وقُبِحَ دينُك ؛ لو لم يكن (**أبو عبـدِ شمس**) يجيرك ويحميك ، ـــ للطَمْتُ عينك !..

ابن مظعون : (**للوليد**) يا « أبا عبد شمس » !.. قد رَددت إليك جوارك !...

الوليد : لِمَ ؟..

ابن مظعون : إنى أرضى بجوار الله ولا أريدُ أن أستجيرَ بغيره !...

عقبة : أرنى إذن كيف يجيرُك ربُّك ؟..

(**يلطمه على عينه** ....)

ابن مظعون : (**يضع يده على عينه ، وقد لطمها عقبة فخصرها**) آه !...

الوليد : لقد كانت عينُك عما أصابها غنيةً ؛ فقد كنت فى جوار منيع .

ابن مظعون : (**يرفع رأسه**) بلى والله !... إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصابَ أختها فى الله !... وإنى لفى جوارِ مَن هو أعزُّ منك وأقدر !...

لبيد : يا معشر قريش !... هلموا ، أنشدكُم فى غيرِ هذا المكان !...

(**ينصرفون ويتركون ابن مظعون وحده يعالج عينه ... يمر به أبو بكر وقد شد متاعه إلى رحله** ...)

ابن مظعون : (**صائحا به**) « أبا بكر » ؟!...

أبو بكر : لبَّيك !...

ابن مظعون : أراحل أنت يا « أبا بكر » ؟...

أبو بكر : نعم .. لقد ضاقت علىّ « مكة » وأصابنى فيها الأذى ، ورأيت

من تظاهر « قريش » على رسول الله وصحابه مالا طاقة لى به ...
ولقد هاجر كثيرٌ من المؤمنين !...

ابن مظعون : أوَ استأذنتَ النبيّ !...

أبو بكر : نعم !.. لقد أستأذنت رسول الله فى الهجرة فأذن لى !...

ابن مظعون : (**وهو ينصرف عنه**) على بركة الله يا « أبا بكر » !...

أبو بكر : (**يلتفت إلى عين ابن مظعون المصابة**) ما بِعينك يا « ابن مظعون » ؟...

ابن مظعون : بعض ذلك الأذى ، الذى يصيبنا من المشركين !..

أبو بكر : من ؟...

ابن مظعون : (**عقبة**) عدوُّ الله !... وليس لىَ الآن من يجيرنى غيرُ ربى ، وما أرى والله إلا أن أرحلَ ...

أبو بكر : نعم !.. اخرُج مثلى إلى أرض « الحبشة » !....

ابن مظعون : نعم ... سأشد متاعى إلى رحلى ، وأنطلق !...
(**ينصرف**)

(أبو بكر يحث راحلته على المسير ، ويمشى قليلا ، فيقابله ابن الدغنة سيد الأحابيش)

ابن الدغنة : أين يا « أبا بكر » ؟..

أبو بكر : أخرَجنى قومِي ؛ وآذونى ، وضيَّقوا علىَّ ...

ابن الدغنة : ولمَ ؟... فو الله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروفَ ، وتُكسِب المعْدِم ؛ ارجع وأنت فى جوارى أحميك !...

أبو بكر : قبلت !...

ابن الدغنة : (**يعود بأبى بكر وهو يصيح**) : يا معشر قريش !.. إنى قد

أجرت « ابن أبى قحافة » ؛ فلا يعرضن له أحدٌ إلا بخير !..

قريش : (**يجرون إلى ابن الدغنة**) أقد أجرتَ هذا الرجل ...

ابن الدغنة : نعم ... وأنا سيدُ الأحابيش ، فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير !...

عقبة : (**يبرز من بين رجال قريش**) يا « ابن الدغنة » !... إنك لم تجر هذا الرجلَ ليُؤذينا !... إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به « محمد » يرق ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضعفَتِنا أن يفتنهم ، فإنهم ليَقفُون عليه عند باب داره ، يَعجبون لما يروْنَ من هيئته وقراءته ، فمُره أن يدخلَ بيته فليصنع فيه ما شاء !...

ابن الدغنة :(**يلتفت إلى أبى بكر**) يا « أبا بكر » !... إنى لا أجيرُك لتؤذى قومَك ؛ إنهم يكرهون مكانك الذى أنتَ به ، ويتأذونَ بذلك منك ، فادخُل بيتك فاصنَع فيه ما أحببت !..

أبو بكر : أو أردُ عليك جوارك ، وأرضى بجوارِ الله ؟...

ابن الدغنة : فاردُدْ علىَّ جوارى ...

أبو بكر : قد رددته عليك !..

ابن الدغنة : يا معشر قريش !... إن « ابن أبى قحافة » قد ردَّ على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم !...

(**ينصرف ويترك أبا بكر بينهم ...**)

قريش : (**يحيطون بأبى بكر ويعلو لجاجهم**) احبسوه !... لا يهاجر !... خذوا راحلتَه !...

أعرابى : (**من بين القوم يحثو على رأس أبى بكر التراب**) إليك جزاء الضال !...

أبو بكر : (**يلتفت فيجد بين القوم الوليد بن المغيرة**) ألا ترى إلى ما يصنعُ هذا السّفيه ؟!..

الوليد : أنت فعلتَ ذلكَ بنفسك !...
أبو بكر : (فى ضيق) أى ربٍّ ما أحلمَكَ !... أى ربٍّ ما أحلمك !... أى ربٍّ ما أحلمك !...

المنظر الرابع والعشرون

(فى الطائف ... محمد فى نفر من سادة ثقيف وأشرافهم ، على مقربة من حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبه وهما فيه ينظران ....)

عتبة : (**يهمس**) ما جاء به إلى « الطائف » ؟...
شيبة : ما أحسَبه إلاّ جاء يلتمس النصرة من « ثقيف » ، والمنعَة بهم من قومه !...
عتبة : « قريش » ؟...
شيبة : نعم !... ما كان أحد يمنعه وينصره على « قريش » إلاّ عمه « أبو طالب » ، فلما هلك عمُّه وهلكت زوجتُه « خديجة » نالت منه « قريش » من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة عمه وزوجه !...
عتبة : وهل تحسَب « ثقيفاً » ناصرة إياه ؟...
شيبة : إن لم تنصره ثقيف فلا ناصر له !...
عتبة : (**يلتفت إلى ناحية القوم**) انظر يا شيبة !... إنه جلس إلى أشراف « ثقيف » يدعوهم إلى ربه الذى يحدّث عنه ... وما أرى فى وجوه القوم إلاّ استهزاء به ، وبما يقول !...
شيبة : (**ينظر**) اسمع !... هذا « مسعود بن عمرو » يدنو منه !...
مسعود : (**يدنو من محمد**) إنى أمرِط ثيابَ الكعبه إن كان الله أرسلك ...
عتبة : (**لشيبة همساً**) أسمعتَ ؟!...

شيبة : (**هامساً**) سمعتُ ؟!...

عتبة : (**همساً**) أرى وجهه قد تغيَّر !...

شيبة : هذا أيضاً « عبد ياليل بن عمرو » يدنو منه !...

عبد ياليل : (**يدنو من محمد.**) أما وجدَ الله أحداً يرسلهُ غيرك ؟...

عتبة : (**هامساً**) إنهم يُغْلظُونَ له ....

شيبة : صه !..: هذا « حبيب بن عمرو » يدنو منه كذلك ليقول له شيئاً ....

حبيب : (**لمحمد**) والله لا أكلمُك أبداً ؛ لَئِن كنتَ رسولا من الله كما تقول ؛ — لأنت أعظم خطراً من أن أَرُدَّ عليك الكلام !... ولئن كنتَ تكذبُ على الله ما ينبغى لى أن أكلمَك !...

(**محمد يقوم ، وقد يئس منهم ...**)

عتبة : انظر يا « شيبة » ؛ إنه قد قام !...

شيبة : ما أراه إلاّ يائساً حزيناً !...

عتبة : إنه يريد أن يقول لهم شيئاً ، اسمع ....

محمد : (**للقوم**) إذْ فعلتُم ما فعلتمُ ؛ فاكتموا عنى !..

عتبة : (**هامسا**) ماذا يريد بهذا ؟...

شيبة : لعله يكره أن يبلغَ قومَه عنه خذلانُ « ثقيف » له ، فيذئرهم ذلك عليه ...

(**صياح وأصوات ....**)

عتبة : ما هذا الصياح ؟.... (**ينظر**) انظر !... هؤلاء ناس وعبيد يصيحون به !...

شيبة : (**ينظر**) ما أحسَب إلاّ أن القومَ قد أغرَوْا به سفاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به !...

عتبة : انظر ! ... لقد اجتمع عليه الناس ، وهو لا يستطيع منهم فراراً !....

شيبة : ما أرى إلاّ أنه سيلقى منهم أذى كثيراً !...

عتبة : إنه مقبلٌ علينا ...

شيبة : إنهم يسدون عليه السبيل ....

(**الصياح يقترب** .....)

عتبة : لقد ألجأوه إلى حائطنا !...

شيبة : أجل ، ها هو ذا يسقط إعياء !...

(**محمد يعمد إلى ظل حبلة من عنب فيجلس فيه ، وقد رجع عنه من يتبعه من سفهاء ثقيف** ....)

عتبة : أيَّ هوانٍ لقيَ هذا الرجلُ من أهل « الطائف » !...

شيبة : أتحركت له رحمتك يا « عتبة » !...

عتبة : (**ينظر إليه**) اسمع !... أصغ !... إنه يقول شيئاً !...

محمد : (**وقد اطمأن قليلا ، بعد ذهاب الناس عنه**) : « اللهم إليك أشكو ضعفَ قوّتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين !... أنت رب المستضعفينَ ، وأنت ربي ... إلى منْ تكلُني ؟ أإلى بعيدٍ يتجهَّمُني ، أم إلى عدوٌ ملَّكته أمري ؟... إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ... ولكن عافيتك هي أوسعُ لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلُماتُ ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك ، أو يَحلَّ عليَّ سخطك ، لك العُتبى حتى ترضَى ، ولا حوْل ولا قوّة إلاّ بك »

عتبة : (**همسا لأخيه شيبة**) أسمعت ؟...

شيبة : (**مأخوذاً**) نعم !...

عتبة : أيمكن أن يكون مثلُ ذلك الرجل كذّاباً ؟...

شيبة : ويحَك يا « عتبة »!...

عتبة : (**ينادى غلامه همسا**) يا « عداس »!..

عداس : لبَّيك !...

عتبة : خذ قطفاً من العنَب فضعه فى الطبق ، ثم اذهبْ به إلى ذلك الرجل فقلْ له يأكلْ منه !...

(**عداس يسرع إلى ما أمر به ....**)

شيبة : (**ينظر إلى وجه أخيه**) ما حملك على هذا ؟...

عتبة : (**ينظر إلى النبى**) انظر يا « شيبة » !... إن « عداساً » قد أقبلَ بالطبَق ووضعهُ بين يديه !...

عداس : (**لمحمد**) كلْ !...

محمد : (**يضع يده فى الطبق**) بسم الله !... (**ثم يأكل !....**)

عداس : (**ينظر فى وجه محمد**) والله إن هذا لكلامٌ ما يقوله أهلُ هــذه البلادِ !...

محمد : ومن أهل أىّ البلاد أنت ؟... وما دينك ؟...

عداس : نصرانى ، وأنا رجلٌ من أهل « نِينوَى » !..

محمد : من قرية الرجلِ الصالح « يونس بن مَتَّى » ؟...

عداس : (**فى عجب**) وما يدريك ما « يونسُ بن متى » ؟...

محمد : ذاك أخى ؛ كان نبياً ، وأنا نبىّ !...

عداس : (**يكب على محمد يقبل رأسه ويديه وقدميه**) نبى !... نعم نبى !...

عتبة : (**هامساً لشيبة**) أرأيت ؟...

شيبة : نعم !...

عتبة : وما تقول فى هذا ؟...

شيبة : أما غلامك فقد أفسدَه عليْك !..

(**عداس يقبل عليهما ...**)

عتبة : ويلك يا « عداس » مالك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟!...

عداس : يا سيِّدى ما فى الأرض شىء خيرٌ من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبىّ ...

شيبة : ويحك يا « عدّاس » ، لا يصرفنّك عن دينكَ ، فإن دينك خيرٌ من دينه !...

عداس : إن مثله لا يمكن أن يحتمل ما لقىَ إلا فى سبيل الحق ، ولا أن يثبتَ على دينِه بعد كلِّ هذا إلا أن يكون دينه دينَ الحقِّ !...

المنظر الخامس والعشرون

(فى الحبشة — بين يدى النجاشى ..)

(النجاشى على عرشه بين بطارقته ...)

البطارقة : لقد جاء من « مكة » رسولان ...

النجاشى : أدخلوهما !...

(يدخلون عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص...)

عبد الله : (**همساً لعمرو**) هل قدّمتَ إلى كل بَطريقٍ منهم هديّةً ؟...

عمرو : (**همسا**) نعم ... وسيعملون بما نُريد !...

البطارقة : أيها الملك ... لقد جاءك بهدايا كثيرةٍ !...

النجاشى : تقدما يا رسولا الخير !...

(عمرو يتقدم بين يدى النجاشى ......)

عمرو : أيها الملك !... إنا قد جئنا نسألك أمراً ... لقد أوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، و لم يدْخلوا فى دينِك . وجاءوا

بدين ابتدعوه ، لا نعرفُه نحن ولا أنتَ ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم عليهم ؛ فهم أعلَى بهم عَيناً ، وأعلَمُ بما عابوا عليهم وعاتَبُوهم فيه !...

عبد الله : (**همسا لعمرو**) أخوَفَ ما أخاف أن يسمع « النَّجَاشِيّ » كلامهم ، فيفسُدَ الأمرُ !...

(**عمرو يغمز بعينه للبطارقة ...**)

البطارقة : صدقَا أيها الملك !... قومُهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلِمْهُم إليهما ؛ فليرُدَّاهم إلى بلادهم وقومهم !...

النجاشي : (**غاضباً**) لا ، ها الله !... إذن لا أُسْلمُهُم إليهما وهم قوم جاورُونى ونزلوا بلادى ، واختارونى على مَن سِواى ، لن أسلِمَهُمْ حتى أدعوَهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ؛ فإن كانوا كما يقولان أسلمْتهم ، ورددْتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غيرِ ذلك منعتُهم منهم ، وأحسنتُ جِوارَهم ما جاوَرُونى !... علَىَّ بأساقفتى !...

(**يسرع بعض أعوانه صادعين بأمره ، ويدخل الأساقفة ، ويدخل المهاجرون من أصحاب محمد ... بينهم ابن مظعون ، وجعفر بن أبى طالب ، ويتهامسون مضطربين ، إذ يرون رسولى مكة ، بينما ينشر الأساقفة مصاحفهم حول النجاشى ....**)

جعفر : (**همسا لابن مظعون**) لقد وشى بنا قومُنا !...

ابن مظعون :(**همسا**) نعم ... وشَوْا بنا للملك ... وما نقول له الآن ؟..

جعفر : (**همسا**) نقول والله ما علّمَنا وما أمَرنا به نبيُّنا ؛ كائناً فى ذلك ما هو كائن !...

النجاشي : (**يلتفت إلى المهاجرين**) تقدموا يا أصحاب « محمد » !...

المهاجرون : أيها الملك !...

النجاشي : ما هذا الدِّين الذى قد فارقتم فيه قومَكم ، و لم تدْخلوا فى دِينى ، ولا فى دين أحَد من هذه المِلَل ؟!...

جعفر : (يتقدم بين يدى النجاشى) أيها الملك !.. كنَّا قوماً أهلَ جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحِش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكُل القويُّ منَّا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبَه وصدقه وأمانته وعفافه ؛ فدعانا إلى الله ؛ لنُوحِّده ونعبدَه ، ونخلع ما كنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدقِ الحديثِ وأداء الأمانةِ وصلةِ الرحِم ، وحسنِ الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحشِ ، وقول الزور ، وأكلِ مال اليتيم ، وقذف المحصَنة ، وأمَرنا أن نعبدَ الله وحدَه لا نشركُ به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام : فصدَّقناه وآمنا بـه ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحدَه فلم نشرك به شيئاً ، وحرَّمنا ما حرَّم علينا ، وأحلَلنا ما أحلَّ لنا ؛ فعدا علينا قومُنا : فعذَّبونا وفتنونا عن دينَنا ؛ ليردُّونا من عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحلَّ ما كنا نستحلُّ من الخبائثِ ، فلما قَهرونا ، وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ ـــ خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سِواك ، ورغبْنا فى جوارِك ، ورَجوْنا ألا نُظلَمَ عندَك أيها الملك !..

النجاشي : هل معك مما جاء به نبيُّكم عن الله من شىء ؟..

جعفر : نعم !..

النجاشي : اقرأ علىّ !...

جعفر : (يتلو) ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذَتْ من أهلها مكاناً شرقيا * فاتخذت من دونهم حجاباً ، فأرسلنا إليها روحَنا ، فتمثل لها بشراً سوِيّا * قالت : إنى أعوذُ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال : إنما أنا رسولُ ربك لأهب لَكِ غلامًا زكيًا * قالت : أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكُ بغيًّا * قال : كذلكِ قال ربك ، هو علىّ هين ؛ ولنجعله آية للناس ، ورحمةً منّا وكان أمراً مقضياً * فحملته فانتبذَتْ به مكاناً قصياً * فأجاءها المخاضُ إلى جذعِ النخلة ، قالت : ياليتنى مت قبل هذا ، وكنت نَسْياً مَنْسِيّاً * فناداها منْ تحتها ألا تحزَنى ؛ قد جعل ربُّك تحتَك سَريًا * وهُزِّى إليك بجذع النخلة تساقِطْ عليك رطباً جنياً * فكلى واشربى وقرى عينا * فإما ترينَّ من البشَرِ أحداً ، فقولى ؛ إنى نذرتُ للرحمن صومًا ؛ فلن أكلِمَ اليوم إنسيّا * فأتتْ به قومَها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا فريّا * يا أخت هرون ما كان أبُوك امرأ سوْء وما كانت أمُّكِ بغيّا * فأشارت إليه ... قالوا : كيف نُكلّم من كان فى المهد صبياً ؟ * قال : إنى عبد الله : آتانىَ الكتاب ، وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبَراً بوالدتى ، ولم يجعلنى جباراً شقياً * والسلام علىَّ يوم وُلدتُ ويوم أموت ، ويوم أبعث حيّاً ﴾

النجاشى : إن هذا والذى جاء به « عيسى » ليخرجُ من مشكاة واحدة !...

الأساقفة : والله هذه كلماتٌ تصدُر من النّبع الذى صدرت منه كلماتُ سيدنا « يسوعَ المسيح »!...

عبد الله : (**همساً لعمرو**) أسمعت ؟...

النجاشى : « لعمرو وعبد الله » انطلقا !... فلا والله لا أسلمُهم إليكما !..

عمرو : (**همساً لعبد الله**) أأقولُ له عنهم الآن ما أستأصلُ به خضْراءهم ؟...

عبد الله : لا تفعل !.. إن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا !...

عمرو : (**همساً**) والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن « عيسى ابن مريم » عبد !...

عبد الله : لا تفعل !...

عمرو : (**لا يصغي إلى رفيقه ، ويتقدم**) أيها الملك !... إنهم يقولون فى « عيسى بن مريم » قولا عظيما !...

(**النجاشي يلتفت إلى أساقفته ، ويحادثهم همساً ، وكذلك بعض أصحاب محمد يتهامس بعضهم مع بعض** !...)

ابن مظعون : (**لجعفر همسا**) ماذا نقول فى « عيسى ابن مريم » إذا سُئلنا ؟...

جعفر : (**همسا**) والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبيُّنا ؛ كائنا فى ذلك ما هو كائن !...

النجاشي : (**يلتفت إلى المهاجرين**) يا أصحابَ محمد !... ماذا تقولون فى « عيسى بن مريم » ؟...

جعفر : (**يتقدم**) نقول فيه الذى جاءنا به نبيُّنا : هو « عبد الله » ورسوله وروحه ، وكلمته ، ألقاها إلى « مريمَ العذْراء البَتُول » !...

النجاشي : (**يضرب بيده إلى الأرض ، فيأخذ منها عوداً**) والله ما عدا «عيسى ابن مريم » مما قلتَ هذا العود !..

(**البطارقة يتناخرون** ......)

النجاشي : (**يلتفت إلى بطارقته**) وإن نخرتم !...

(**لأصحاب محمد** ....)

والله اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى من سبَّكم غرم !... من سبَّكم غرم !... من سبكم غرم !...

(**يشير إلى رسولى قريش ...**)

ردُّوا عليهما هداياهما فلاحاجةَ لى بها ؛ فوالله ما أخذ الله منى الرِّشوة ، حين ثبَّت لى ملكى ؛ فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناسَ فىَّ ؛ فأطيعَهم فيه !!...

(**يخرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة مخذولين مقبوحين .....**)

المنظر السادس والعشرون

(**فى مكة ... النبى فى داره وحيداً مطرقا ، ومعه خولة بنت حكيم !.....**)

خولة : يا رسول الله !... كأنى أراكَ قد دخلكَ حُزنٌ لفَقد « خديجة » !...

محمد : أجل !... كانت أمَّ العيال ، وربَّة البيت !...

خولة : أىْ رسول الله !... ألا تزوَّجُ ؟...

محمد : (**يرفع رأسه**) مَن ؟...

خولة : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيِّباً !..

محمد : فمن البكر ؟...

خولة : بنت أحبِّ خلق الله إليك .. « عائشةُ بنتُ أبى بكر » !...

محمد : ومَنْ الثَّيب ؟...

خولة : « سودَةُ بنتُ زمعة » آمنت بكَ واتبعتْك !...

محمد : (**يطرق لحظة متفكراً ، ثم يرفع رأسه**) اذهبى ؛ فاذكريهما علىّ !..

المنظر السابع والعشرون

(فى طريق من طرق مكة ليلا ... نعيم بن عبد الله وعمر بن الخطاب يتقابلان ...)

نعيم : أين تريدُ يا « عمر » ؟...

عمر : أريد جُلسَائى فلا أجدهُم ، ولقد جئت « إسحق » الخمارَ لعلى أجدُ عنده خمراً ، فأشرب منها ، فلم أجده !...

نعيم : لقد مضى عهدُ الخمر !...

عمر : هذا كلامُ « محمد » ، وفعلُ « محمد » هذا الصابئ الذى فرَّق أمر قريش ، وعاب دينها ، وسفَّه أحلامها ، وشتت مجالسها ، وضيع بهارجها ، وشرَّدَ شعراءها !..

نعيم : نِعم كلامه ونِعم فعله !...

عمر : إنك اتبعتَه !...

نعيم : نعم !...

عمر : (**يلطمة**) قبَّحك الله !... والله لأقتلنَّ « محمداً » بسيفى هذا !... **(يشير إلى سيفه المتوشح به ...)**

نعيم : (**ويده على وجهه**) والله لقد غرَّتك نفسك من نفسك يا « عمر » !... أترى « بنى عبد مناف » تاركيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت « محمداً » ؟... أفلا ترجعُ إلى أهل بيتك فتُقيمَ أمرَهم ؟!...

عمر : أى أهل بيتى ؟...

نعيم : أختُك « فاطمة » وزوجها « سعيدُ بنُ زيد » ؛ فقد والله أسلما ، وتابعا « محمداً » على دينه !...

عمر : أهل بيتى ؟!...

(يتركه ويجرى إلى بيت أخته ..)

المنظر الثامن والعشرون

(فى دار فاطمة أخت عمر بن الخطاب .. فاطمة وزوجها سعيد ومعهما خباب وهو أحد المؤمنين ـــ يقرأ عليهما قرآنا من صحيفة)

خباب : (**يتلو**) ﴿ طه !.. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الأرضَ والسموات العُلى * الرحمنُ على العرشِ استوى * له ما فى السمواتِ وما فى الأرضِ وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * الله لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى ﴾

سعيد : (**يلتفت إلى الباب**) صه يا « خباب » !... هذا حس « عمر » !...

خباب : (**ينهض فى الحال مرتاعا**) أخشى أن يكونَ قد سمع ما أقرأ !...

فاطمة : هاتِ الصحيفةَ واختبئ فى المخدَع !...

(تأخذ منه الصحيفة ، فتجعلها تحت فخذها ، ويسرع خباب إلى المخدع ، فيغيب فيه)

عمر : (**يدخل**) ما هذه الهيْنَمَة ألتى سمعت ؟..

سعيد : ما سمعتَ شيئاً !..

عمر : بلى !... لقد أخبرت أنك تابعتَ « محمداً » على دينه أيها الخاسر !...

(يبطش به ......)

فاطمة : (**تقوم إلى أخيها عمر ؛ تمنع زوجها**) كُفَّ عنه !...

عمر : وأنتِ أيضاً ...

(**يضرب أخته فيشجها** .....)

فاطمة وسعيد : (**فى تحد وشجاعة**) نعم ... قد أسلمْنا ، وآمنَّا بالله ورسوله ؛ فاصنع ما بدا لك !...

عمر : (**يرى الدم يسيل من رأس أخته ، فيرق قليلا**) أسلمتما ؟!...

فاطمة : (**تتناول صحيفتها ، وتريد أن تمضى**) نعم !...

عمر : أكنتمُا تقرآن هذه الصحيفة ؟...

فاطمة : نعم !..

عمر : أعطينى أقرأ وأنظر ما هذا الذى جاء به « محمد » ؟...

فاطمة : إنا نخشاكَ عليها !..

عمر : لا تخافى ، واللات والعُزَّى لأ ردَّنها إليك إذا قرأتها !...

فاطمة : إنك نجس على شِركك !. وإنه لا يمسُّها إلا الطاهر ؛ فاغتسل !...

عمر : أفعلُ !..

(**يذهب إلى البيت ليغتسل** ...)

سعيد (**لفاطمة**) إنك تطمعين فى إسلامه !..

فاطمة : أرجو أن يهديه الله إليه !..

خباب : (**يخرج من باب المخدع ويهمس**) ألا تتركانى أخرجُ إلى الطريق ؟!...

فاطمة : صبراً حتى ننظر ما يكون من أمر « عمر » ؛ فلو أخرجناك الآن لا نأمن أن يشعر بخروجك فيبطش بك !...

سعيد : (**يرى عمر مقبلا**) صه !... لقد عاد !...

عمر : (**يعود**) هات الصحيفة !..

فاطمة : أتطهرتَ ؟...

عمر : نعم !...

فاطمة : (**تعطيه الصحيفة**) خذ !...

عمر : (**يقرأ**) : ﴿ ... الله لا إله هو له الأسماء الحسنى * وهل أتاك حديث موسى * إذا رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس ، أو أجدُ على النار هدى * فلما أتاها نودى ، يا موسى * إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدَّس طُوًى * وأنا اخترتك فاستمعْ لما يُوحى * إننى أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدَّنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فترْدَى ﴾

(فاطمة تنظر إلى سعيد ، وينظر سعيد إليها ، وقد رأيا من هيئة عمر ورقة صوته ما استبشرا له ....)

عمر : (**كالمخاطب لنفسه**) ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !...

خباب : (**ينصت خلف باب المخدع ، فما إن يسمع عبارة عمر حتى يخرج صائحا**) : يا عمر !... والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه ؛ فإنى سمعته أمسِ ، وهو يقول : اللهمّ أيد الإسلام بـ « أبى الحكم بن هشام » أو بـ « عمر بن الخطّاب »..

عمر : (**يفكر**) ماذا تقول ؟...

خباب : (**مستحثا إياه**) الصدق .. الله ، الله يا « عمر » !...

عمر : (**يرفع رأسه**) نعم ... دلنى يا « خباب » على « محمد » حتى آتيه فأسلِم !....

خباب : هو فى بيت عند « الصفا » معه فيه نفر من أصحابه ...

(عمر يأخذ سيفه فيتوشحه ، ويمضى)

المنظر التاسع والعشرون

(فى بيت بالصفا .. محمد بين أصحابه ... البـاب يضرب عليهم ...)

أبو بكر : (**فى صوت خافت**) من الذى يضرب علينا الباب ؟...

حمزة : فليذهب أحدُنا ينظرُ من خلل الباب !..

(يذهب على بن أبى طالب فينظر ، ثم يعود فزعا .....)

على : (**للنبى وهو فزع**) يا رسول الله !... هذا « عمر بن الخطاب » متوشحاً السيف !...

أبو بكر : (**فى خوف**) اللهم اكفنا « عمر » !... إنه شديد البطش !...

محمد : (**يفكر**) عمر ؟؟...

حمزة : أيذَنْ له يا رسولَ الله !.. فإن كان جاء يريدُ خيرًا بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه !...

محمد : أذنتُ !...

(يذهب على وخلفه رجال من الأصحاب يفتحون الباب لعمر ، فيدخل عمر ويقف فى المكان دهشا واجما ، ينظر فى القوم)

محمد : (**ينهض إليه يلقاه فيأخذ بمجمع ردائه ، ثم يجبذه به جبذة شديدة**) ما جاء بك يا « ابن الخطاب » ؟... فو الله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزلَ الله بك قارعة !...

عمر : يا رسول الله !... جئتُك لأُومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله !...

محمد : (**يرسله مغتبطا**) الله أكبر !... الله أكبر !... الله أكبر !...

(محمد

أبو بكر : (فى فرح) إن « عمرَ » قد أسلم ؟...

الجميع : (يتهامسون فى فرح) قد أسلم « عمر » !...

على : (همسا لأصحاب النبى فى فرح) إن « عمر » قد أسلم !... ألا ترَون أنَّا قد عُزِّزْنا فى أنفسنا الآن بإسلام « عمر » مع إسلام عمى « حمزة » ؟... إنهما سيمنعان النبى ، وسننتصف بهما من عدونا !....

محمد : (يمسح صدر عمر) الحمد لله !... قد هداك الله يا « عمر » ... أدعو الله لك بالثبات !...

المنظر الثلاثون

(أمام دار أبى جهل ... رجال من قريش بينهم عمر بن الخطاب ....)

عمر : أىُّ قريش أنْقَلُ للحديث ؟...

قريش : (يشيرون إلى رجل مقبل عليهم) هذا المقبل علينا !...

عمر : (يلتفت) مَن ؟... « جميل بن معمر » ؟...

قريش : نعم !...

عمر : (لجميل) أقبل يا « جميل » !... أعلمتِ الخبر ؟...

جميل : (فى اهتمام) أى خبر ؟...

عمر : إنى قد أسلمتُ ، ودخلت فى دين « محمد » !...

(جميل لا يراجعه ، وينطلق لا يلوى على شىء)

قريش : (صائحين مستنكرين) أسلمتَ يا « عمر » ؟!...

عمر : أخبرونى أىّ أهل « مكة » أشد « لمحمد » عداوة ؛ حتى آتيه فأخبره

أنى قد أسلمت ؟...

(قريش ينظرون إليه فى عجب وغضب صامتين ......)

صبى : **(من بين رجال قريش)** هو « أبو الحكم بنُ هشام » ...

عمر : **(ينظر إلى القوم فى استخفاف ، ثم يتجه إلى دار أبى جهل)** أليست هذه داره ؟!...

(قريش ينظرون إليه كاظمين ما بهم)

عمر : فلنضرب عليه بابه !... **(يضرب على باب أبى جهل)** يا « أبا الحكم » !. افتح !...

أبو جهل : **(يفتح الباب)** مرحباً وأهلا بابن أختى !.. ما جاء بك ؟...

عمر : جئتُ لأخبرك أنى قد آمنتُ بالله ، وبرسولِهِ « محمد » ، وصدقت بما جاء به !....

أبو جهل : **(يضرب الباب فى وجه عمر)** قبّحك الله ، وقبح ما جئت به !...

(عمر ينصرف عن داره ضاحكا ، وإذا صوت « جميل » آت من جهة الكعبة ..)

جميل : **(من بعيد)** يا معشر « قريش » !.. ألا إن « عمر بن الخطاب » قد صبأ ...

عمر : **(وقد أصغى إلى الصوت)** كَذب !... ولكنى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأن « محمداً » عبده ورسوله !...

قريش : **(نافدى الصبر يقومون إليه ثائرين صائحين)** قاتلوا هذا الخارج عن ديننا !..

عمر : **(يستل سيفه)** مَنْ يَقْرُبنى منكم فهو هالك !...

قريش : قاتلوه !... قاتلوه !...

(يهجمون عليه ، ويقاتلونه ، ويقاتلهم ؛ حتى يعيا فيقعد ....)

عمر : افعلوا ما بدا لكم ، أحلف بالله أن لو كُنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا !...

(العاص بن وائل يقبل ويمر بالرجال المجتمعين حول عمر .....)

العاص : ما شأنكم ؟!...

قريش : صبأ « عمر » !...

العاص : فَمَهْ !... رجل اختارَ لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟..

قريش : نريد أن نقتله .. إنه يختال علينا بدين « محمد » !...

العاص : أترَوْن « بنى عدى بن كعب » يسلمون لكم صاحبَهم هكذا ؟!... خلوا عن الرجل !؟... (**يدنو من عمر**) قم معى يا « عمر » !...

(ينصرف العاص مع عمر ؛ ويبقى رجال قريش ...)

قريش : (**ينظرون إلى رجل قادم عليهم**) من هذا القادم !!...

رجل من قريش : هذا رجل غريب من « أراش » ، كان قدم « مكة » بإبل له ، ابتاعها منه « أبو الحكم » ومطَله بأثمانها !..

الأراشي : (**يقبل عليهم**) يا معشر « قريش » !... من رجل يؤدينى على « أبى الحكم بن هشام » ؟.. فإنى رجل غريب ابن سبيل ، وقد غَلَبنى على حقى !...

رجل من قريش : (**يلتفت ثم يهمس**) صهْ !... هذا « محمد » مقبل علينا !...

رجل من قريش : (**تلمع فى رأسه فكرة**) أيها الأراشى !.. أتريد رجلا يأخذ -

لك حقك ؟...

الأراشي : نعم !..

القرشي : (**يشير إلى محمد**) أترى الرجل المقبلَ علينا ؟... اذهب إليه فإنه يؤديك على « أبى الحكم » !...

قريش : (**تعجبهم الفكرة ، ويتضاحكون هازئين**) نِعمَ القول !... اذهب إليه !...

الأراشي : (**ينظر إليهم فى ريبة**) أتهزءون بى ؟...

قريش : (**يتضاحكون**) كلا ... اذهب إليه ... ما من رجل غير هذا الرجل يقضى حاجتك عند « أبى الحكم » ؛ فهو خير من يصغى إليه « أبو الحكم » !...

رجل من قريش : (**يخفى ضحكة**) وهو أحب الناس إلى « أبى الحكم » !.. وأكرم الناس على « أبى الحكم » !..

الأراشي : (**يتجه إلى محمد ، ويعترض سبيله**) يا « عبد الله » !.. إن « أبا الحكم بن هشام » قد غلبنى على حق لى قِبَله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لى حقى منه ، فأشاروا لى إليك ، فخذ لى حقى منه يرحمك الله !...

محمد : (**يشير إلى دار أبى جهل**) انطلق معى إليه !...

(**يتبع الأراشي إلى الدار ...**)

قريش : (**يتهامسون هازئين**) انظروا ماذا يصنع ؟...

محمد : (**يضرب على أبى جهل بابه**) يا « أبا الحكم » !...

أبو جهل : (**من داخل البيت**) مَنْ هذا ؟...

محمد : « محمد » !... فاخرج إلىّ !...

أبو جهل : (**يفتح ويخرج وقد امتقع لونه**) أنت !!...

محمد : (**يشير إلى الأراشي**) أعط هذا الرجل حقه !...

أبو جهل : (**في رعدة**) نعم ... لا تبرح حتى أعطيه الذى له ...

محمد : أسرِعْ !...

(**يدخل أبو جهل داره ويخرج بمال الأراشي ويدفعه إليه ....**)

أبو جهل : (**للأراشي**) خذ مالك !...

(**ثم يدخل بيته سريعا ...**)

محمد : (**للأراشي**) أهذا حقك ؟...

الأراشي : (**وهو يحصي المال**) نعم !...

محمد : الحق بشأنك !...

(**ينصرف النبي ....**)

الأراشي : (**يقبل على مجلس قريش**) جزاه الله خيراً ... فقد والله أخذ لي حقي !...

(**ينصرف مسروراً ...**)

قريش : (**لبعضهم بعضا وقد وجموا مما رأوا**) أرأيتم ؟!...

رجل من قريش : عجباً من العجب !... واللات ، ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج إليه ، وما معه روحُه !...

أبو جهل : (**يخرج في حذر ويمر بهم**) ماذا تقولون ؟!..

قريش : (**لأبي جهل**) ويلك ... ما لك !.. واللات ، ما رأينا مثْلَ ما صنعت قط !...

أبو جهل : ويحكم!.. واللات؛ ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي، وسمعتُ صوته ، فملئت منه رعباً ، ثم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه

لفحلاً من الإبل ، ما رأيت مثل هامتِه ، ولا قصَرَتِه ، ولا أنيابه ؛ — لِفحل قط !... لو أبيتُ لأكلني !...

قريش : واللات ، ما كان معه فحل قط !... لقد شبه لك من الروع يا « أبا الحكم » ...

المنظر الحادى والثلاثون

(عند العقبة ، فى موسم الحج ، محمد يلقى رهطا من العرب ....)

محمد : من أنتم ؟!...

القوم : نفر من « الخزرج » ...

محمد : أمن مَوالى « يهود » ؟...

القوم : نعم !...

محمد : أفلا تجلسونَ ، أكلمكم ؟...

القوم : بلى ...

(يجلسون إليه ....)

محمد : أنا رسول الله ، بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علىّ الكتاب ، فهل تبايعوننى على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان ؟... فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً ، فأخذتم بحده فى الدنيا كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ؛ — فأمركم إلى الله عز وجل : إن شاء عذَّب ؛ وإن شاء غفر !...

(ينهض أحد القوم وهو أسعد بن زرارة)

أسعد : يا قوم !... تعلمون والله أنه للنبى الذى توعدكم به « يهود » ، فلا تسبقنكم إليه !...

القوم : صدقت !...

أسعد : أيها النبى !... إنا نقبل منك ما عرضت علينا من هذا الدين ...

القوم : نعم ... نقبل منك ونصدقك !...

محمد : الله أكبر !...

أسعد : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم ، وعسى أن يجمعَهم الله بك ، فسنُقْدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجلَ أعزَّ منك ...

المنظر الثانى والثلاثون

(دار الندوة التى تجتمع فيها قريش للمشاورة .... إبليس فى ثياب شيخ نجدى جليل ، يدخل الدار وهي خالية ، فتلقاه حية تظهر فى الحائط ....)

الحيَّة : (**تصيح به**) ... « إبليس » فى لبوس شيخ من « نجد » ؟!...

أبليس : لا تصيحى أيتها الضئيلة !...

الحيَّة : ماذا جئت تصنع فى « دار الندوة » ؟...

إبليس : أريد « محمداً »!..

الحيَّة : تريد به الهلاك ؟!...

إبليس : أريد لنفسى الحياة !...

الحيَّة : ماذا صنع بك ؟...

إبليس : سيغير وجه الأرض !...

الحيَّة : كيف ؟...

إبليس : نور يخرج من قلبه يضيء الأرض !...

الحيَّة : وما يضيرك هذا ؟...

إبليس : يُعمى بصرى هذا النورُ !...

الحيَّة : أطفئه من قلبه !...

إبليس : لا سلطانَ لى على مثل هذه القلوب !...

الحيَّة : قلب لا ككل القلوب ، إنى لأذكر أمره ، لقد أتاه الملكانِ وهو صغيرٌ بطست من ذهب مملوء ثلجا ، فأخذاه فشقَّا بطنه ، واستخرجا قلبه ، فشقاه ، فاستخرجا علَقة سوداء ، فطرحاها ، ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى أنقياه ...

أبليس : العلقة السوداء ؟...

الحيَّة : تلكَ رسولُك فى كل قلب !...

إبليس : تباً له !... تبًّا له !...

الحيَّة : كما كنت أنا رسولك إلى أوَّل قلب !...

إبليس : حوَّاء ؟...

الحيَّة : ذاك يوم ملعون إلى أبد الآبدين !..

إبليس : أتندمين ؟...

الحيَّة : ماذا جنيتَ من كل هذا ؟...

إبليس : قلتُ لكِ : تلك حياتى !...

الحيَّة : حياة ملعونة فى كل زمان !...

إبليس : ويل للنفاق !... ويل للنفاق !..

الحيَّة : نفاقك ؟...

إبليس : بل نفاق من يلعننا !...

الحيَّة : كنت أودُّ أن تفتِنَ غيرى !...

إبليس : أود أن أفتن هذا الرجل !...

الحيَّة : إنك تقول أنْ لا سبيلَ لك عليه ؟!...

إبليس : تباً لى !..

الحيَّة : إنه ليس كغيره من الناس !...

إبليس : تباً له !...

الحيَّة : لقد وزنه الملكان وهو صغير بعشرة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بمائة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بألف من أمته فوزنهم ، فقالا : والله لو وزنّاه بأمته كلها لوزنها !...

إبليس : صه !... إنهم قادمون !...

الحيَّة : من هم ؟...

إبليس : ادخلى جُحرك ، ولا تخِذَنَّ لغة القوم !..

(الحية تختفى ، ويقف إبليس بباب الدار ، ويدخل أشراف قريش ....)

أبو سفيان : (**لإبليس**) مَن الشيخ ؟...

إبليس : شيخ من أهل « نجد » سمع بالذى اتَّعَدتُم له فحضر معكم ؛ ليسمع ما تقولون ، عسى ألا يُعْدِمكم منه رأياً ونصحاً !..

أبو جهل : أجل ... فادخل !...

(إبليس يدخل معهم ، ويجمعون فى دائرة ....)

أبو سفيان : (**لأبى جهل**) تكلم يا « أبا الحكم » !...

أبو جهل : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، ولقد علمتم أن « عمر

ابن الخطاب » وهو أقوى « قريش » شكيمة قد اتبعه ؛ كما اتَّبعه « حمزة » وإنه ليلقى الناس فى مواسم الحج ؛ يعرض عليهم دينه ، ويزيِّن إليهم أن يتبعوه ؛ إنا ، واللات ، ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعة من غيرنا !... فأجمِعوا فيه رأياً ...

أمية بن خلف : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه — من الشعراء الذين كانوا قبله : « زهير » أو « النابغة » ومن مضى منهم — من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم !...

إبليس : لا ... واللات ما هذا لكم برأى !... واللات ، لئن حبستموه — كما تقولون — ليخرُجَنَّ أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ؛ فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينترعوه من أيديكم : ثم يُكاثِرُوكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ... فانظروا فى غيره !..

أبو سفيان : (**يتفكر قليلا**) نخرجه من بين أظهُرِنا ، فننفيه من بلادنا ؛ فإذا أخرج عنا ، فو اللات ، ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت !...

إبليس : لا .. واللات ما هذا لكم برأى !... ألم تروا حسنَ حديثِهِ وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟... واللات لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحُلَّ على حى من العرب ، فيغلبَ عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم ، فيأخذ أمركم من

أيديكم ؛ ثم يفعل بكم ما أراد !... دبروا فيه رأياً غير هذا !...

أبو جهل : (**بعد تفكير**) واللات ، إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ...

أبو سفيان : وما هو يا « أبا الحكم » ؟..

أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتىً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطى كلَّ فتىً منهم سيفاً صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعاً ، فلم يقدر « بنو عبد مناف » ، على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقلِ فعقلناه لهم !...

إبليس : (**مبتهجا**) القول ما قال الرجل ... هذا الرأى الذى لا أرى غيره !..

(**يتفرق القوم على ذلك ، وهم مجمعون له**)

المنظر الثالث والثلاثون

(**عند العقبة ليلا ... الخزرج مجتمعون خفية فى الشعب ، العباس بن عبد المطلب ومحمد يقبلان .....**)

العباس : أوَقدْ واعدوك يا ابن أخى ها هنا ؟...

محمد : نعم !...

العباس : إنى أحببتُ أن أحضُر أمرَك وأتوثَّق لك ؛ فإنْ كانوا حقاً قادرين على أن يمنعوك ، ويقوموا معك ، ويخرجوا بك إلى بلادهم : فإنهم والله نعم الأنصار !...

محمد : إنهم مجتمعون خفية فى الشّعب !..

العباس : (**ينظر إلى القوم**) هؤلاء ؟... إن عددهم والله لكثير !...

محمد : (**للقوم**) السلام عليكم !...

القوم : (**ينهضون**) وعلى النبى السلام والرحمة الله !..

العباس : (**يدنو منهم ، ويقول فيهم**) يا معشر الخزرج !... إن « محمداً » منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ؛ ممن على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوقَ بكم ؛ فإن كنتم تروْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ؛ — فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم تروْنَ أنكم مُسلمُوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ؛ — فمن الآن فدَعُوه ؛ فإنه فى عز ومنعَةٍ من قومه وبلده !..

الخزرج : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ؛ فخذ لنفسك ولربك ما أحببت !...

محمد : أبا يِعُكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ؟...

(**أحد القوم ، وهو البراء بن معرور ، يأخذ بيدى النبى ....**)

البراء : نعم ... والذى بعثك بالحق ، لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا ؛ — فبايعْنا يارسول الله ، فنحنُ والله أهل الحروبِ وأهلُ الحَلقة : ورِثناها كابراً عن كابر !..

(**ينهض رجل آخر من الخزرج هو الهيثم بن التيهان ...**)

الهيثم : يا رسول الله !... إن بيننا وبين اليهود حبالا ، وإنا قاطعوها ، فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ؛ أن ترجعَ إلى قومك وتدَعنا ؟!..

محمد : (**يبتسم**) بل الدمَ الدمَ ، الهدمَ الهدم .. أنا منكم وأنتم منى : أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم !...

(**ينهض العباس بن عبادة .....**)

ابن عبادة : (**لقومه**) يا معشرَ الخزرج !... هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل ؟...

الخزرج : نعم !...

ابن عبادة : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبةً وأشرافُكم قتلا ؛ أسلمتموه ؛ فمن الآن ، فهو والله — إن فعلتم — خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نَهكَة الأموالِ ، وقتلِ الأشراف ، فخذوه ؛ والله خير الدنيا والآخرة !...

الخزرج : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . (**للنبى**) : فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا ؟...

محمد : الجنة !...

الخزرج : ابسط يدك !...

(**محمد يبسط لهم يده** ....)

الخزرج : اللهم اشهد !... إنا بايعناك !...

محمد : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً ؛ ليكونوا على قومهم بما فيهم !...

الخزرج : (**يخرجون اثنى عشر رجلا منهم**) هؤلاء يا رسول الله !...

محمد : (**للنقباء**) أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ؛ ككفالة الحواريين لـ « عيسى ابن مريم » ، وأنا كفيل على قومى المسلمين !...

النقباء : نعم يا نبى الله !...

(**يرتفع فجأة صوت صارخ من رأس العقبة**)

الصوت : يا أهل الجباجب !.. هل لكم فى مذمم والصباء معه ... قد اجتمعوا على حربكم !!...

العباس : هذا الشيطان يصرخ من رأس « العقبة »!...

(**الجميع يلتفون ويصيحون** ...)

محمد : نعم ... هـذا « ابـن أريب » !.. استمـع ، أيْ عـدوّ الله !... والله لأُفرغـنّ لك !...

الخزرج : نعوذ بالله منه !...

محمد : (**للقوم**) ارْفَضُّوا إلى رِحالِكم !...

ابن عبادة : والله الذى بعثكَ بالحق ، إن شئتَ لنميلنَّ على أهل « مِنى » غداً بأسيافنا !..

محمد : لم نؤمر بذلك ... ولكن ارجعوا إلى رحالكم ...

المنظر الرابع والثلاثون

(**ليلة الهجرة** ... **النبى فى داره** ...)

جبريل : (**للنبى**) لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه !...

(**يرتفع الوحى** ....)

على بن أبى طالب : (**يدخل هامسا**) ألمحُ فى عَتْمةِ الليل رجالاً قد اجتمعوا على بابك ، ما أحسبهم إلاّ يرصدونك حتى تنام ، فيثبُونَ عليك ...

محمد : نم على فراشى « وتسج » . بِبُردى هـذا ، الحضرمـىّ الأخضر ! ... فنم فيه ، فإنه لنْ يخلُصَ إليك شىء تكرهه منهم ...

(**على يفعل ما أمره به النبى** ...)

أبو جهل : (**يهمس بين الرجال على باب النبي**) أكره أن يُفلتَ منا الليلة ؛ كما أفلت مني يوم احتملتُ الحجر ، أريدُ فضخَ رأسه فى المسجد !..

أمية : وكيف أفلت منك يومئذ ؟!...

أبو جهل : (**هامسا**) ما أدرى واللات !... لقد أقبلتُ نحوه حتى إذا دنوت منه رجعت مرعوباً وقدَ يبست يَداى على حَجَرى حتى قذفته من يدى ؛ فقد عرض لى دونه فحلٌ من الإبل ، لا واللات ، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحلٍ قط ؛ فهمَّ بى أن يأكلنى !..

أمية : سَحرك يا « أبا الحكم » !؟...

أبو جهل : إن كان قد سَحرنى يومئذ فما أحسبه يستطيع ذلك الليلة معكم جميعاً !..

أمية : أرى أنه قد نام !...

أبو سفيان : (**يتطلع إلى مكان النبى**) إنه نائم فى برده الأخضر الذى ينام فيه !..

أبو جهل : إن « محمداً » يزعم إن إنكم تابعتموه على أمره ، كنتم ملوكَ العرب والعجم ، ثم بُعِثْتم من بعد موتكم فجُعِلتْ لكم جنانٌ كجنان الأردنُ ، وإن تفعلوه كان له فيكم ذَبح .. ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلتْ لكم نارٌ تُحرقون فيها ...

(**محمد يخرج عليهم آخذاً حفنة من تراب فى يده ...**)

محمد : (**هامسا**) نعم ... أنا أقول ذلك ... أنت أحدهم !..

(**ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو :**)

﴿ يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيلَ العزيزِ الرحيم * لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حقَّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مُقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فاغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾

(**ينصرف النبي ، وهم كالنائمين لا يبصرون**)

راع : (**يمر بهم**) يا معشر قريش !...

قريش : (**لا تراه**) ؟...

الراعي : (**لقريش**) ما تنتظرونَ ههنا أيها الناس ؟...

الجميع : (**كأنما أفاقوا ، يهمسون**) « محمدًا » !...

الراعي : قد والله خيَّبكم الله ... خرج عليكم « محمد » ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضعَ على رأسه ترابًا ، وانطلق لحاجته ... أفما ترَوْن ما بكم ؟...

الجميع : (**يضع كل منهم يده على راسه**) حقًا ... هذا تراب !... ما هذا التراب ؟....

(**يتطلعون إلى فراش النبي ، وفيه عليّ فى برد رسول الله ...**)

أبو جهل : (**متطلعا**) واللاتِ ، إن هذا « لمحمد » ... نائماً عليه برْدُه !...

الراعي : (**كالمخاطب لنفسه**) إن « محمدًا » قد هاجر أيها الغافلون !!...

المنظر الخامس والثلاثون

(**فى غار ثور ـــ محمد وأبو بكر ، ومعهما عبد الله بن أريقط يهديهما الطريق ....**)

ابن أريقط : (**يلتفت ثم يهمس**) لقد أدركنا !...

أبو بكر : أترى أحداً مقبلاً ؟!...

ابن أريقط : (**وهو ينظر إلى بطن الصحراء**) أرى فتيان « قريش » مقبلين : من كل بطن رجل ، بأسيافِهم وعصيِّهم وهَراواتهم !...

(**محمد يطرق مفكراً صامتا ....**)

(محمد)

أبو بكر : (**خائفا واجف القلب**) رحمَتَك اللهم !...

ابن أريقط : (**فى همس**) صه !... لقد دَنَوا منا !...

(**تعلو أصوات قريش** .....)

قريش : (**متصايحة**) هذا « غار ثور » !...

بعض من قريش : (**متصايحون**) إنهما فى « غار ثور » !...

بعض آخر : إلى باب الغار !... إلى باب الغار !...

ابن أريقط : (**همسا**) هذا أحدُهم عند الباب !...

(**محمد يرتعد قليلا ، وينظر فى صمت** ....)

رجل من قريش : (**يصيح**) إن على الباب العنكبوتَ قبلَ ميلادِ « محمد » !...

(**يذهب هذا الرجل من حيث أتى** ...)

أبو بكر : (**فى رجاء هامسا**) لقد ذهب !...

قريش : (**تصيح**) لا أثر لهما فى هذه البطون !... فلينظر أحدُنا فى الغار !...

ابن أريقط : (**همسا**) وهذا واحدٌ آخر منهم مقبلاً علينا !...

(**أبو بكر يرتجف فى صمت** .....)

محمد : لا تحزن !... إن الله معنا !...

رجل من قريش : (**ينظر إلى فم الغار ثم يمضى**) عجبًا !.. حمامتان وحشيتان !...

قريش : مالك لم تنظرْ فى الغار ؟...

الرجل : ليس فيه أحد !...

قريش : كيفَ عرفتَ ؟...

الرجل : (**وهو عائد إليهم**) رأيتُ حمامتين وحشيتين بفَم الغار ،

فعرفتُ أنْ ليس فيه أحدٌ ...

أبو بكر : (**هامسا فى رجاء**) لقد درَأَ الله عنّا !...

ابن أريقط : (**ينظر**) إنهم ينصرفون !...

أبو بكر : (**فى فرح**) لقد درأ الله عنا !...

ابن أريقط : لقد ذهبوا وابتعدوا !...

محمد : الحمد لله !... الله أكبر !...

أبو بكر (**ينهض فيسوى بيده مكانا ينام فيه محمد ، ثم يبسط عليه فروة ...**)

: نَم يا رسول الله وأنا أنفضُ لك ما حولك ...

محمد : (**وهو يرقد متعبا فى المكان الذى هيأه أبو بكر**)نعم !...

ابن أريقط : (**همسا لأبى بكر**) هذا راع مقبلاً بغنمه على الغار !...

أبو بكر : ما يريد ؟...

ابن أريقط : إنه ليريدُ منه الذى أرَدْنا ؛ فهو خيرُ ملجإٍ له ولغنمه ...

أبو بكر : (**يخرج من الغار**) لمَنْ أنتَ يا غلام ؟...

الراعى : لرجلٍ من أهل المدينة !...

أبو بكر : (**يلتفت إلى غنمه**) أفى غنمك لبَن ؟...

الراعى : نعم !...

أبو بكر : أفتحلُب لى ؟...

الراعى : نعم !...

(**يأخذ الراعى شاة ...**)

أبو بكر : انفض الضَّرْعَ من الشَّعر والترابِ والقذَى !...

(**الراعى يحلب فى قعب معه .....**)

ابن أريقط : (**همسا لأبى بكر**) هوَ نائم !...

(يكره أبو بكر أن يوقظ النبى ، فيقف باللبن حتى يستيقظ .....)

أبو بكر : **(للنبى وقد فتح عينيه)** يا رسول الله !... اشرب !...

محمد : **(يشرب حتى يرتوى)** ألم يأنِ للرحيل ؟...

أبو بكر : **(للدليل)** يا ابن أريقط !.. ألم يَأنِ للرحيل ؟..

ابن أريقط : **(ينظر إلى الفضاء)** نعم ... لقد زالتِ الشمسُ ...

أبو بكر : هَيِّيء الراحِلتَين !...

(محمد ينهض ، وينهض معه أبو بكر ، ويتهيآن للرحيل .....)

ابن أريقط : **(يأتى بالراحلتين إلى فم الغار)** اركبا !...

أبو بكر : **(للنبى مشيراً إلى أفضل الراحلتين)** اركب فِداكَ أبى وأمى !...

محمد : إنى لا أركب بعيرًا ليس لى !...

أبو بكر : هِىَ لكَ يا رسولَ الله بأبى أنت وأمى !...

محمد : لا ... ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟...

أبو بكر : أربعمائةِ درهم !...

محمد : قد أخذتُها به ...

أبو بكر : هى لكَ يا رسولَ الله ...

(يركب محمد على راحلة ، ويركب أبو بكر على الراحلة الأخرى ، ويردف خلفه ابن أريقط ، وينطلقون .....)

المنظر السادس والثلاثون

(فى الطريق — على مقربة من خيمتى أم معبد — النبى وأبو بكر ودليلهما على راحلتيهم ....)

أبو بكر : (لابن أريقط) من يعدو فى أثرِنا ؟...

ابن أريقط : (يلتفت) هذا فارس فى سلاحه ، قد لحق بنا !...

أبو بكر : (فى فرق) قد أُتِينا ...

محمد : لا تحزن !... إن الله معنا !...

ابن أريقط : (يلتفت) لقد عثر به فرسُه فسقط عنه !...

الفارس : (يصيح خلفهم) أنا « سُراقة بن جعْثم » !... انظرونى أكلمكم ؛ فوالله لا أريبُكم ، ولا يأتيكم منّى شيء تكرهونه !..

محمد : (لأبى بكر) قل له : وما تبتغى منّا ؟..

أبو بكر : (صائحا لسراقة) ما تبتغى منّا ؟...

سراقة : إنى قد علمت أنكما دعوتما علىَّ فسقطتُ عن فرسى ، فادعُوا لى ؛ فالله لكما أن أردَّ عنكما الطلب ....

أبو بكر : (ينظر إلى النبى فيراه يدعو له) إن رسولَ الله قد دعا لك !...

سراقة : لقد جعلتْ قريشٌ فى « محمد » مائةَ ناقةٍ لمن رَدَّهُ عليهم ... وكنتُ أرجو أن أردَّه على قريش فآخذ المائة الناقة ، فخرجتُ فى أثركم كما تروْن ، ولكننى عرفت الآن أن « محمدًا » قد منع منى وأنه ظاهر ... وإنى لأبتغى منه شيئًا !...

أبو بكر : ماذا ؟...

سراقة : يكتب لى كتابًا يكون آيه بينى وبينه ... حتى إذا أظهره الله وكانت لى حاجة ، التمستها إليه فعرفنى !..

محمد : (**لأبى بكر**) اكتب له يا « أبا بكر » !...

أبو بكر : (**يكتب لسراقة عهداً فى عظم ويلقيه إليه** !...) خذ !...

سراقة : (**يأخذه فيضعه فى كنانته ، ويرجع من حيث أتى**) سأرجع لأردَّ عنكم مَن يلتمسكم !...

(**يذهب** ......)

أبو بكر : (**يرى خيمتى أم معبد**) هذه « أم معبد » بين خيمتيها ، ألا نسألُها طعامًا ؟...

(**يلتفت إلى النبى فيرى على وجهه الموافقة**) أصبتَ !..

(**ثم ينزلون عن راحلتيهم ويقبلون على أم معبد ويقرئها النبى السلام ، ويفعل مثله من معه** ......)

ابن أريقط : (**يرى كلأ وعشبا ، على مقربة من الخيمتين**) ها هنا رزقٌ للدَّابَّتيْن !...

أبو بكر : (**لأم معبد**) أما عندكِ تمرٌ أو لحمٌ ؛ نشترى ؟..

أم معبد : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزَكم القِرَى !...

محمد : (**ينظر إلى شاة فى كسر الخيمة**) ما هذه الشاة يا « أم معبد » ؟..

أم معبد : هذه شاة خلَّفها الجَهْدُ عن الغنم !...

محمد : هل بها من لبن ؟...

أم معبد : هى أجْهدُ من ذلك !...

محمد : أتأذَنين لى أن أُحْلبها ؟...

أم معبد : نعم : بأبى أنت وأمى ، إن رأيتَ بها حلبًا ...

محمد : (**يدعو الشاة ويمسح ضرعها**) بسم الله !... اللهم بارك لها فى شاتها !..

(**تتفاج الشاة ، وتدر ، وتجتر** ...)

أبو بكر : إناءَكِ يا « أم معبد » ؟...

(محمد يجلس للشاة ، ويتناول إناء من أم معبد فيملؤه لبنا ....)

أم معبد : ما أعجبَ الذى أرى !...

أبو بكر : لا تعجبى !...

محمد : **(يسقى أم معبد)** اشربى يا « أمَّ معبد » !...

أم معبد : **(تشرب حتى تروى)** جُزِيتَ خيرًا ...

محمد : **(يسقى أبا بكر)** اشرب يا « أبا بكر » !...

أبو بكر : وأنت يا رسول الله ؟...

محمد : ساق القوم آخرهم !...

(يشرب النبى آخر من شرب ....)

ابن أريقط : أمَا وقدْ روينَا فلنرحلْ !...

محمد : نعم .. جزاكِ الله خيرًا يا « أم معبد » !..

(يرحلون بعد أن يودعوا أم معبد .)

أم معبد : **(تنظر إليهم صامتة فى عجب ؛ حتى يغيبوا عن بصرها)** على خير طائر !...

أبو معبد : **(زوجها يأتى يسوق أعنزًا عجافا هزلى ، فيرى اللبن فى الإناء)** عجبًا !.. من أين لكم هذا والشاة عازِبة ، ولا حلوبَةَ فى البيت ؟..

أم معبد : لا والله .. إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك ، ما مَسحَ ضَرع الشاة بيده حتى تفَاجَّتْ وأَدَرَّتْ واجترَّت ، وأتيتُ له با لإناء فحلب فيه ثجًّا إلى أن غلبه الثُّمال فسقانى فشربتُ حتى رَويت ، وسقى صاحبيه حتى رَويا ، وشرب هو آخرَهم !...

أبو معبد : صِفيه لى يا « أمَّ معبد » !..

أم معبد : هو رجل ظاهر الوَضاءة متَبَلِّجُ الوجه ، حَسنُ الخَلْق ، وَسِيم

قَسيم ، فى عينيه دَعَج ، وفى صَوته صحَل ، ليس بالطويل المُمْغِط ، ولا القصير المتردِّد ، ولا با لجَعْدِ القَطط ولا السَّبِطِ ، شديد سواد الشعر ، فى عنقة سَطَعٌ وفى لحيته كثافة ، إذا مشى تقلَّع ؛ كأنما يمشى فى صبَب ، وإذا صمتَ فعليه الوَقار ، وإذا تكلم سما ، وعَلاهُ البَهاء، حلو المنطق: فَصْلٌ، لا نَزرٌ ولا هَذْرٌ، غصن بين غصنين ، فهو أنضَرُ الثلاثةِ منظرا ، وأحسنهم قدرًا ، وهما يَحُفان به ، إذا قال استمعا لقوله ، وإن أمر تبادَرَا إلى أمْره،محفود مَحْشُود ، لا عابسٌ ولا مُفْنِدٌ !...

أبو معبد : (**يتفكر ثم يصيح**) هذا والله صاحبُ قريش ، الذى ذُكر لنا من أمره ما ذُكر .. ولو كنتُ وافقْتُه يا « أمّ معبـد » لا لتمسْتُ أن أصحَبه .. (**يفكر**) ولأفعَلَنَّ إن وَجدتُ إلى ذلك سبيلاً .

الفصل الثانى

المنظر الأول

(فى يثرب ..... جمع من الأنصار والمهاجرين ينتظرون على أبواب المدينة فى حمارة القيظ .....)

الأنصار : ألم يقدم بعد ؟...

المهاجرون : نرجو أن يقدم اليوم !..

يهودى : (**من بينهم**) كل يوم تقولون هذا ...

عبد الله : (**من الأنصار**) والله إنا لنخرج فى أول النهار من كل يوم ؛ نتحين قدومه ، حتى تحرقنا الشمس ، فنرجع إلى منازلنا وما قدِم !...

أبو أيوب : (**من الأنصار**) صبرًا يا « عبد الله » !..

عبد الله : والله لا أجد بى صبرًا ... أريدُ أن أنظر إليه وأرى وجهه ...

أبو أيوب : أنا أيضًا ... والله أبغى رؤية ذلك الذى ملأ قلوبنا بالهدى !...

عتبان : (**من الأنصار**) صدقتما والله !... لقد اتبعناه وأحببناه وما رأيناه !...

اليهودى : أو سَمعتم بمخْرجه وحده ؟...

سعد : (**من المهاجرين**) لقد سمعنا بمخرَجِه من « مكة » هو و « أبو بكر » !..

سليط : (**من المهاجرين**) إن الشمس قَد غلبتنا على الظلاَلِ و لم يبق ظل ، فلندخل بيوتَنا فما أحسبَه آتيًا اليوم !..

الجمع : (**ينهضون**) نعم ، فلندخل بيوتنا !...

(**ينصرفون إلى بيوتهم ، ما عدا اليهودى فإنه صعد إلى أكمة لبعض شأنه ، ولا يكادون يدخلون منازلهم حتى تقبل الراحلتان وعليهما محمد وأبو بكر وابن أريقط ......**)

اليهودى : (**يلتفت من أعلى الأكمة ، فيرى القادمين ، فيصرخ بـأعلى صوته**) يا بنى قَيْلة !... هذا صاحبُكم قد جاء !...

المسلمون : (**من كل بيت يصيحون**) الله أكبر ... الله أكبر !...

(**ثم يهرعون خارجين يستقبلون النبى ......**)

(**محمد ينزل عن راحلته ، ويجلس مع أبى بكر فى ظل نخلة ....**)

الناس : (**من نساء وصبيان وإماء يصيحون**) جاء نبى الله !... جاء نبى الله !...

(**الحصين بن سلام ، وهو من يهود يقبل مع عمته خالدة ليرى محمدًا ....**)

الحصين : (**يصيح فى حماسة**) الله أكبر !...

خالدة : خيَّبك الله !... والله لو كنتَ سمعت بـ « موسى بن عمران » قادمًا ما زدتَ !...

الحصين : أىْ عمة !... هو والله أخو « موسى بن عمران » وعلى دينه ، بعث بما بعث به !...

خالدة : يا ابنَ أخى ، أهو النبى الذى كنا نُخبَر أنه يبعَث مع نفْس الساعة ؟...

الحصين : نعم !...

خالدة : (**تلتفت إلى ناحية محمد**) فذاك إذَن !...

الحصين : هَلُمِّى نراه !...

خالدة : (**ناظرة إلى محمد وأبى بكر**) أيهما « النبى » ؟... وأيهما أبو بكر ؟...

الحصين : (**ناظرًا إليهما**) لقد زال الظلُّ عن أحدِهما ، فقام الآخر إليه يُظِلُّه بردائه ...

خالدة : (**تشير إلى النبى**) هو إذن هذا !...

الحصين : (**يطيل النظر إلى محمد**) نعم !... والله أرى وجهَه ليس بوجهِ كذّاب !...

(**المسلمون من أنصار ومهاجرين يقبلون على النبى من كل مكان يسلمون عليه ..**)

الناس : يا رسولَ الله !... جئتَنا بالهدى ... اهدنا إلى الله ؟...

محمد : أيها الناس !.. أفشُوا السلام ، وأطعِموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصلّوا والناس نيام ؛ وادخلوا الجنة بسلام !...

(**ينهض إلى راحلته ومعه أبو بكر .....**)

المسلمون : اركب آمنًا مطاعًا !...

(**ثم يحيطون بالنبى ، وقد وضع النبى للناقة زمامها ....**)

الناس : (**من نساء وصبيان وإماء يصيحون فرحين**) نبى الله جاء !... نبى الله جاء !...

بنو سالم : (**يعترضون سبيل النبى**) أقِمْ عندنا يا رسولَ الله !.:. فى العَدَد والعُدَّة والمنَعَةِ! !... أنأخُذ بخطَام الناقةِ ؟...

محمد : (**وهو يشير إلى الدابة**) خلُّوا سبيلها ؛ فإنها مأمورة !...

(**يتركونها ، ويسير قليلا فيعترضه قوم آخرون من**

الأنصار ...)

بنو الحارث : هلَّم يانبىَ الله إلى القوةِ والمَنعة والثروةِ !.. (**يمسكون بخطام الراحلة**)

محمد : إنها مأمورة فخلُّوا سبيلَهَا !..

بنو عدى : (**يعترضون الناقة كذلك**) يا رسولَ الله !... هلم إلى العَدَدِ والعدَّةِ والسلاح !...

محمد : خلوا سبيلهَا فإنها مأمورة !...

(**تسير الناقة ، حتى تقف على مربد فتبرك**)

الناس : (**فى همس**) لقد بركت الناقة !...

محمد : (**يسأل من حوله**) لمن المْربدُ ؟..

معاذ بن عفراء (**يتقدم**) هو يا رسول الله لـ « سهل » و « سهيل » ابنى « عمرو » !..

محمد : (**همسا**) يا « أبا بكر » !

(**ثم يلقى فى أذنه كلاما** ......)

أبو بكر : (**لمن حوله**) سيبتاع النبىُّ هذا المرْبد ويرضيهما منه ... فهنا يبنى مسجد الله ومسكن رسوله !..

المنظر الثانى

(تحت نخلة لأحد اليهود ... سلمان الفارسى وعبد من العبيد يتحادثان ....)

العبد : (**لسليمان**) لقد قصصتُ عليك أمرى ؛ فقُصَّ علىَّ أمرك ...

سلمان : (**كالمخاطب لنفسه**) والله إن أمرِى لعجَب !...

العبد : أين كنتَ قبل أن يبتاعك هذا اليهودى ؟..

سلمان : كنتُ رجلا فارسيًا من أهل « أصبهان » ، من قرية يقال لها « جى » وكان أبى « دَهْقانَ » قريته ، وكنت أحبَّ خلق الله إليه ، ولم يزلْ به حبُّه إيایَ حتى حبسنى فى بيته كما تحبسُ الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنتُ « قطَن » النار الذى يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة ... وكان لأبى ضيعةٌ عظيمة . فأمرنى فيها يومًا ببعض ما يريد ، فخرجت إليها فمررتُ بكنيسةٍ من كنائس النَّصارى ، فسمعت أصواتهم فيها يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمرُ الناس ، لحبس أبى إيایَ ، فلما سمعت أصواتهم ، دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدِّين الذى نحن عليه ، فسألتهم : أين أصلُ هذا الدين ؟... قالوا : بالشام !..

فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من « الشام » فأخبرونى ... ثم رجعت إلى أبى ، وقد غربت الشمس ، فسألنى أين كنت .. فأخبرته بما رأيت فقال : أى بُنَىَّ ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودينُ آبائك خيرٌ منه . قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا ، فجعل فى رجلى قيدًا ،

ثم حبسنى فى بيته .

فبعثتُ إلىّ النصارى ، فأخبرونى بقدوم ركب من تجار الشام ، فألقيت الحديد من رجلىَّ وخرجتُ معهم حتى قدمت الشام فسألت : من أفضل أهل هذا الدين علمًا ؟... قالوا : الأسقف فى الكنيسة ، فجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين . فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ؛ فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل !... فدخلت معه وكان رجلَ سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ؛ فإذا جمعوا إليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبعَ قِلالٍ من ذهب وَوَرِق ، فأبغضته بُغضًا شديدًا ، ثم مات .

فاجتمعتْ إليه النصارى ليدفنوه ؛ فأخبرتهم عما رأيته يصنع ، وأريتهم موضع كنزِه ، فلما استخرجوه قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيتُ أزهدَ منه فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة ، ولا أدْأب فى الصلاة ليلا ولا نهارًا منه ، فأحببته حبًا لم أُحببه شيئًا قبله ، فأقمت معه زمانا ، ثم حضرَته الوفاة ، فقلت له : لقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فإلى من توصى بى ، وبم تأمرنى ؟... قال : يا بُنَى والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدَّلوا وتركوا ما كانوا عليه ، إلا رجلا « بالموصل » ، دلَّنى عليه ، وأوصانى أن ألحق به .

ثم مات وغيب فلحقت بصاحبِ « الموصل » ، وأخبرته بما كان من أمرى ، فقال لى : أقم عندى ، فأقمتُ عنده فوجدته خير رجلٍ ، ولم يلبث أن حضرته الوفاة ، فأوصانى أن ألحق برجل من

أهل « نصيبين » ، ففعلت .

ثم حضر موتُ صاحب « نصيبين » أيضًا ، فأمـرنى بالذهاب إلى رجل « بعمورية » من أرض الروم ، فلحقت بصاحب « عمورية » ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه ، واكتسبتُ عنده حتى كانت لى بقراتٌ وغنيمة ، ثم نزل به أمرُ الله ، فسألته إلى من توصى بى ، فقال : يا بنى ، والله ما أعلم اليوم أحدًا على مثل ما كنا عليه ، ولكنه قد أظل زمانُ نبي ، وهو مبعوثٌ بدين « إبراهيم » عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجراً إلى أرضٍ بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لاَ تخفى ، يأكُل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلادِ فافعلْ !...

ثم مات وغيب ، فمكثت « بعمورية » حتى مرَّ بى نفرٌ تجارٌ ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب ، وأعطيكـم بقراتى هذه ، وغنيمتى هذه قالوا : نعم !... فأعطيتهم إياها ، وحملونى معهم حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى لرجل يهودىٍّ عبدًا ، فكنت عنده ورأيت النَّخلَ فرجوتُ أن يكون البلدَ الذى وصف لى صاحبى . فبينما أنا عنده ، إذ قدم عليه من المدينة ابن عمه وهو سيدى « عازَر » هذا ، فابتاعنى منه واحتملنى إلى هنا ، فوالله ما هو إلاَّ أن رأيتها حتى عرفتها بصفة صاحبى !...

اليهودى عازر : (يقبل) ما بالكما قد تركتما العمل فى رأس الغَدَق ، وجلستما هذا المجلس ، أيها الخاسران ؟...

(سلمان ينهض فى الحال ، ويعتلى النخلة ، ويقوم زميلـه

إلى نخلة أخرى .....)

عازر : (**للعبد**) ماذا كان يقصُّ عليك هذا النصرانىُّ ؟...

(**العبد لا يجيب** ...)

عازر : إنى لم أبتعكُما بالمال كى تجلسا ، وتتناجيا تحت النخيل ، والله إنى لأعرفُ لكما دواء ناجعًا : الجوع !...

اليهودى رافع : (**يقبل صائحا**) يا عازَر !..

عازر : مالكَ يا « رافع » ؟...

رافع : قاتل الله « بَنى قَيْلة » !... والله إنهم الآن لمجتمعون على رجلٍ ، قدم عليهم من « مكة » يزعمون أنه نبى !...

سلمان : (**وقد سمع ذلك من أعلى النخلة يرتعد ، وينزل عن النخلة مقبلا على رافع**) ماذا تقول ؟..

عازر : (**يلكم سلمان لكمة شديدة**)مالكَ ولهذا ؟... أقبِل على عملك !...

سلمان : لا شىء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال !...

عازر : (**فى عنف**) اذهب إلى عملك !...

المنظر الثالث

(**فى المسجد ... محمد يخطب ، والناس يستمعون .....)**

محمد : الحمد لله ، أحمده وأستعينُه ، نعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يُضلِّ فلا هادى له ، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله ، وحده لا شريك له .. أما بعد ...

أيها الناس !... فقدِّموا لأنفسكم ... تعلَمُنَّ والله ليُصعَقَنَّ أحدُكم . ثم ليدَعنَّ غنمهُ ليس لها راع ، ثم ليقولَنَّ له ربُّه وليس له ترجُمانٌ ولا حاجبٌ يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلَّغك وآتيْتك مالاً ، وأفضلْتُ عليك فما قدَّمتَ لنفسك ، فلينظُرنَّ يمينًا وشمالا ، فلا يرى شيئًا ، ثم لينظرنَّ قُدَّامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهَهُ من النار ولو بشقٍّ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجدْ فبكلمةٍ طيِّبة ، فإنَّ بها تجزى الحسنةُ عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ ؛ والسلامُ عليكم وعلى رسول الله ، ورحمة الله وبركاته !...

(الحصين بن سلام يزحف حتى يدنو من النبى ، ويهمس إليه ...)

الحصين : يا رسول الله !... إنى كما تعلم يهودىّ وقد أسلمت ... ولكن « يهودَ » قومٌ بهتٍ ، وإنى أحبُّ أن تسألهم عنِّى حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إنْ علموا به بهتونى وعابونى ...

(يبتعد عن النبى خفية ، كما دنا بدون أن يلحظه أحد ....)

محمد : يا معشر « يهود » !.. أى رجلٍ « الحصينُ بن سلام فيكم ؟ » ...

اليهود : هو سيِّدُنا وابنُ سيدنا وخيرُنا وعالمُنا !...

الحصين : (**ينهض إليهم**) يا معشرَ « يهود » !.. اتقوّا الله ، واقبلوا ما جاءكم به « محمد » ؛ فوالله إنكم لتعلمُون أنه لَرسُول الله ، تجدونه مكتوبًا عندكم فى التوراة باسمِه وصفته ...

اليهود : (**فى عجب**) أوَقدْ أسلمت ؟...

الحصين : نعم .. وإنى أشهد أنه رسولُ الله ، وأومنُ به وأصدقُه وأعرِفه !!..

(محمد)

اليهود : (**كلهم فى غضب**) كذَبْتَ !... كذَبْتَ !...

شمويل : ما هذا بالنبيِّ الذى كنا نذكرُه وننتظرُ بَعْثه !... وما جاءنا بشىء نعرفُه !..

أشيَع : (**صائحا فى قومه**) إن « الحصين » قد أفسدَ علينا !...

فنحاص : (**صائحا كذلك**) إن الحصين لمنْ أشرارنا ، ولو كان من أخيارنا ما ترك دين آبائه ، وذهب إلى غيره !..

الحصين : (**للنبى**) ألم أخبرْك يا رسولَ الله أنهمْ قوم بُهْتٍ ، أهلُ غدر وكذبٍ وفجورٍ !..

فنحاص : (**للحصين**) إنما الكاذبُ الغادرُ الفاجرُ أنتَ !... لقد اتبعت « محمدًا » الذى يريد منَّا أن نعبدَه كما تَعبُدُ النصارى « عيسى ابنَ مريم » ...

(**نصرانى من أهل نجران ينهض ويلتفت إلى محمد**)

النصرانى : أوذاك تريد منا يا « محمد » ، وإليه تدعونا ؟..

محمد : معاذا الله أن أعبدَ غير الله ، أو آمر بعبادةِ غيرهِ ، فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى !...

أبو بكر : ويحك يا « فنحاص » !.. اتق الله ، فوالله إنك لتعلم أن « محمدًا » لرسولُ الله ، وقد جاءكم بالحق !...

فنحاص : أليس هو الذى يقول : إن الله يجزى الحسنةَ عشرَ أمثالها !...

أبو بكر : نعم

فنحاص : والله يا « أبا بكر » ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفَقير ، وما نتضرَّع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنَّا بغنيٍّ ، أليس يأخذ منَّا الحسنة بِعَشر أمثَالها ؟.. فهو ينهانا عن الرِّبا ويعطيناه !....

(**أبو بكر فى غضب شديد ، يضرب وجه فنحاص** ....)

فنحاص : (يصيح) يا « محمد » !... انظر ما صنع بى صاحبُك ؟!..

محمد : (لأبى بكر) ما حملك على ما صنعت ؟...

أبو بكر : يا رسولَ الله !... إن عدوَّ الله قال قولاً عظيما !...

محمد : (يتلو) ﴿ ولتسمعُنَّ من الذين أو توا الكتاب من قبلِكم ، ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾

أحد الأحبار : يا « محمد » أرأيت قولك .. ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ إيانا تريد أم قومَك ؟...

محمد : كُلاًّ ...

الحبر : إنك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة ، فيها بيان كل شىء !...

محمد : إنها فى علم الله قليل !...

الحبر : وما علم الله ؟...

محمد : (يتلو) ﴿ ولو أن ما فى الأرضِ من شجرةٍ أقلام ، والبحر يمُده من بعده سبعة أبحر ؛ — ما نفِدَتْ كلماتُ الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾ ......

شمويل : ما مدةالدنيا ؟..

أشيع : إنَّا نقول : إن مدة الدنيا سبعةُ آلاف سنة !...

الحبر : نعم يا « محمد » !.. أخبرنا متى الساعة ، إن كنتَ نبيا ؛ كما تقول ؟...

محمد : (يتلو) ﴿ يسألونك عن الساعةِ أيانَ مرساها ، قل : إنما علمُها عند ربى لا يجليها لو قتها إلا هو ، ثقلتْ فى السمواتِ والأرضِ لا تأتيكم إلا بغتة ... يسألونك كأنك حَفىّ عنها ، قل : إنما علمُها عندَ الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ...

الحبر : يا محمد !.. تقول إن هذا الله خلق الخلق ، فمن خَلق الله !..

(**محمد يغضب حتى ينتقع لونه ، ثم يسمع صوت جبريل ...**)

جبريل : (**هامساً فى أذن محمد**) خفِّض عليك يا « محمد » !...

(**محمد يسكن غضبه ويصغي إلى جبريل ، ثم يتلو على الناس ....**)

محمد : (**يتلو**) ﴿ قل هو الله أحد * الله الصَّمد * لم يلدْ و لم يولدْ * و لم يكنْ له كُفُوًا أحد ﴾

شوميل : صف لنا يا « محمد » كيف خَلقهُ ؟... كيف ذراعه ؟... كيف عضده ؟...

(**محمد ينتفض غضبًا ....**)

جبريل : (**همسا**) خفض عليك يا « محمد » !..

محمد : (**يصغي إلى جبريل ويتلو**) ﴿ وما قدَروا الله حقَّ قدْرِه ، والأرضُ جميعًا قبضتُه يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

أشيع : يا « محمد » !... ومن تؤمنُ به من الرسل ؟..

محمد : « نؤمن بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى « إبراهيمِ » و « إسماعيلَ »و « إسحقَ » ،و « يعقوبَ »و« الأسباطَ » وما أوتى « موسى » و « عيسى » ، وما أوتى النبيُّونَ من ربهم ، لا نفرِّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون !... »

شمويل : أتؤمن بـ « عيسى بن مريمَ » ؟...

أشيع : إنَّا لا نؤمن بعيسى بن مريم ، ولا بمن آمن به !...

نصارى نجران : (**ينهضون**) وإنَّا والله لا نؤمن بـ « موسى بنِ عمران » ،

ولا بمن آمن به !...

اليهود : (**ينهضون**) ما أنزل الله من كتاب بعد « موسى » : ولا أرسل بشيراً ولا نذيرًا بعده !....

النصارى : (**لليهود**) كذبتم يا من أسلمتم « عيسى » للصَّلب !.. ما أنزل الله « التوراة » وإنما « الإنجيلُ » هو كتابه المنزل !..

محمد : (**يتلو متوجها إلى النصارى واليهود**) : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئًا ، ولا يتَّخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولَّوْا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون !... ﴾

النصارى : يا « محمد » !... إنَّا نتركك على دينك ، واتركْنا على ديننا !..

(**ينصرفون ، وينصرف اليهود كذلك** ....)

(**سلمان الفارسي يدخل حاملا سلة كبيرة ويقف بين يدى النبى** ....)

سلمان : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذَوو حاجة ، وهذا شيء قد كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم !..

(**يخرج طعاماً من السلة ، ويقربه إلى النبى** ..)

محمد : (**لأصحابه**) كلوا !...

أبو بكر : (**يلتفت حوله**) أين « عمر » ؟..

حمزة : « **عمر بن الخطاب** » ؟ إنه ذهب يشترى خشبتين للناقوس !...

سلمان : (**همسًا لأبى بكر مشيرًا إلى النبى**) إنه لم يأكل !...

أبو بكر : (**لسلمان**) إن رسول الله لا يأكل الصدقة !...

سلمان : (**لنفسه فرحا**) هذه واحدة !... (**يخرج من السلة شيئًا آخر** ،

ويقدمه إلى النبى) إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها !...

محمد : (يتناول منها ويأكل) بسم الله !...

(سلمان يكب على رسول الله يقبله ويبكى ...)

سلمان : (صائحا) اللهم أحمدك ! اللهم أحمدك !...

محمد : ما شأنك يا هذا ؟...

سلمان : لقد وجدتُ النبى الذى أخبِرْتُ به !...

محمد : من أهل أى البلاد أنت ؟...

سلمان : من « فارس » يا رسول الله ، وأدعى « سلمان » ، وقد خرجت من بلادى ، وكنت غلامًا حديثًا أبغى دين الحق ، حتى وجدتك آخر الأمر ، ولكنّ الرِّقّ يشغلنى عنك !...

محمد : الرق !...

سلمان : نعم !...

محمد : كاتبْ يا « سلمان » !...

سلمان : سأكاتبُ صاحبى اليهودىَ ، على نخيل أحييه له ؛ إذ لا مال عندى أشترى به نفسى !..

محمد : (لأصحابه) أعينوا أخاكم !...

أبو بكر : (لسلمان) نعم .. نُعينُك بالنخل ، كلٌّ رجل بما عنده من ودية ، ونُفَقِّرُ لها الأرضَ لنغرس فيها ...

محمد : اذهب يا « سلمان » ففقر لها ، فإذا فرغت فائتنى ، أكن أنا أضعها بيدى ...

(سلمان يقبل يدى النبى ويخرج ... يقدم عمر بن الخطاب ....)

أبو بكر : (**لعمر**) أجئت بخشبةِ الناقوس كى ندعو إلى الصلاة ؟...

عمر : كلا !...

أبو بكر : لماذا ؟...

عمر : (**للنبى**) يا رسول الله !... لقد طاف بى هذه الليلة طائف يهتف : « لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنُوا للصلاة » !...

صوت بلال : (**يؤذن خارج المسجد**) الله أكبر !... الله أكبر !...

عمر : (**دهشا**) عجبًا !... هذا « بلال » يؤذن ؟!..

محمد : (**لعمر باسما**) قد سبقك بذلك الوحى !...

عمر : والله ما كرهتُ شيئًا مثل أن نجعل بوقًا كبوق « يهود » الذى يدعون به لصلاتهم ، ولا مثل الناقوس ...

صوت بلال : (**من الخارج يمضى فى أذانه**) أشهدأنْ لا إله إلا الله !... أشهدُ أن لا إله إلا الله . أشهدُ أن محمدًا رسولُ الله !... أشهد أن محمدًا رسول الله !.. حيَّ على الصلاة !... حيَّ على الصلاة !... حيَّ على الفلاح !... حيَّ على الفــلاح !... الله أكبر !... الله أكبر !... لا إله إلا الله !..

المنظر الرابع

(جمع من الناس عند مساكن النبى ... أحد الأنصار يدنو من أحد المهاجرين)

الأنصارى : ما الخبر !...

المهاجـرى : رسول الله يتزوج بـ « عائشة » !...

الأنصارى : بنت « أبى بكر » !..

المهاجرى : نعم !.. ولقد خطبها يوم كان بـ « مكة » ...

الأنصارى : على الخير والبركة !...

المهاجرى : وعلى خير طائر !...

الأنصارى : أهى بكْر ؟...

المهاجرى : نعم !... هى بنتُ عشر سنين ...

الأنصارى : لقد شاء الله أن يتزوج رسوله « خديجة » ، وهى ثيِّب فى الأربعين ، وأن يتزوج اليوم « عائشة » ؛ وهى بكرٌ ، بنتُ عشر سنين !...

المنظر الخامس

(نفر من المهاجرين بينهم عمر وأبو بكر ، بجوار المسجد يتحدثون ...)

عمر : أما ترى هذا يا « أبا بكر » ؟...

أبو بكر : نعم ... والله إنى لأرى ما ترى ... إن أهل المدينة ليحقُّ لهم أن يبرموا بنا ...

عمر : إنَّا — معشر المهاجرين — قد لبثنا فيهم نيِّفًا وثمانية عشر شهرًا ، نأكل من أموالهم ...

أبو بكر : لقد تركنا أموالنا بمكة ، مع منْ تركنا من أهلنا !...

عمر : وما عاقبة الأمر ؟... إنى أخشى ألا يصبر « الأنصار » على هذه الحال أكثر مما صبروا ؟... ألا ترى لنا رأيا ؟...

بلال : (**يقبل سريعا**) أما سمعتم ؟...

أبو بكر : ماذا ؟!...

بلال : « أبو سفيان بن حرب » مقبل من الشام فى عير عظيمة ، فيها أموال لقريش ، وتجارة من تجاراتهم !...

عمر : (**وقد لمعت فى رأسه فكرة**) وكم فيها من رجال ؟...

بلال : ثلاثون رجلا من « قريش » أو أربعون !...

عمر : قد بدا لى رأى ...

أبو بكر : قل !... أسمع !...

عمر : أرى أن نعرضَ لهذا المال ... لقد أخرجتنا « قريش » من ديارنا وجردتنـا من أهلنا ومالنا ؛ فإن نُصبْ هذه العيرَ فهى بعضُ حقّنا ، ومالٌ بمال !...

أبو بكر : ألا نستأذن رسول الله ؟...

عمر : بلى ... قم إلى رسولِ الله فكلمه !...

(**أبو بكر ينهض ، ويذهب من فوره**)

بلال : عسى أن يأذن رسول الله !...

عمر : إن شاء الله ؛ فإنه يأذن ، إنّا ــ معشر المهاجرين ــ لا نرضى أن يحتملنا الأنصار على كواهلهم أكثر مما احتملوا ، فلقد أدّوا لنا ما عليهم وآنَ لنا أنْ ننفقَ مما يعطينا الله !...

بلال : « رسول الله » و « أبو بكر » قادمان !..

(**ينهض الجميع ؛ لاستقبال الرسول ...**)

عمر : والله إنى لأرىٰ فى وجهِ رسولِ الله أنه قد سبقنا إلى هذا الرأى !....

أبو بكر : يا معشر المسلمين !...

محمد : (**وقد اجتمع إليه المسلمون**) هذه عير « قريش » فيها أموالكم فاخرجوا إليها ، لعل الله أن يُغنمكموها !..

المنظر السادس

(فى مكة ... بجوار الكعبة وعاتكة بنت عبد المطلب تحادث أخاها العباس بن عبد المطلب ....)

عاتكة : يا أخى !... والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا أفظعتْنى ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبة فاكتم عنى ما أحدثك به !...

العباس : وما رأيتِ ؟...

عاتكة : رأيتُ راكبًا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخَ بأعلى صوته :« ألا انفروُا يا آل غدر لمصارعكمْ ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوى ، حتى إذا كانت بأسفلِ الجبل ارفضَّتْ ، فما بقى بيتٌ من بيوتِ « مكة » ولا دارٌ إلاّ دخلتها منها فِلقَةٌ ... »

العباس : والله إن هذه لرؤيَا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد !...

عاتكة : لن أذكرها لأحد !...

(تنصرف ....)

(يقبل الوليد بن عتبة ......)

الوليد : (**للعباس**) مالك يا « أبا الفضل » ؟...

العباس : لا شيء .... أردت أن أطوف بالكعبة !...

الوليد : أرى فى وجهك شيئًا لا عهد لى به !...

العباس : أأقولُ لك وتكتمُ عنى ؟...

الوليد : نعم !...

العباس : لقد رأت أختى « عاتكة » رؤيا أفظعتْنى ، وتخوفت أن يدخلَ على

القوم منها شرٌّ !...

الوليد : وما رأتْ ؟...

العباس : رأت راكباً أقبلَ على بعيرٍ له ، حتى وقفَ بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : « ألا انفروا يا آل غدْرٍ لمصارعكم » فإذا الناسُ اجتمعتْ إليهِ ، فأخذ صخرةً فأرسلها حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقي بيتٌ إلا دخلته منها فلقةٌ .

الوليد : إنها والله لرُؤيا !...

العباس : اكتُمها ولا تذكرها لأحد !...

الوليد : لن أذكرها لأحد !...

العباس : إني ذاهبٌ أطوفُ ...

(**ينصرف** ...)

(**يقبل عتبة بن ربيعة** ...)

عتبة : (**للوليد**) ما تصنع هنا ؟...

الوليد : كان معي « العباس » !..

عتبة : وأين ذهب ؟...

الوليد : ذهب يطوف ، وقد ألقى إليّ حديثًا عجبًا !.. أأقول لك وتكتُم ؟...

عتبة : نعم !...

الوليد : لقد رأت أخته « عاتكة » رؤيا ...

عتبة : ماذا رأت ؟...

الوليد : (**وهما منصرفان**) رأت راكبا أقبلَ على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ..

(**يذهبان** .....)

(**يقبل أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط والحرث بن النضر** ...)

أميَّة : أما جاء خبرٌ عن « أبي سفيان » ؟..

عقبة : لقد خرج من الشام !...

أميَّة : عائداً إلى « مكة » ؟...

عقبة : نعم !..

الحرث : وقد ربحتْ تجارتنا ربحًا عظيما !...

أميَّة : هل لك مال فيها يا « ابن النَّضر » ؟...

الحرث : نعم .. وأنت ؟...

أميَّة : وأنا ؟!...

عقبة : ما أحسب أحدًا من « قريش » إلا وله فيها نصيب !

أميَّة : (**يلتفت إلى الجهة التي ذهب منها الوليد وعتبة**
مقبل ...

عقبة : (**يلتفت**) ماله يضحك فى هذا النفر حوله ؟...

أبو جهل : (**يقبل فى رهط**) أما سمعتم يا معشر « قريش » ؟...

أميَّة : ماذا ؟...

أبو جهل : رؤيا « عاتكة بنت عبد المطلب » !..

أميَّة : (**وكذلك الحرث وعقبة**) لم نسمع !...

أبو جهل : لقد رأت « عاتكة » فى نومها راكبًا أقبل على بعير له ، بالأبطح صارخًا : « ألا انفروا يا آل غدْر لمصارعكم » تجتمع ، وإذا صخرة تهوى بأسفل الجبل ، فما بقى دارٌ دخلتها منها فِلقة !..

أميَّة : من أخبرك بهذا ؟....

أبو جهل : الناس كلها تتحدث به !..

عقبة : هذا أخوها « العباس » خارجًا من « الكعبة » !..

أميَّة : (**يصيح بالعباس**) يا « أبا الفضل » !...

(**العباس يقبل عليهم** ....)

أبو جهل : (**للعباس متهكمًا ساخرًا**) يا « بني عبد المطلب » !... متى حدّثتْ فيكم هذه النبيَّة المرسلة !....

العباس : (**في تجهم**) وما ذاك ؟

أبو جهل : تلك الرؤيا التي رأت « عاتكة » !..

العباس : وما رأت ؟...

أبو جهل : يا « بني عبد المطلب » !... أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ؟!..

العباس : ماذا تعني يا « أبا الحكم » ؟...

أبو جهل : زعمت « عاتكة » في رؤياها أن راكب البعير قال : « انفروا لمصارعكم فسنتربص بكم » ، فإن يكُ حقًا ما تقول فسيكون ، وإن لم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب !..

العباس : إني ما أحسبها قد رأت شيئًا : إنما هو قولٌ يتقولون به عليها !...

عقبة : (**يلتفت**) انظروا !... ببطن الوادي !...

الجميع : (**يلتفون**) ماذا ؟...

الحرث : هذا واللاّت رجل واقف على بعيره !...

(**عقبة ... وقد جدع بعيره ، وهو يشق قميصه ويصرخ** ......)

أبو جهل : هذا صوت « ضَمْضَم الغِفاري » !...

أميَّة : نعم ... لعله آت من الشام !... استمعوا له !...

ضمضم : (**على بعيره يصرخ**) يا معشر قريش !... اللَّطيمة ، اللَّطيمة !..

أموالكم مع « أبى سفيان » قد عرض لها « محمد » فى أصحابه ...
لا أرى أن تدركوها .... الغوث !... الغوث !...

أميَّة : أموالنا ؟!...

أبو جهل : « محمد » ؟!...

عقبة : واللات ، إنها للْحربُ بيننا وبينَ هذا الرجل !..

أبو جهل : (**صائحًا**) أيها الناس !.. تجهزوا سراعا ؛ فإنما هى الحرب !...

المنظر السابع

(**فى وادى ذفران ـــ محمد فى رجاله** ...)

أبو بكر : لقد جاء الخبرُ عن « قريش » بمسيرهم ؛ ليمنعوا عِيَرهم !...

عمر : إنها والله للحربُ بيننا وبين « مكة » !..

محمد : أشيروا علىّ أيها الناس !...

(**المقداد بن عمرو ينهض من بين القوم** ..)

المقداد : يا رسولَ الله !.. امض لما أراك الله فنحنُ معك ، والله لا نقولُ لك كما قالت « بنو إسرائيل » لـ « موسى » . ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون !...

(**يجلس** ....)

محمد : (**وعينه إلى طائفة الأنصار**) أُشيروا علىّ أيها الناس ؟...

(**سعد بن معاذ ينهض من بين طائفة الأنصار**)

سعد : والله لكأنَّكَ تريدُنا يا رسول الله ...

محمد : أجل !...

سعد : لقد آمنا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة !...

أبو بكر : تريدون بيعة « العقبة » ؟..

سعد : أجل !...

عمر : إن رسول الله يتخوف ألا تكونوا — معشر الأنصار — ترون عليكم نصرَه إلاّ ممن دهَمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليكم أن يسير بكم من بلادكم إلى عدو ....

سعد : (**يلتفت إلى محمد**) والذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنا عدونا غدًا إنا لَصُبُرٌ فى الحرب ، صُدقٌ فى اللقاء ، لعل الله يريكَ منا ما تقَر به عينك ، فَسِرْ بنا على بركة الله !...

محمد : (**وقد سر مما سمع ونشطه ذلك**) سيرُو وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ....

(**يقبل الزبير بن العوام ومعه شيخ ..**)

أبو بكر : ممن الشيخ ؟...

الزبير : هذا شيخ من العرب ، اعترضته وجئتُ به ، علَّهُ يخبرنا بخبر القوم ؟...

عمر : (**للشيخ**) أيها الشيخ : أخبرنا عن « قريش » وعن « محمد » وأصحابه ، أمَابلغك عنهم شيء ؟...

الشيخ : لا أخبرُكم حتى تخبرونى ممن أنتم ؟...

محمد : إذا أخبرتنا أخبرناك ...

الشيخ : أوَذَاكَ بِذاك ؟....

محمد : نعم !...

الشيخ : إنه بلغنى أن « محمدًا » وأصحابَه خرجوا يومَ الاثنين لثمان ليالٍ خَلَوْنَ من شهر رمضان ، فإن كان صدق الذى أخبرَنى ، فهم اليوم بوادى « ذِفرانَ » !...

أبو بكر : و « قريش » ؟...

الشيخ : و « قريش » ، بلغنى أنهم خرجوا يوم الجمعة لثمان وعشرين ليلة خَلتْ من « شعبان » ؛ فإن كان الذى أخبرَنى صدقنِى ؛ فهم اليوم قادمون وراء هذا الكثيب ...

الزبير : (**وهو يذهب به**) جزاك الله خيرًا أيها الشيخ !...

الشيخ : ممن أنتم ؟...

محمد : نحن من ماء ..

(**ثم ينتحى ويصلى** ...)

الشيخ : (**وهو منصرف مع الزبير**) من ماء ؟؟.. أمن ماء العراق ؟!...

(**يجذبه الزبير ويذهبان بعيدًا** ...)

عمر : أوَ لم يرجع علىٌّ بعد ؟..

سعد : أين هو ؟...

عمر : لقد بعثه رسولُ الله فى نفرٍ من أصحابه إلى ماء « بدر » يلتمسون الخبر !..

سعد : (**يلتفت**) أليس هو القادم مع رجلين معه ؟!..

عمر : (**يلتفت**) بلى !...

(**يقدم « على » وأصحابه ومعه غلامان** ...)

سعد (**لعلى**) ممن الغلامان ؟..

على : سَلوهما !..

عمر : (**للغلامين**) ممن أنتما ؟...

الغلامان : نحنُ سُقاةُ « قريش » بعثونا نسقيهم من الماء !...

عمر : بل أنتما « لأبى سفيان » !...

الغلامان : كلا !...

سعد : أخبرانا أين ركْبُه ومالُه وتجارته ؟...

الغلامان : نحن سُقاة « قريش » !...

سعد : إنكما تكذبان ... أنتما لـ « أبى سفيان » !...

(**يضربهما هو والأنصار** .....)

الغلامان : (**والضرب ينهال عليهما**) نحن « لأبى سفيان » .... نحن « لأبى سفيان » !...

(**يتركونهما** ....)

سعد : دعوهما !... لقد أقرّا !...

محمد : (**يختم صلاته وينهض إليهم**) إذا صَدَقاكم ضربتُموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله ... إنهما لقريش !... (**للغلامين**) أخبرانى عن « قريش » !...

الغلامان : هم والله وراء هذا الكَثيب الذى ترى !....

محمد : كم القوم ؟...

الغلامان : كثير !... وقد خرجوا بالدُّفُوفِ والقيان !...

محمد : ما عِدَّتهم ؟....

الغلامان : لا ندرى !...

محمد : كم ينحرون كلّ يوم ؟...

الغلامان : يومًا تسعًا ، ويومًا عشرًا ...

محمد : (**لأصحابه**) القوم فيما بين التسعمائة والألف !...

(محمد

أبو بكر : نعم !... كل مائة نفرٍ يأكلون فى اليوم بعيرًا !...

محمد : (**للغلامين**) مَنْ فيهم من أشراف « قريش » ؟..

الغلامان : « أبو جهل بن هشام » ، و « أميَّةُ بن خلف » ، و « عتبة بن ربيعة » ، و « النضر بن الحرث » ، وغيرهم !...

محمد : (**لأصحابه**) هذه « مكة » قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها !...

عمر : (**للغلامين**) كم خيلهم ؟..

الغلامان : مائة فرس !...

سعد : (**كالمخاطب لنفسه**) ونحن ما لنا غير فرسين !...

عمر : (**للغلامين**) وكم عيرُهم ؟...

الغلامان : عددُ الرَّمل والحَصَى !...

أبو لبابة : (**كالمخاطب نفسه**) وكل ما لدينا سبعون بعيرًا !...

محمد : (**يأمر بالسير**) سِيروا على بركة الله !...

عمر : أرى يا رسولَ الله أن يكون كل ثلاثةٍ منا على بعير !..

محمد : نعم !..

عمر : (**يصيح فى الناس**) إلى العير !... كل ثلاثة على بعير !....

(**القوم يقومون إلى عيرهم ......**)

أبو بكر : وأنت يا رسولَ الله ؟...

(**محمد يلتفت إلى جواره فيرى عليًا وأبا لبابة بينهما بعير ....**)

محمد : أنا مع « على » و « أبى لبابة » ارْكبا !...

أبو لبابة : اركب أنت يا رسولَ الله !...

على : اركب حتى نمشى عنك !...

محمد : اركبا !.. ما أنتما بأقوى على المشى منى ، وما أنا أغَنى عن الأجر منكما ...

عمر : (**يصيح فى الناس**) إلى بدر !... إلى بدر !...

محمد : (**يرفع رأسه إلى السماء**) اللهم إنهم حُفاة فاحمِلْهم !.. اللهم إنهم عُراة فاكسهم !... اللهم إنهم جياعٌ فأشبِعْهم !...

المنظر الثامن

(**ماء بدر — قلب ماء عديدة بالوادى بينها قليب أمامه كثيب — أبو سفيان بن حرب ينزل بالماء حذرا ....)**

أبو سفيان : (**لأحد الرعاة**) هل أحسستَ أحدًا ؟...

الراعى : ما رأيت أحدًا أنكره ، إلا أنى قد رأيت رجالاً ثلاثة قد أناخوا إلى هذا التَّلِّ ، ثم انطلقوا مع غلامينِ من سقاةِ الماء !...

أبو سفيان : أرنى مناخهم ؟....

الراعى : (**يشير له إلى مكان بالوادى**) هنا كان مناخ بعيرهم !...

(**أبو سفيان ينحنى ويلتقط بعرًا من أبعار الإبل ؛ ويفته بأصبعه ، فيجد فيه نوى**)

أبو سفيان : علائف « يثرب » !..

الراعى : أرأيت فيها نوى نخيلها ؟...

أبو سفيان : (**كالمخاطب لنفسه**) نعم ... هذه واللات عيون « محمد » !...

(**يرجع إلى عيره سريعًا ، ويرتحل من فوره مع أصحابه بعيدًا عن الطريق المألوف**)

الراعى : (**لنفسه**) مالهذا الرجل قد ضرب وجوه عيرِه عن الطريق وانطلق سريعًا ؟!...

(**ينصرف ......**)

(محمد وأصحابه يقدمون .....)

محمد : هنا فانزلوا !...

(الحباب بن المنذر يسرع إلى محمد ...)

الحباب : ننزل هذا المكان ؟...

محمد : نعم !...

الحباب : يا رسول الله !.. أرأيتَ هذا المكان ، أمنزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحربُ والمكيدة ؟..

محمد : بل هو الرأىُ والحرب والمكيدة !...

الحباب : يا رسول الله !.. إن هذا ليس بمنزل ، فسرْ بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، فإنى عالم بها وبقُلبها ، بها قليب قد عرفتُ عذوبة مائه ، لا ينزح ، فنغورُ ما سواه من القلُب ، ثم نبنى عليه حوضًا ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون !...

محمد : لقد أشرتَ بالرأى !...

الحباب : (**يسير بالقوم إلى القليب**) هو هذا « القليب » ... هنا فلننزل !..

(محمد ينزل ، وينزل معه الناس ...)

عمر : (**للحباب**) خذ بعض القوم وابنوا الحوضَ ؟...

(الحباب يسير ببعض الناس ؛ ليفعل ما أشار به ....)

أبو بكر : (**لعمر**) ألا فلنجعل الرجال فى صفوف !...

(سعد بن معاذ يدنو من محمد ...)

سعد : يا نبى الله !... ألا نبنى لك عريشًا تكون فيه ؟... ونُعد عندك ركائبك ، ثم نلقَى عدوّنا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقْتَ بمن وراءنا من قومنا بالمدينة !...

محمد : جزاك الله خيراً يا « سعد » !..

أبو بكر : (**لسعد**) انطلقْ مع بعض الرجال وابنوا العريش !...

(سعد يسير ببعض الناس ، ويبنون عريشا من جريد ......)

محمد : استووا ، صفًا صفًا !...

(يصفف رجاله ....)

أبو بكر : (**للرجال**) افعلوا كما أمركم رسولُ الله !...

(محمد فى يده عود يشير به لبعض الرجال ؛ كى يعدل الصف .....)

محمد : أنت تقدَّم !...

أحد الرجال : أنا ؟...

محمد : نعم !... (**لرجل آخر**) وأنت تأخر !...

سواد بن غزية : (**وهو مستنصل عن الصف**) يا رسول الله !..

محمد : (**يطعن بالعود فى بطن سواد**) استو يا « سوادُ » !...

سواد : يا رسول الله !... أو جعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل ...

محمد : استَو !....

سواد : أصبرنى يا رسول الله ، ومكِّنى من نفسك لأقتص منك !...

محمد : اصبر!...

سواد : إن عليك قميصًا ، وليس علىّ قميص ...

(محمد يرفع قميصه ، فيعتنقه « سواد » ويقبل بطنه ...)

محمد : ما حملك على هذا يا « سواد » ؟...

سواد : يا رسول الله !... حضر ما ترى ؛ فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدَك !...

محمد : (**باسما**) جزاك الله خيرًا يا « سواد » !...

الحباب : (**يقدم وقد بنى الحوض**) لقد بنينا الحوض ، وقذفنا فيه الآنية ؛ فوالله ما يشربُ منه رجل منهم إلا يُقتل !...

على : (**يصيح**) انظروا إلى الكثيب ، لقد أتوا !...

أبو بكر : (**يلتفت**) نعم ... هذا الكثيب ... إنهم يجيئون منه إلى الوادى !...

محمد : (**وجهه إلى السماء**) اللهم هذه « قريش » قد أقبلْت بخُيلائها وفخرها تحادُّك وتُكذِّب رسولك !... اللهم فنصرك الذى وعدتنى !.. اللهم أحنهم الغدَاةَ !...

(قريش تظهر على الكثيب وتصوب أنظارها فى الوادى ....)

أبو جهل : (**يرى محمدًا وجيشه**) هذا « محمد » وأصحابه !...

أمية بن خلف : (**يلتفت إلى عمير بن وهب**) يا « عمير » !... احزر لنا أصحاب « محمد » !...

عمير : (**يصوب فى الوادى**) ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون . ولكن أمهلونى حتى أنظر أَللقومَ كمينٌ أو مَدد ؟..

(يذهب فيضرب فى الوادى ...)

عتبة بن ربيعة : أما سمعتم بما يقول « جُهيم بن عبد المطلب » ؟...

أمية : ماذا يقول ؟...

عتبة : رؤيا قد رآها !...

أبو جهل : رؤيا ؟!...

عتبة : (**ينادى**) يا « جُهيم » !... أقبلْ وقص علينا رؤياك !...

جهيم : (**يقبل**) إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقْظان ،

إذ نظرتُ إلى رجل قد أقبل على فرس ، حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : « قُتِلَ » « عتبة بن ربيعة » و « شيبة بن ربيعة » و « أبو الحكم بن هشام » و « أميَّة بن خلف » ، ثم رأيته ضرب فى لبَّة بعيره ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبيةِ العسكر إلا أصابه نَضحٌ من دمه !...

أبو جهل : وهذا أيضًا نبى آخر من « بنى عبد المطلب » !!...

جهيم : والله لقد ذكرتُ ما رأيت !...

أبو جهل : ستعلمُ اليوم من المقتول ، إن نحن التقيْنا !...

(**عمير يعود** ...)

أمية : ماذا وجدتَ يا « عمير » ؟...

عمير : ما وجدتُ شيئًا ، ولكنى رأيت — يا معشر قريش — البلايا تحمل المنايا ... نواضح « يثرب » تحمل الموت الناقع ... قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترونهم خُرْسًا لايتكلمون ، يتلمظون تلمُّظ الأفاعى ؟... والله ما أرى أن يقتلَ منهم رجل ؛ حتى يقتل منا رجل ، فإذا أصابوا منكم عددهم فما خيرُ العيش بعد ذلك !... فروا رأيكم !!...

شيبة : (**يتقدم إليهم**) لقد جاء نبأ من « أبى سفيان » أنه أحرزَ عِيره ونجا بها ...

أمية : أو بعثَ أحدًا ؟!...

شيبة : (**يشير إلى فارس خلفه**) نعم ... هذا هو رسوله !...

الفارس : (**يتقدم**) لقد أرسلنى إليكم « أبو سفيان » ... أقول لكم إنكم إنما خرجتم ؛ لتمنعوا عِيرَكم ورحالكم وأموالكم ؛ فقد نجا بها ؛ فارجِعوا !...

أبو جهل : نرجع ؟!!... واللات لا نرجعُ حتى نردَ سوادَ « بدر » فننحرَ الجزُرَ ، ونطعمَ الطعامَ ، ونسقىَ الخمر ، وتعزفَ علينا القيانُ ، وتسمعَ بنا العرب وبمسيرنا وجَمعنا ... فلا يزالون يهابونَنَا أبدًا بعدها !...

أمية : واللات والعزَّى ، لا نرجع حتى نقْرنَ « محمدًا » وأصحابه بالحبال فامضوا !...

عمير : (**يلتفت إلى جيش محمد**) كيف نمضى ؟... إن « محمدًا » وأصحابه قد جعلوا لأنفسهم حوضًا على هذا « القليب » يذودون عنه ، ولا ماء لدينا ، وقد غوَّروا ما سِواه من القلب !...

أبو جهل : فلنحمل عليهم ....

عمير : واللاتِ لو فعلنا لرمونا بالنَّبل !!..

(**يخرج الأسود المخزومى** ...)

المخزومى : (**يصيح**) أعاهد اللات لأ شربَنَّ من حوضهمْ ، أو لأهدِمنه ، أو لأموتنَّ دونه !...

(**يخرج صائحا منطلقا إلى القليب فيراه حمزة بن عبد المطلب فى صفوف النبى فيتبعه** ....)

حمزة : (**صائحاً**) خذْها يا عدو الله !...

(**ثم يضربه بسيفه ضربة تطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض فيقع المخزومى على ظهره ، وتشخب رجله دما فيحبو إلى الحوض ، ويقتحمه فيتبعه حمزة ، ويضربه حتى يقتله فى الحوض** ....)

عتبة : (**يبرز ويصيح**) إلى المبارزة !.. إلى المبارزة !...

(**يخرج من صفوف النبى ثلاثة من الأنصار للمبارزة** ....)

الأنصار : (**صائحين**) إلى المبارزة !...

عتبة : (**صائحا**) من أنتم ؟...

الأنصار : رهط من الأنصار !...

قريش : (**تصيح**) ما لنا بكم من حاجة !...

عتبة : (**ينادى**) يا « محمد » !.. أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا !...

محمد : (**على باب عريشه ينادى**) : قم يا « حمزة »، قم يا « علىّ » ، قم يا « عبيدة بن الحارث »!..

(**ينهض الثلاثة ويتقدمون للمبارزة**)

عتبة : من أنتم ؟...

حمزة : أنا « حمزة بن عبد المطلب » ، أسدُ الله ، وأسدُ رسوله !..

عتبة : كفء كريم ، وأنا أسدُ الحلفاء .. من هذا معك ؟..

حمزة : « على بن أبى طالب » و « عبيدة بن الحارث » !...

عتبة : كفئان كريمان !.. وهذان معى « الوليد » ابنى و « شيبة » أخى قم يا « وليد » !.. قم يا « شيبة » !...

(**يبارز على الوليد ، فيختلفان ضربتين ويقتله على ، ويبارز حمزة عتبة فيختلفان ضربتين ويقتله حمزة ، ثم يبارز عبيدة شيبة ، فيضرب شيبة رجل عبيدة وهو أسن أصحاب النبى بذباب السيف ، فيصيب عضلة ساقه فيقطعها ، فيكر حمزة و « على » على شيبة فيقتلانه ويحملان صاحبهما عبيدة إلى صفوفهم ...**)

أبو جهل : (**يصيح فى قومه**) احملوا عليهم !..

محمد : (**لأصحابه**) لا تحملوا حتى آمركم !... إنِ اكتَنفَكم القومُ فانضحوهم عنكم بالنَّبلِ !...

(**يدنو الفريقان ، أحدهما من الآخر ، وتقذف صفوف النبى**

بالنبل على قريش !.)

أبو بكر : (**صائحا**) أيها المسلمون !... اجعلوا شعاركم « أحدٌ ... أحدٌ » !...

محمد : (**يدخل العريش ويرفع رأسه إلى السماء ، فى قلق وفرَق**) ... يا حيُّ يا قيومُ !.. يا حيُّ يا قيومُ !...

أبو بكر : (**يتبع محمدًا**) يا نبى الله !... بعضَ مناشدتِك ربّك ، فإن الله مُنجِز لك ما وعدك ...

محمد : (**ناظرًا إلى السماء**) اللهمَّ إنْ تهلكْ هذه العصابةُ اليومَ لا تُعْبدْ !..

عمر : (**يدنو من العريش شاهرًا السيف ، ويخاطب سعد بن معاذ**) قم يا « سعد » على باب العريش ، مع نفر من الأنصار ، تحرسون رسول الله بسيوفكم ؛ فإنى أخاف عليه كرّة العدو !..

أبو بكر : (**لعمر فى إطراق وحزن**) إن العدوَّ كثير !..

عمر : (**فى كآبة**) ثلاثة أمثالنا ويزيدون !..

محمد : (**فى العريش يبتهل**) يا حيُّ يا قيومُ !... يا حيُّ يا قيومُ !... يا حيُّ يا قيوم !...

(**ترتفع بين صفوف النبى صيحة** ....)

عمر : (**يلتفت**) من هذا ؟...

أبو بكر : (**يلتفت**) هذا مولاك « مَهجع » قد رُمى بسهم فقُتل !...

عمر : رحمة الله عليك يا « مَهْجع » !..

(**صيحة أخرى ترتفع** .....)

أبو بكر : انظر!... هذا « حارثة بن سراقة » رُمى أيضًا وهو يشرب من الحوض !...

عمر : (**ينظر**) نعم ... لقد أصاب السهمُ نحره !...

أبو بكر : رحمتك اللهم !... رحمتك اللهم !...

عمر : (فى قلق) أخشى أن تكون علينا الدائرة !...

محمد : (**يبتهل وقد تصبب عرقًا**) يا حىُّ ياقيومَ !... يا حىُّ يا قيوم !.. يا حىُّ يا قيوم ...

(**يجلس النبى ويخفق خفقة** ...)

عمر : (**جزعا**) ما برسول الله !... انظر !...

أبو بكر : (**همسًا فى قلق**) صه !..

عمر : (**فى صوت خافت**) إن رسول الله قد خَفقَ ..

أبو بكر : (**فى إطراق**) نعم !...

عمر : أخافُ أن يدِبَّ الخَوَرُ فى أصحابنا !...

أبو بكر : (**كالمخاطب لنفسه**) اللهم عونك !...

عمر : انظر !... أليس هذا « ابن الحمام » قد ترك القتال وانتحى ، وفى يده تمراتٌ يأكلهن ؟!...

أبو بكر : (**ناظرًا إلى السماء**) اللهم عونك !.. اللهم عونك !...

محمد : (**ينتبه ويصيح**) يا « أبا بكر » ! يا « أبا بكر » !...

أبو بكر : لبيك يا رسول الله !...

محمد : أبشر يا « أبا بكر » !.. أتاك نصرُ الله ... هذا « جبريل » آخذًا بعنانِ فرسه يقوده ، على ثناياه النَّقع !...

أبو بكر : (**فى فرح**) أجاءك الوحى فى هذه الخفقة يا رسول الله !...

محمد : نعم !..

أبو بكر : (**لعمر**) أبشروا !... أيها المسلمون !...

محمد : (**يخرج للقوم صائحًا**) يا معشر المسلمين شُدُّوا !...

المسلمون : (**يحملون على العدو صائحين**) أحدٌ !... أحد !...

محمد : (**صائحًا**) والذى نفس « محمد » بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابرًا محتسبًا مقبلا غير مدبر ؛ إلا أدخله الله الجنة !...

ابن الحمام : (**وفى يده التمرات يأكلهن**) بخ ... بخ .... أفما بينى وبينَ أن أدخلَ الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟!...

(**يشير إلى الأعداء ، ثم يقذف التمرات من يده ويأخذ سيفه ويقاتل العدو**)

محمد : (**يصيح فى أصحابه**) شُدُّوا !.. شُدُّوا ...

المسلمون : (**يقاتلون فى حماسة وهم يصيحون**) أحدٌ !... أحدٌ !...

محمد : (**يأخذ حفنة من الحصباء ، فيستقبل قريشا بها**) شاهتِ الوجوه !... شاهت الوجوه !...

عمر : (**لمعوذ بن عفراء وعبد الرحمن بن عوف**) يا « ابن عفراء » ؟!.. عليك « بأبى جهل » اجعله من شأنك !.. وأنت يا « ابن عوف » عليك « بأميَّة بن خلف » !..

محمد : (**لأصحابه**) من لقى منكم « العباس بن عبد المطلب » فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرِج مستكرِها !..

أبو حذيفة : (**لأحد الأنصار**) العباس ؟!...

الأنصارى : نعم ... عم رسول الله !...

أبو حذيفة بن عتبة : (**صائحًا**) أنقتلُ آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونتركَ « العباس » ؟.. والله لئن لقيتُه لألجمنَّهُ السيفَ !...

محمد : (**لعمر**) أسمعت ؟...

(**عمر يتميز غيظا ....**)

محمد : (**لعمر**) يا « أبا حفص » !.. أيُضربُ وجه عمِّ رسولِ الله

بالسيف !؟..

عمر : (**غير متمالك**) يا رسول الله !.. دَعْنى فلأضربْ عنق « أبى حُذيفة » بالسيف ، فوالله لقد نافق ...

محمد : (**يمسك بعمر**) رفقًا به !... لقد رأى أباه « عتبة » يقتل أمام عينه اليوم !...

أبو بكر : (**لعمر**) صدق رسولُ الله يا « عمر » !..

محمد : (**يلتفت إلى المسلمين ويصيح**) شُدُّوا !.. شُدُّوا !...

المسلمون : (**فى حماسة**) أحدٌ !... أحد !...

(**يحمى وطيس القتال ويثخن المسلمون أعداءهم قتلا وأسرًا وسلبا ، ويستلب عبد الله بن الزبير أدراع أحد القتلى ويأسر أمية ابن خلف وابنه ...**)

عبد الله بن الزبير : (**رافعا السيف**) هذا أنت يا « أمية بن خلف » !...

أمية : (**لعبد الله**) يا « عبد الإله » لا تقتلنى !... إن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن !...

عبد الله : (**يرى ابن أمية بجواره**) وهذا ابنك ؟...

أمية : (**فى تضرع**) لا تقتله !...

عبد الله : (**يأخذ بيده ، وبيد ابنه**) اتبعانى ولا تخشيا شيئًا !...

أمية : (**ينظر إلى حمزة فى المسلمين يطيح رءوس الأعداء**) يا « عبد الإله » مَن الرجل منكم ، المُعْلم بريشةِ نعامة فى صدره ؟...

عبد الله : (**ينظر**) ذاك « حمزة بن عبد المطلب » !..

أمية : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ....

(**بلال يرى أمية بن خلف مع عبد الله**)

بلال : (**يصيح**) رأس الكفر « أمية بن خلف » لا نجوتُ إن نجا !...

عبد الله : (**يشير إليه بالصمت**) أى « بلال » أسيرى !..

بلال : (**يصيح**) لانجوتُ إن نجا !...

عبد الله : (**يحول بين بلال وبين أسيريه**) أتسمع يا « ابن السوداء » ؟...

بلال : (**يصيح**) لا نجوتُ إن نجا !...(**ثم يصرخ بأعلى صوته**) يا أنصار الله !... رأس الكفر « أميَّة بن خلف » !... لا نجوت إن نجَا ..

(**يأتى ابن عوف مع رهط من المسلمين ، ويحيطون بالأسيرين ، ويضرب ابن عوف بسيفه ابن أمية بن خلف فيقع** ...)

أميَّة : (**يصيح صيحة منكرة**) ولداه !...

عبدالله : (**لأمية بن خلف**) انج بنفسك ولا نجاء بك ، فوالله ما أغنى عنك شيئًا (**ثم يبحث عن أدراعه ، فيجدها قد ضاعت فى الموقعة**) أدراعى ؟... أين ذهبت أدراعى ؟...

ابن عوف : (**يهبر أمية بسيفه ، حتى يفرغ منه كذلك**) خذها يا عدو الله !...

بلال : (**صائحًا فى فرح**) الحمد لله !... مات عدو الله !... أحدٌ !... أحدٌ !...

عبد الله : (**لبلال**) لك الله يا « بلال » !... ذهبت أدراعى ... وفجعتنى بأسيرى !...

بلال : (**يصيح فى حماسة**) أحَدٌ !.... أحدٌ !...

معوذ : (**باحثًا عن أبى جهل فى الصفوف**) أين اللعين « أبو جهل » ؟...

عبد الله : « أبو جهل » لا يخلص إليه !...

بلال : (**يصيح**) ها هو ذا قد انفرد ، وشُغل عنه القوم بأنفسهم !...

معوذ : (**يصمد نحو أبى جهل ويضربه فيقع**) خذها يالعين !..

أبو جهل : إلَّى يا « عكرمة » !..

(يسرع إليه ابنه عكرمة فيضرب معوذًا على عاتقه ، فيطرح يده فتعلق بجلدة من جنبه ، فيتركها ، ويقاتل وهو يسحبها خلفه حتى تؤذيه ، فيضع قدمه عليها ، ثم يتمطى بها عليها ، حتى يطرحها ، ويذهب إلى أبى جهل وبه رمق ...)

معوذ : هل أخزاكَ الله ، يا عدو الله ؟!..

أبو جهل : (**فى حشرجة الموت**) وبماذا أخزانى ؟.. أعارٌ على رجل قتلتموه !.. أخبرنى لمن الدائرةُ اليوم ؟...

معوذ : لله ولرسوله !...

(أبو جهل يلفظ النفس الأخير فيجتز معوذ رأسه)

محمد : (**عند عريشه ينظر إلى أصحابه وقد أسروا عددًا كبيرًا من قريش**) إن الغلبة للمسلمين !..

سعد : إنهم يأسرون ...

محمد : (**فى فرح**) مرحى !... مرحى !...

سعد : والله إنى ...

محمد : والله لكأنَّك يا « سعد » تكره ما يصنعُ القومُ !؟...

سعد : أجل والله يا رسولَ الله كانت أولَ وقعة أوقعها الله بأهل الشِّركِ ، فكان الإثخان فى القتل بأهلِ الشرك أحبَّ إلىَّ من استبقاء الرجال ...

محمد : انظر !... لقد فرّ المشركون !...

معوذ : (**يقدم حاملا رأس أبى جهل**) يا رسول الله !... هذا عدوُّ الله « أبو جهل » !..

محمد : (**مهللا**) الله أكبر ... ذو الملكوت والجبروت !...

معوذ : نعم ... الله ذو الملكوتِ والجبروت !..

(**ثم يلقى الرأس من يده** ...)

محمد : (**فى فرح**) الله الذى لا إله غيره !... الله الذى لا إله غيره !...

عمر : لقد تم النصر يا رسول الله !...

معوذ : وفرّ من بقى من المشركين قافلين ..

أبو بكر : (**ناظرًا إلى السماء**) لربى الحمد !.. لربى الحمد !...

سعد : ألا نُلقى بجثث القتلى من المشركين فى « القليب » يا رسول الله ؟...

محمد : نعم !..

(**يجمع سعد ورهط من المسلمين جثث قتلى المشركين ، ويلقون بها فى القليب** .....)

سعد : (**يقذف بالجثث**) هذه جثة « أمية بن خلف » وقد انتفخ فى درعه فملأها ، وهذه فيما أرى جثة « أبى جهل » بلا رأس !...

معوذ : (**يلقى إليه برأسه**) هذا رأسه ...

سعد : وهذه جثة « عتبة » ...

(**أبو حذيفة بن عتبة يقف ينظر إلى جثة أبيه وهو كئيب قد تغير** .....)

محمد : (**يلحظ ذلك منه**) يا « أبا حذيفة » ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟...

أبو حذيفة : (**يرفع رأسه**) لا والله يا رسول الله ، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيًا وحلمًا وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر ، بعد الذى كنتُ أرجو له ؛ أحزننى ذلك !..

محمد : (فى تأثر) جزاك الله خيرًا يا « أبا حذيفة » !...

عمر : يا رسول الله !... ألا نبعث أحدًا إلى المدينة يبشر الناس بنصر الله ؟!...

محمد : نعم !..

أبو بكر : (لعمر) فليذهب « زيد بن حارثة » بشيرًا إلى المدينة !... يخبرهم بسلامةِ رسول الله والمسلمين !..

محمد : (يتجه إلى القليب) يا أهل « القليب » ؟... بئس عشيرة نبى كنتم لنبيكم ، كذَّبتمونى وصدَّقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ، : هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًا ؟... فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقًا !...

سعد : (متعجبًا) يا رسولَ الله !... أتنادى قوما قد جَيَّفوا ؟...

محمد : ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم !..

المنظر التاسع

(**محمد وعائشة فى مسكنهما ليلا** ...)

عائشة : (**باسمة**) جئتُ لك بما تحبُّ من الطيبِ !...

محمد : (**باسمًا**) أتدرين ما أطيب الطيبِ ؟...

عائشة : ما هو ؟...

محمد : أطيبُ الطيبِ المسكُ !...

عائشة : أدرى وربِّ « محمد » أنك تتطيب بذِكارَةِ الطيبِ ، والمسكِ والعنبر ..

محمد : طِيبُ الرجالِ ما ظهرَ ريحه وخَفِىَ لونه !...

(محمد)

عائشة : (**باسمة**) وطيبُ النساء ؟...

محمد : ما ظهرَ لونه وخفى ريحه !...

عائشة : إنى أتطيبُ لك !...

محمد : إنكِ امرأتى !..

عائشة : نعم ... ورب « محمد » إنى امرأة رسولِ الله !...

محمد : أتعلمين يا « عائشةُ » ؟.. أريتُك فى المنام ثلاثَ ليالٍ ، جاءنى بك الملَكُ فى سَرَقَةٍ من حرير يقول : « هذه امرأتك فاكشف عنها » ؛ فإذا هى أنتِ !...

عائشة : ذلكَ وحىٌّ من عند الله ؟..

محمد : أجل يا « عائشة » ذلكِ من عندِ الله !...

عائشة : ألستُ خير النساء عندَكَ !..

محمد : و « خديجة » ؟..

عائشة : ما تذكرُ من عجوزٍ حمراء الشِّدقين هلكتْ فى الدهر ، قد أبدلَكَ الله خيرًا منها !!...

(**محمد يبدو الغضب فى وجهه** ....)

عائشة : أغَضِبْتَ ؟..

محمد : (**ناهضًا**) والله ما أبدلنى الله خيرًا منها ، آمنت بى حينَ كذَّبَنى الناس ، وواستْنى بمالها حين حرمَنى الناسُ !...

عائشة : (**ناهضة صائحة فى غضب وغيظ**) لكأنه ليس فى الأرض امرأة إلاَّ « خديجة » ؟..

(**أبو بكر عند الباب** ...)

أبو بكر : يا رسول الله ! أتأذنُ لى فى الدخول ؟..

محمد : نعم !..

أبو بكر : (**يلتفت إلى ابنته**) لقد سمعتكِ تصيحين ؟...

(**عائشة مطرقة لا تجيب ...**)

أبو بكر : (**لعائشة**) يا « بنت أمِّ رومانَ » ، أترفعينَ صوتَكِ على رسولِ الله ؟...

(**يتناولها أبوها ...**)

محمد : (**يحول بينه وبينها**) دعها يا « أبا بكر » !...

أبو بكر : (**متجهم الوجه**) إنى ذاهبٌ يارسول الله ، وأعود بعد قليل !..

(**يخرج ......**)

(**يبقى النبى وعائشة وحدهما ، مطرقين صامتين**)

(**عائشة تبكى ....**)

محمد : (**يلتفت إليها**) مالك يا « عائشة » ؟..

عائشة : وربِّ « إبراهيم » إنى ...

محمد : (**يدنو منها ويرق لها**) ألا ترينَ قد حُلتُ بين الرجلِ وبينك ؟..

عائشة : ودِدت وربِّ « إبراهيمَ » أنى عندكَ خيرٌ مما أكون ...

محمد : لا تغضبى !...

عائشة : إنى لستُ غضبَى !...

محمد : إنى لأَعلم إذا كنت عنى راضية ، وإذا كنتِ عَلَيَّ غضبى !..

عائشة : ومن أين تعرف ذلك ؟..

محمد : (**باسما**) إذا كنتِ عنى راضيةً فإنك تقولينَ ورب « محمد » !...
وإذا كنت علَيَّ غضبَى قلتِ وربِّ « إبراهيم » !...

عائشة : (**باسمة**) أجل يا رسول الله ، والله ما أهجُر إلا اسمك !..

محمد : أين خادمتك « بُرَيْرةُ » تأتينى بشربةٍ من ماء !..

عائشة : (**تنهض إلى الباب**) ربما كانت تصلى !..

محمد : لا أسمع لها هينمة !...

عائشة : (**تلقي نظرة خارج المكان وتصيح**) يا رسول الله !...

محمد : مالكِ يا « عائشة » ؟..

عائشة : إنها قد نعست وهى تصلى !...

محمد : (**يتوجه إلى مكان بريرة لينظر**) حقًا !..

عائشة : يا « بريرة » !...هذا رسول الله !..

محمد : (**لبريرة**) « إذا نَعَسَ أحدكم وهو يصلى فليْرقد ؛ حتى يذهبَ عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلَّى وهو ناعس ، لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسُبُّ نفسه !... »

(**يعود مع عائشة إلى مكانهما** .....)

عائشة : (**ضاحكة**) صدقت والله يا رسول الله !...

محمد : (**لعائشة**) ألا تَرَيْنَ أنِّى أضاحكك ؟..

عائشة : (**ضاحكة**) نعم يا رسول الله !...

(**أبو بكر بالباب** .....)

أبو بكر : أيؤذن لي ؟..

محمد : ادخل يا « أبا بكر » !..

أبو بكر : (**يدخل وينظر إليهما**) أتضحكان ؟...

محمد : نعم !...

أبو بكر : (**باسما**) أشرِكانى فى سِلمِكمُا ، كما أشركتمانى فى حربكما !..

المنظر العاشر

(فى مكة أمام بيت العباس بن عبد المطلب ، صفوان بن أمية جالس إلى عمير ، ومعهما رهط من قريش ، بينهم عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل ...)

صفوان : (**لقريش**) لا تصدقوا الخبَرَ!...

قريش : كيف لا نصدق ، وكلما قدم أحدٌ من بدر ، أخبرنا بمصابنا ؟...

عمير : (**همسا لصفوان**) واللات ، لقد أبصرتهم يهبرون أباك وأخاك بأسيافهم هَبْرًا ؛ كما أبصرتُ رأس « أبى الحكم » يُجْتَزُّ بسيف « معْوَذ » ...

صفوان : (**فى حزن**) واللات ، ما فى العيشِ بعدَهم من خَير ..

عمير : صدقت .. أما واللات ، لولا دَيْنٌ علىّ ليس له عندى قضاء ... وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدى ؛ — لركبت إلى « محمد » حتى أقتله ؛ فإن لى قِبَلهم علة : ابنى أسيٌر فى أيديهم !..

صفوان : أحقًا تقول ؟...

عمير : نعم !...

صفوان : (**على عجل مغتنما الفرصة**) علىَّ ديْنُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بَقوا ... لا يسعُنى شىء ويعجز عنهم ...

عمير : (**يفكر قليلا ثم بعزم**) قد قبلت فاكتم عنى شأنى وشأنك ...

صفوان : أفعل !..

عمير : (**ينهض ويأمر غلاما له همسا**) علىَّ بسيفى ، وأريد أن يُشْحَذَ لى ويُسم ...

(ثم يختفى عمير بين الناس ......)

امرأة : (تتقدم باكية) يا « صفوان » !... ما أغلى ما فُدِىَ به قرشى ؟...

صفوان : أربعة آلاف درهم !...

المرأة : سأبعث بها أفديه !...

صفوان : مَنْ !..

المرأة : (وهى تنوح) ابنى « أبو عزيز » ...

(يعلو نحيبها .....)

قريش : (يسكتونها) صه !... إن النحيب على القتلى لم يحِل بعدُ ...

المرأة : (تتجلد فى الحال) إلى متى ؟...

قريش : إن « أبا سفيان » قال : لا تفعلوا فيبلغَ « محمدًا » وأصحابه ، فيشمتوا بنا ، ولا نبعثَ فى أسرانا حتى نستأنسَ بهم ، لا يأرب علينا « محمد » وأصحابه فى الفداء !...

المرأة : (تذهب) ما بقى عندى من صبر !..

قريش : (تنظر إلى رجل قادم) هذا « الحيسَمان » قادمًا من « بدر » ....

صفوان : عسى أن يجيء بالخبر اليقينِ !...

قريش : (للحيسمان) ما وراءك ؟...

الحيسمان : قُتل « عتبة بن ربيعة » و « شيبة بن ربيعة » و « الحكم بن هشام » و « أمية بن خلف » !..

صفوان : (همسا لبعض قريش الدانين منه ، وقد اختفى عن أنصار الحيسمان) واللاّت أن يعقِلَ هذا ؛ فاسألوه عنى !...

(بعض قريش يتقدمون إلى الحيسمان)

قريش : وما فعل « صفوان بن أمية » ؟...

الحيسمان : (**يشير إلى مكانه**) ها هو ذاكَ جالسا فى الحجر ، وقد واللات رأيتُ أباهُ وأخاه حين قُتلا !...

أم الفضل : (**زوجة العباس عم النبى همسا ، وهى تنظر إلى عبدها أبى رافع**) لا فُضَّ فوه القادم بهذا الخبر ؟...

أبو رافع : (**همسا فى فرح لأم الفضل وهو ينحت أقداحا**) لقد أيد الله رسوله ونصره نصرًا مبينًا !...

أم الفضل : (**تنظر وتهمس**) لقد أقبل « أبو لهب » يجر رجليه بشر ..

أبو رافع : (**ينظر إلى وجه أبى لهب ويهمس**) إن الله قد كبته وأخزاه !..

(**أبو لهب يجلس على حجر قرب الباب صامتا مطرقا ، وخلفه أبو رافع وأم الفضل ينظران إليه فى تشف** ....)

أبو لهب : ما لكم لا تصدِّقون ما جاء به أولئك النفر ؟!..

قريش : (**تلتفت إلى ناحية**) هذا « أبو سفيان » قد جاء !...

أبو لهب : (**ينهض ويصيح به**) هلمّ إلىّ ، فسدكَ لعمرى الخبرُ ...

أبو سفيان : (**يجلس إليه ، والناس قيام عليهما**) نعم !...

أبو لهب : يا ابنَ أخى ، أخبرنى كيف كان أمرُ الناس ؟..

أبو سفيان : واللات ما هو إلا أن لقينا القوم ، فمنَحناهم أكتافَنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايمُ اللات مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ ، لقِيَنا رجالٌ بيضٌ على خيْل بلْق بين السماء والأرض ، واللاتِ ما تليق شيئاً ، ولا يقوم لها شىء !...

أبو رافع : (**لا يملك نفسه ، فينهض صائحا**) تلك والله الملائكة !..

أبو لهب : (**يلتفت خلفه فيرى أبا رافع فيضربه بيده على وجهه ضربة شديدة**) خَسِئتَ يا أسودَ الوجهِ !...

أبو رافع : إنى والله ما أخسَأُ أبدًا ، إنما يخسَأُ المشركون !..

أبو لهب : (**يقوم إليه فيحتمله ويضرب به الأرض ، ويبرك عليه يضربه**) تبًّا لك من عبدٍ خسيس ، واللات لأضربنَّ بكَ الأرضَ !...

أم الفضل : (**تأتى بعمود من عمد البيت فتضرب به أبا لهب ضربة تشج رأسه**) استضْعفْتَه أن غابَ عنْه سيّدُه !...

أبو لهب : (**يضع يده على رأسه**)حسبُكِ !.... حسبكِ !....
(**ويقوم هاربا** .....)

أم الفضل : قم !... اذهبْ عنا ، موليًا ذليلاً !...

قريش : (**تجتمع حول أبى سفيان**) يا « أبا سفيان » !.. ألا تفتـدى « عَمْرًا » ابنك ؟...

أبو سفيان : أيجتمع علىَّ دمى ومالى !... قتلوا ابنى « حنظلة » وأفدى ابنى « عمْرًا » ؟.. دعوه فى أيديهم ، يمسكوه فى أيديهم ما بدا لهم ...

صفوان : (**يتقدم صائحا فى الناس**) أبشروا بوقعة تأتيكم فى أيام ، تنسيكم وقعةَ « بدر » !...

قريش : ماذا ؟..

صفوان : لا أقول لكم الآن !..

عكرمة : يا معشر قريش !... عندى لكم رأى !...

قريش : قل يا « عِكرمة » !...

عكرمة : لقد ربحت تجارتنا وجاء بها « أبو سفيان » ..... وإن « محمدًا » قد وتركم وقتل خيارَكم فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ...

أبو سفيان : نعم الرأى !...

قريش : نعم فلنخرج لحرب « محمد » بأموالنا !...

جبير : (**ينادى عبدا له**) يا وحشىّ !....

وحشى : لبيك مولاى !...

جبير : إنك تقذف برمحك ، قذف الحبشة قلما تخطئ به ، فاخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت « حمزة » عمَّ « محمد » بعمى « طعيمة » فأنت عتيق !...

وحشى : (**فرحا**) أفْعَلُ !...

أبو سفيان : فلتخرج قريش بحدها وجدها وأحابيشها !...

قريش : (**تصيح**) الثأر !... الثأر !..

(**يتفرقون** ......)

أبو رافع : (**لأم الفضل**) ويحهم !... سيخرجون لحرب رسول الله !..

أم الفضل : إذا جاء « العباس » فلنخبره ، علّه ينبئ رسول الله بخبرهم !...

أبو رافع : نعم !...

أم الفضل : (**تنظر**) من هذا القادم ؟...

أبو رافع : هذا « الأسود بن المطلب » !..

أم الفضل : لقد أصيب له ثلاثة من ولده !...

(**تدخل دارها ، ويدخل خلفها أبو رافع** .....)

الأسود : (**وقد ذهب بصره يقوده غلام له**) اسمع !... أليست هذه نائحة ؟...

(**يصغى إلى صوت امرأة قد ارتفع فى الفضاء**)

الغلام : (**يصغى**) نعم !...

الأسود : اذهب وانظر هل أحِلَّ النحيب ؟... هل بكت قريش على قتلاها ، لعلى أبكى على « أبى حكيمة » فإن جوفى قد احترق !..

(**الغلام يذهب سريعا** .....)

هند بنت عتبة بن ربيعة : (**تقبل**) ماذا تصنع هنا يا « ابن المطلب » ؟...

الأسود : من أنتِ ؟...

هند : أنا « هند بنت عتبة » !..

الأسود : أما بكيت على أبيك ؟...

هند : لم يحن الحين ...

الغلام : (**يعود صائحا**) كلا ، لم يَحِلَّ النحيب !...

الأسود : وما تلك النائحة ؟..

الغلام : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته !..

(**الأسود يستند إلى ذراع غلامه ويمضيان فى إطراق ...**)

الأسود : أتبكـــــى أن يضل لها بـــــعير ؟
ويمنعهـــا مـــن النـــوم السهـــود
ولا تبكـــى على « بـــدر » ولكـــن
على « بـــدر » تقـــاصرت الجدود

(**يذهب .....**)

(**هند تسير فى طريقها ، فتقابل العبد وحشيا يحمل رمحه .....**)

وحشى : (**وهو يهز الرمح**) أيها الرمح !... رقبتى معلقة بسنّك !..

هند : (**لوحشى**) ويها « أبا دسمة » !.. اشْف واشتفِ !...

المنظر الحادى عشر

(فى المسجد بالمدينة — « كعب بن الأشرف » اليهودى ، فى نفر من القوم)

كعب بن الأشرف : أحقًا تقولون ؟.. أترون « محمدًا » قتل هؤلاء ؟..

الناس : نعم !...

كعب : هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان « محمد » أصاب هؤلاء القوم ، لبَطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها !..

عمر بن الخطاب : (**يدخل**) ماذا يقول هذا اليهودى ؟..

كعب : أقُتِل حقًا أشرافُ « قريش » فى « بدر » ؟..

عمر : اذهب إلى « القليب » تجد جِيَفَهُم !...

الناس : (**ينهضون فى إجلال**) رسول الله !..

(محمد يدخل من باب مسكنه اللافظ فى المسجد ، وقد رأى اليهودى كعب بن الأشرف)

محمد : يا معشر « يهود » !... احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسْلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسَل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ...

كعب : يا « محمد » !.. إنك ترى أنَّا قومك ؟... لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمَنَّ أنا نحن الناس ؟...

عمر : (**يدفعه ويخرجه من المسجد**) اخسأ واغرب

يا عدو الله !...

(**صمت ......**)

ابن إسحق : (**من بين الناس المحيطين بمحمد**) ... يا رسول الله !.. أمَنِ استشهد يوم « بدر » يدخل الجنة !...

محمد : نعم !...

ضرار : من يدخلها من أمَّتك يا رسولَ الله ؟...

محمد : يدخل الجنة سبعون ألفًا من أمتى على صورة القمر ليلة البدر !...

عكاشة : يا رسول الله !... ادع الله أن يجعلنى منهم !...

محمد : (**يرفع عينيه إلى السماء**) اللهم اجعله منهم !...

(**يقوم رجل من الأنصار مسرعا إلى محمد**)

الأنصارى : يا رسول الله !... ادع الله أن يجعلنى منهم !..

محمد : سبقك بها عكاشة ، وبَردتِ الدعوة !...

عمر : (**يلتفت إلى باب المسجد**) من الذى أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف ؟..

(**ابن إسحق يتجه إلى الباب ثم يعود إلى عمر مسرعا هامسا ....**)

ابن إسحق : هو عمير بن وهب ...

عمر : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ...

ابن إسحق : نعم وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم « يوم بدر! » ..

عمر : (**يدنو من محمد الجالس فى وسط المسجد**) يا نبىّ الله هذا عدو الله « عمير بن وهب » قد جاء متوشحًا سيفه !...

محمد : أدخله علىّ !..

عمر : (**وهو ذاهب إلى الباب ، يلتفت إلى نفر من الأنصار**) اجلسوا

عند رسول الله واحذروا عليه من هذا الخبيث ؛ فإنه غيرُ مأمون !..

(يخرج ويعود فى الحال مع عمير وقد أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها ......)

محمد : أرسله يا « عمر » !...

(عمر يترك عميرًا ....)

محمد : ادن يا « عمير » !...

عمير : (**يدنو**) أنعِمُوا صباحًا !...

عمر : (**همسا له**) تلك تحية أهل الجاهلية يا عدوَّ الله !...

محمد :(**لعـمير**) قد أكرَمنا الله بتحيةٍ خيرٍ من تحيتك يا « عمير » : بالسلام تحية أهل الجنة !...

عمير : أما والله يا « محمد » إن كنتَ بها لحديثُ عهد !..

محمد : ما جاء بك يا « عمير » ؟...

عمير : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه ....

محمد : وما بال السيف فى عنقك ؟...

عمير : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنَّا شيئًا ؟!..

محمد : اصْدُقْنِي ... ما الذى جئت له ؟...

عمير : ما جئت إلاّ لذلك !...

محمد : (**ينظر إليه مليا**) بلى ، قعدتَ أنت و « صفوان بن أميـة » فى « الحِجْر » فذكرتما أصحاب « القليب » من قريش ، ثم قلتَ : « لولا دينٌ علىّ ، وعيالٌ عندى لخرجت حتى أقتلَ « محمدً » فتحمَّل لك « صفوانُ » بدَيْنك وعيالك فى أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك !... »

عمير : (**فى عجب ودهش**) هذا والله أمر لم يحضُره إلا أنا و « صفوانُ »

فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله !...

محمد : نعم !..

عمير : أشهد أنك رسول الله !...

محمد : الله أكبر !...

عمير : قد كنا يا رسول الله نُكذِّبكَ بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى !...

محمد : الله أكبر !...

عمير : الحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق !.. أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله !...

محمد : (**لأصحابه**) فقِّهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيرَه ....

(**يذهب بعمير أحد الأنصار** ...)

عمير : (**قبل أن يذهب**) يا رسول الله !... إنى كنت جاهدًا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى ، فأقدم « مكة » فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتُهم فى دينهم كما كنت أوذِى أصحابَك فى دينهم ...

محمد : افعل !..

أبو بكر : (**يدخل ومعه كتاب**) يا رسولَ الله ... هذا كتاب من « العباس ابن عبد المطلب » !...

محمد : اقرأ !..

أبو بكر : (**يقرأ الكتاب**) : لقد خرجت « قريش » لحربكم ، تطلب بثأر « بدر ، وجهَّزوا بربح تجارتِهم جيشًا إليكم ... »

عمر : أين الرسول الذى جاء بهذا الكتاب ؟...

أبو بكر : (**يشير إلى رجل بالباب**) ها هو ذاك !...

عمر : (**للرجل**) أخرجَتْ « قريش » ؟...

الرجل : نعم ، وإنهم قد خلوا إبلهَم وخيلهم فى الزرع الذى بـ « العُرَيض » حتى تركوه ليس به خضراء !...

محمد : (**يرفع رأسه**) قد رأيت والله تلك الليلة كأن بقراً لى تذبح ورأيت فى ذُبابِ سيفى ثَلمًا ، ورأيت أنى أدخِلَتْ يدى فى دِرْع حصينة ....

أبو بكر : خير إن شاء الله !...

عبد الله بن أبىّ : وما تأويل ذلك يا رسول الله !...

محمد : أما البقر فهى ناس من أصحابى يُقتلون ، وأما الثَّلم الذى رأيتُ فى ذُباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يُقتَل ، وأما الدّرع الحصينة فأولتها « المدينة » ؛ فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا ، أقاموا بشرٍّ مقام ، وإن هُم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ...

عبد الله بن أبىّ : هذا والله هو الرأى !...

(**يقوم بعض فتيان من الأنصار ...**)

الشباب : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنَّا جبُنَّا عنهم وضَعُفْنا ..

ابن أبىّ : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرٍّ محبَس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين ؛

كما جاءوا ...

محمد : (**للناس**) امكثوا فى « المدينة » ، واجعلوا النساء والذَّرارِي فى الآطامِ !...

الشباب : اخرج بنا يا رسول الله !... لقد كنا والله نخرج إلى عدوِّنا ... أما وقد أعزنا الله بالإسلام ، وفينا نبىٌّ مرسل ؛ أيدخل الوهن قلوبنا والخوف نفوسنا ؟...

ابن أبىّ : هؤلاء والله فتيانٌ أحداث ممن لم يشهدوا « بدرًا » لا يرون إلا أن يصنعوا ما صنع الآخرون !...

الشباب : نعم ... إن الله الذى نصر رسوله يوم « بدر » لقادر على نصره اليوم ... اخرج بنا يا رسول الله ؛ كما خرجتَ بأصحاب « بدر » !... اخرج بنا إلى عدوِّنا !..

محمد : (**ينهض**) تهيأوا للخروج إلى عدوكم !..

(ثم يدخل بيته من أحد أبواب المسجد ويشير إلى أبى بكر وعمر فيتبعانه ...)

الشباب : (**فى فرح**) الله أكبر !... الله أكبر !...

ابن أبىّ : عصانى وأطاع الوِلْدان ....

(ينصرف مغضبا ....)

سعد بن معاذ : (**للشباب**) استكرهتم رسول الله على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء !...

أسيد بن خضير : (**للشباب**) ردوا الأمر إليه !...

الشباب : (**فى تفكير وندم**) أجل ... والله لقد استكرهنا رسولَ الله ، ولم يكن لنا ذلك !...

سعد : (**ينظر حوله**) أين « أبو بكر » و « عمر » ؟..

أسيد : (**يدنو من باب النبى وينظر**) إنهما مع رسول الله ، وقد عمَّماه وألبساه !...

سعد : يا « أسيد » !.. صُفَّ الناس له ينتظرون خروجه !...

أسيد : (**يصيح**) أيها الناس !... اصطفوا !...

(**يخرج محمد وقد لبس لامته ، وأظهر الدرع ، واعتم ، وتقلد السيف ، وألقى الترس فى ظهره ، وخلفه أبو بكر وعمر**)

سعد : (**للنبى**) يا رسول الله !... ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك !...

الشباب : استكرهناك يا نبى الله ، و لم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد !...

محمد : (**يفكر قليلا ثم يعزم**) ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ... فانظروا ما أمرتكم به فافعلوه ، وامضوا على اسم الله فلكم النصرُ ما صبرتم !..

المنظر الثانى عشر

(**محمد فى جيشه ، أمام حائط لـ « مربع بن قيظى »** ....)

محمد : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟...

أبو حثمة : (**يتقدم**) أنا يا رسول الله !...

عمر : كيف ؟..

أبو حثمة : ننفذ من أرض « مربع بن قيظى » هذه !...

مربع : (**يسمع حسهم ، وهو رجل ضرير ، فيخرج ويصيح بهم**) ممن القوم ؟...

(محمد)

أبو حثمة : صه !... هذا رسولُ الله وصحبه ، يريدون أن ينفذوا ...

مربع : (**صائحا**) إن كنتَ رسول الله ، فإننى لا أحلُّ لك أن تدخل حائطى !...

محمد : من هذا الرجل ؟...

أبو حثمة : هو يا رسول الله رجل منافق ضرير البصر !...

(**مربع يأخذ حفنة من تراب فى يده**)

عمر : ما تصنع أيها الرجل بهذه الحفنة من التراب فى يدك ؟...

مربع : والله لو أنى أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا « محمد » لضربت بها وجهك !...

(**يتدره القوم ليقتلوه ...**)

أبو حثمة : قُبحتَ يا عدوَّ الله ...

(**يرفع سيفه عليه ......**)

محمد : لا تقتلوه !.. فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصر !...

(**يسير محمد ، ويتبعه الناس ....**)

ابن أبىّ : (**فى صخب له يهمس**) ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فلنرجع !...

(**ينصرف ويتبعه قومه ......**)

أحد الأنصار : يا قوم أذكركم الله ، ألاَّ تخذلوا قومكم ونبيكم ، عندما حضر من عدوهم ...

ابن أبىّ : لقد أطاع من لا رأى له وعصانى ، فلنرجع !...

(**ينصرفون ....**)

الأنصارى : أبعدكم الله — أعداءَ الله — فسيُغنى الله عنكم نبيَّه !...

أسيد : (**يلتفت ويصيح**) عجبًا !... ما بال بعض القوم

ينصرفون ؟..

الأنصارى : هذا ابن أبىّ وقومه ، قد انخذَلوا عنَّا !...

أسيد : إنهم ثُلثُ الناس !... لقد انخذل عنَّا اللعين بثلثِ الناس !..

الأنصارى : نعم ... وما بقينا إلاّ فى سبعمائة رجل وفرسين !...

المنظر الثالث عشر

(عند جبل « أحد » ــ « محمد » وجيشه يتهيأون للقتال ــ وقد جعلوا « أحد » خلف ظهورهم ....)

محمد : **(يمر فى صفوف الرماة ، وهم خمسون رجلا)** قوموا على مصافِّكم هذه ، انضحوا الخيلَ عنَّا بالنَّبل لا يأْتونا من خلفنا ، فإن رأيتمونَا قد غنِمْنا فلا تشْركونا ، وإن رأيتموناً تخطَّفتَنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسلَ إليكم ، وإن رأيتمونا قد هَزمْنا القومَ ، وظهرْنَا عليهم ، وأوطأْناهم ؛ ــ فلا تبرحوا حتى أرسلَ إليكم !...

أبو حثمة : **(يتقدم)** لقد رأيتُ المشركين يا « رسول الله » وهم ثلاثةُ آلاف رجل ومعهم مائتا فرَس ، وقد جعلوا على الميمنة « خالد بن الوليد » ، وعلى الميسرة « عِكْرمَةَ بن أبى جهل » ، وعلى الرماة « عبدَ الله بن أبى ربيعة » ، وهم مائة رامٍ !...

محمد : ومن يحملُ لواءهم ؟...

أبو حثمة : « طلحة بن عبد الدار » !..

محمد : أين « مصعب بن عمير » ؟...

مصعب : **(يتقدم)** هأنذا !...

محمد : (**يدفع إليه اللواء**) خذ اللواء !...

مصعب : وما شعارنا يا رسول الله ؟...

محمد : يا منصور ... أمِتْ !... أمِتْ !...

مصعب : اللهم يا منصور ، انصر رسولك وأمت أعداءه وأعداءك !...

محمد : (**يلتفت إلى كتيبة خشناء**) من هؤلاء ؟..

عمر : هم حلفاء « ابن أبيّ » من « يهود » ، وعددهم ستمائة رجل .

محمد : أوَقدْ أسلموا ؟...

عمر : لا يارسول الله !...

محمد : قولوا لهم فليرجعوا ، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين !..

عمر : (**يأمر الكتيبة**) اذهبوا ... لا حاجة لنا بكم !... (**تنصرف** ....)

محمد : (**يرفع سيفه**) من يأخذ هذا السيف بحقه ؟...

المسلمون : سيف رسول الله !...

محمد : نعم !...

أحد الأنصار : (**يقوم إليه**) أنا يا رسول الله !...

محمد : (**يمسكه عنه**) كلا !...

أحد المهاجرين : (**يقوم إليه**) أنا ...

محمد : (**يمسكه عنه**) كلا !...

عمر : (**لأبي بكر همسا**) هذا « أبو دجانة » الشجاع يقوم إليه !...

أبو دجانة : (**صائحا**) نعم ... أنا أقوم إليه ... ما حقُّه يا رسول الله !...

محمد : أن تضرب به فى العدوّ حتى ينحنى !...

أبو دجانة : أنا آخذه يا رسول الله بحقه !...

محمد : (**يعطيه إياه**) خذ !...

أبو دجانة : (**يأخذ السيف من النبى ، ويهزه فى حماسة ، ويتمثل**) :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألاَّ أقومَ الدهر فى الكُبولِ : اضرب بسيف الله والرسولِ

(**ثم يخرج عصابة حمراء ، يعصب بها رأسه ويتبختر بين الصفوف** ......)

الأنصار : لقد أخرج « أبو دُجَّانةَ » عصابة الموت !...

عمر : (**لأبى بكر**) أرأيت ؟... إنه إذا عصب رأسَه بهذه العصابة الحمراء علم الناس أنه سيقاتل !...

أبو بكر : (**فى إعجاب**) انظر يا رسول الله كيف يختال « أبو دُجَّانةَ » ويتبختر !...

محمد : إنها لَمِشْيَةٌ يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن !..

أبو حثمة : (**يصيح**) لقد دنا العدو !...

عمر : (**ينظر**) نعم ... وإنى لأرى صنمهم « هُبَل » على جمل بين صفوفهم ، جاءوا به ولا ريب يتيامنون به !... قاتلهم الله أجمعين !...

(**يدنو جيش قريش ، ويصيح أبو سفيان بأصحاب اللواء فى جيشه** ...)

أبو سفيان : يا « عبد الدار » إنكم قد وُليتم لواءنا يوم « بدر » فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤتَى الناس من قِبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ؛ فإما أن

تكفونا لواءنا ، وإما أن تُخلوا بيننا وبينه فتكفيكموه ...

طلحة : نحن نسلّم إليكَ لواءنا ؟؟!... ستعلم إذا التقينا كيف نصنع !...

أبو عامر : ألكم فى رجل يشطرُ جيش « محمد » شطرين ؟... أنا فإن أهلى من « الأوس » فى صف «محمد» ما إن يسمعوا ندائى حتى يستجيبوا لى .. وينحازوا معنا عليه !..

أبو سفيان : هلمَّ فاصنع !...

أبو عامر : (**يصيح فى جيش محمد**) يا معشر « الأوس » ، أنا « أبو عامر » !...

المسلمون : (**من أهله وقومه**) لا مرحبًا بك ولا أهلاً يا فاسق !..

أبو سفيان : (**ساخرًا**) أسمعت ؟...

أبو عامر : لقد أصاب قومى بعدى شر !...

(**ثم يقاتل المسلمين ...؛ ويبدأ الحرب بين الطرفين — أبو سعد ابن أبى طلحة يتقدم صف المشركين ....**)

أبو سعد : (**صائحا**) مَن يبارز ؟...

على : (**يبرز إليه**) أنا !...

(**يختلفان ضربتين ؛ ويقتله على ...**)

حمزة : (**يصيح**) يا منصور !... أمِتْ !... أمِتْ !..

(**ثم يهجم على طلحة حامل لواء قريش ، فيضربه على يده اليمنى ، فيتناول طلحة اللواء باليسرى ، فيقطعها حمزة بسيفه ، فيضم طلحة اللواء بذراعيه إلى صدره فيعاجله حمزة بضربة تقتله ....**)

محمد : (**يصيح**) الله أكبر ..... الله أكبر !...

(**أم عامر ومعها سقاء فيه ماء ، تمشى بين صفوف المسلمين ..**)

أم عامر : أبشروا معشر الأنصار والمهاجرين ، نصركم الله النصر المبين !...

أبو سفيان : (**يصيح**) ياللعُزَّى !... يا « لهُبَل » !...

(**هند فى نسوة بين صفوف قريش** ...)

وَيها « بنى عبد الدار » !..

ويها « حماة الأدبار بكل بتار » !...

محمد : (**يصيح فى المسلمين**) شدّوا !... شدّوا !...

أبو دجانة : (**صائحا**) :

أنــا الــذى عاهــدَنى خلــيلى

اضرب بسيــف الله والــرسول !...

عمر : مرحى !.. مرحى !... إن المشركين قد انكشفوا منهزمين ...

هند : (**مع النسوة يصحن فى صفوف العدو**)

نحن بنــاتُ طــارق نمشى على النمارق

إن تُقبِلــوا نعانــقِ أو تدبــروا نفــارِق

فِراقَ غيرِ وامقِ

المسلمون : (**صائحين**) يا منصور !... أمتْ !... أمتْ !...

أبو دجانة : (**يصيح**) أنا الذى عاهدنى خليلى ...

(**يرفع سيفه على هند** .....)

هند : (**تولول**) وَيلاه !...

أبو دجانة : (**يتركها**) أهى امرأة ؟... اذهبى قبحك الله !...

الزبير : (**خلفه**) اقتُلها !...

أبو دجانة : إنى أكرِّمُ سيفَ رسول الله أن أضربَ به امرأة !..

عمر : (**يصيح للرماة**) أجلوهم بالنَّبل أيها الرماة !...

(**عاصم بن أبى الأقلح من جيش المسلمين يرمى بسهمه مشركا**

هو « مسافع بن طلحة »)

عاصم : خذها وأنا « ابن أبى الأقلح » !..

(يقع مسافع .....)

المسلمون : يا منصور !... أمِتْ !... أمِتْ !..

أبو بكر : (**صائحًا**) اتبعُوهم !...

أم مسافع : (**تحمل ابنها فى حجرها ، والمسلمون يطاردون عدوهم**) يا بنىَّ من أصابك ؟..

مسافع : (**وهو يموت**) سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول : خذها وأنا « ابن أبى الأقلح » ...

(يموت ......)

أم مسافع : واللاَّتِ إن تمكنتُ من رأسه لأشربنَّ فيه الخمر !...

(تترك جثة ابنها وتجرى وقد طاردها المسلمون فيمن طاردوا ......)

الزبير : (**لأحد الأنصار**) إنظر !... والله إنى لأرى « هنــدًا » وصواحبها مشمراتٍ هواربَ ، وما دون أخذِهن قليل ولا كثير !...

الأنصارى : هلم نسلُبِ العدو ، فهزيمتُه لا شك فيها !...

(يعكف المسلمون على السلب ويشغلون به)

الرماة : انظروا !... النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت أَسْوقهُن وخلاخلهن ، رافعات ثيابهن !...

(يلحظ أميرهم عبد الله بن جبير تهامس الرماة)

عبد الله : (**صائحًا بهم**) لا تبرحوا !...

الرماة : (**صائحين**) الغنيمة !...

أحد الرماة : (**يترك مكانه فى حماسة**) نعم ... الغنيمة !... أئْ أقدموا . الغنيمة !... قد ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟..

عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ؟...

الرماة : لم يُرِدْ رسول الله هذا ... قد انهزم المشركون فما مقامنا ها هنا ؟..

عبد الله : لا أجاوز أمرَ رسول الله !...

أحد الرماة : انطلقوا !... نتبع العسكر وننتهبُ معهم !...

(**ينطلق الرماة خلف العسكر يسلبون ، ويثبت ابن جبير فى نفر يسير** ....)

هند : (**تقابل العبد وحشيا فى طريقها**) ويها « أبا دسمة » !.. اشف واشتف !..

وحشى : أين « حمزة » ؟..

هند : تراه فى عرض الناس ؛ مثل الجمل الأورَق يهذ الناس بسيفه هذّا ، ما يقوم له شىء ...

(**يتركها ويذهب وهو يهز حربته فى يده** ...)

عمر : (**فى دهش وخوف**) الجبَل خالٍ !... أين ذهب الرُّماة ؟!...

خالد بن الوليد : (**يصيح**) لقد خلوا الجبل !... فلنكرَّ بالخيل على منْ بقى مِنْ رُماتهم !...

(**يحمل على ابن جبير ورجاله من المسلمين فيقتلونهم ، وتجمع قريش فى أمل** ...)

أبو سفيان : (**صائحا**) يا معشر قريش !... احملوا !... احملوا ...

قريش : (**متصايحة**) يا « للعُزَّى » !... يا « لَهُبَل » !...
(**ينزلون بالمسلمين قتلا ذريعا ، وقد تفككت صفوف المسلمين** ....)

محمد : (**فى نفر قليل من أصحابه**) اثْبُتوا !... اثبتوا !...
(**يرمى عن قومه حتى تصير شظايا ثم يرمى بالحجر** ....)

مصعب : (**يصيح للفارين أمام العدو**) يا أصحاب النبى !...
ارجعوا واثبتوا !...

محمد : (**يصيح**) لكم النصر ما صبرتم !...

مصعب : (**فى حزن ، وهو يقاتل دون النبى**) تفرق شملنا ، وانتقضت صفوفنا ، واستدارت الرحى !..

سعد بن أبى وقاص : (**وهو يرمى بالنبل دون النبى**) لقد اقتربَ منا العدو يا رسول الله ، وما بقينا حولك سوى عشرة وقد نَفِدَت السهام ، وأخشى عليك ...

محمد : (**يناوله سهما وجده بقربه**) ارم فِداك أبى وأمى !...

سعد : إنك يا رسول الله تناولنى سهمًا ما له نصل !..

محمد : ارم به !...

أم عمارة : (**تقبل بسقائها**) رسولُ الله وحده مع نفر قليل ، والعدو دانٍ !... أعطونى سيفًا أذبُّ عن رسول الله !...
(**تلقى بسقائها ، وتتناول سيف أحد القتلى وتقاتل به دون النبى** ....)

أبو دجّانة : (**يقبل وسيفه فى يده يقطر دمًا والجراح فى جسمه**) لقد ولّى الناسُ عنك يا رسول الله ، وأخشى أن يخلُص إليك

العدو !... هذا نَبلةُ يصل إليك !... دعني أتـرّس دونك بنفسي ؟...

(ينحني على النبي فيقع في ظهره النبل)

محمد : إن النبلَ يقع في ظهرك !...

أبو دجّانة : لا بأس !...

(يكثر النبل في ظهر أبي دجانة حتى يموت ، ويقبل من صفوف قريش رجل هو ابن قميئة ويهجم رافعا سيفه ...)

ابن قميئة : دلوني على « محمد » فلا نجوتُ إن نجا !...

أم عمارة : (**تعترضه**) مكانك يا عدو الله !...

ابن قميئة : (**يضربها بسيفه على عاتقها فتقع**) عني أيتها الخاسرة !...

مصعب : (**يعترضه**) دونك !...

ابن قميئة : (**يضرب مصعبا بسيفه فيرديه**) خذ !...

(ثم يذهب إلى جهة النبي ...)

حمزة : (**يقبل ويمر بأم عمارة ، وهي طريحة تعاني من جرحها**) من أصابك بهذا ؟..

أم عمارة : « ابن قميئة » ، أقماه الله !...

حمزة : أين هو ؟...

أم عمارة : (**تلمح الغلام وحشيًا خلف حمزة رافعًا الرمح ، فتصرخ**) انتبه إلى من خلفك !!...

(يستتر وحشي منه بحجر ....)

حمزة : (**يلتفت**) مَنْ ؟...

(يتقدم إليه أحد المشركين وهو سباع بن عبد العزى .....)

أم عمارة : (**تصيح**) حذار ! ذاك « سباع » ابن ختّانة مكة !...

حمزة : (**يستقبله بالسيف**) هلم إلىّ يا ابن مقطّعة البُظور !...
(**يضربه ضربة تصيب رأسه ....**)

وحشى : (**يخرج من مخبئه ، ويهز رمحه ، ثم يدفعه على حمزة**) .... خذها وأنا « أبو دسمة » !..
(**يقع الرمح فى لبب حمزة ويخرج من بين رجليه ....**)

حمزة : (**فى صيحة ألم**) !... أصبتنى يا أسود الوجه !...
(**يذهب وهو ينوء نحو وحشى فيغلب ويقع ......**)

أم عمارة : (**صارخة**) ويلاه !... وقع أسد الله !... وقَع أسد الله !...

وحشى : (**يترك رمحه فى حمزة حتى يموت ، فيأتيه وينزعه منه**) الآن قد أعتقت !...
(**يذهب لا يلوى على شىء ...**)

ابن قميئة : (**يجرى نحو قريش يصيح**) يا معشر قريش !... يا معشر قريش !...

صوت : (**يعلو من الناس**) أيها الناس !... إن محمدًا قد قُتل !...

المسلمون : (**فى دهش وذهول**) قُتِل رسول الله ...

أبو بكر : (**فى ذهول بين بعض المهاجرين والأنصار**) قتل !...

عمر بن الخطاب : (**فى دهش وذهول**) قتل !...

(**يلقون ما بأيديهم يأسًا ... يمر بهم أنس بن مالك وفى يده السيف والدماء تتساقط منه ، والعرق يتصبب من وجهه ...**)

أنس : ما يُجلسكم ؟..

المسلمون : النبى قد مات !..

(يتركهم ويستقبل العدو ، ويقاتل حتى يسقط ، ويمر كعب بن مالك فيعثر على محمد واقعًا فى حفرة ووجهه مخضب بالدماء)

كعب : (**يصيح فرحًا**) رسول الله !... عرفت عينيك الشريفتين تزهران من تحت المِغْفَر !...

محمد : (**فى همس**) اسكت !

كعب : (**ينتصب واقفا فى فرح ! ولا يملك نفسه أن يصيح**) يا معشر المسلمين أبشروا !... هذا رسول الله !...

محمد : (**يشير إليه**) اسكت !...

المسلمون : (**ينهضون**) أين ؟... أين ؟...

(ثم يجرون نحو الحفرة التى وقع فيها النبى)

أبو بكر : (**يثب فرحا**) رسول الله بخير ؟!...

عمر : (**يجرى نحو النبى**) حمدًا لك اللهم !..

على : (**ينهض محمدًا من الحفرة**) هو اللعين « ابن قميئة » الذى فعل هذا ؟...

كعب : نعم ... وقد قَتل « مُصْعَبَ بنَ عمير » !...

محمد : (**وهو يمسح الدم الذى يسيل على وجهه**) كيفَ يُفلح قوم خضَبوا وجهَ نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم !...

أبو سفيان : (**يصيح من صفوف قريش**) : أيها الناس !.. أفى القتلى « محمد » ؟.. أفى القتلى « محمد » ؟.. أفى القتلى « محمد » ؟..

محمد : (**لصحبه**) لا تجيبوه !...

أبو سفيان : (**صائحًا**) أفى القتلى « ابن أبى قحافة » ؟...

محمد : لا تجيبوه !...

أبو سفيان : (**يمضى فى الصياح**) أفى القتلى « ابن الخطاب » ؟..

محمد : لا تجيبوه !..

أبو سفيان : (**لقومه صائحًا**) هؤلاء قد قتلوا وقد كُفيتُموهم !...

عمر : (**لا يملك نفسه أن يصيح**) كذبتَ والله يا عدو الله !... إن الذين عددتَ لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك !...

(**... أبى بن خلف يسمع قول عمر فيأتى مسرعا رافعا سيفه ....**)

ابن خلف : أىْ محمد !... لا نجوتُ إن نجوتَ !...

على : (**للنبى**) أيعطف عليه رجل منا ؟..

محمد : دعوه !..

ابن خلف : (**يدنو صائحا**) أين « محمد » ؟...

محمد : (**يتناول رمحا من أحد أصحابه ، وينتفض به انتفاضة شديدة ، ويستقبل ابن خلف فيطعنه به**) خذ !...

ابن خلف : (**فى ألم وروع**) آه !.. قتلنى « محمد » !...

(**يرجع إلى قومه ؛ ويسقط بينهم ...**)

عمر : فلنعلُ الجبل يا رسول الله !... لا يلحقوا بنا !...

(**يصعدون بمحمد الجبل ....**)

على : (**ينظر أسفل الجبل**) هذا « خالد بن الوليد » فى رجال يعلون خلفنا الجبل !...

محمد : اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا !..

عمر : فلنقاتلهم حتى نُهبطهم !..

أبو بكر : ارموهم بالنبل والحجارة !...

(**يرمونهم حتى يهبطوا الجبل ...**)

خالد بن الوليد : (**فى أسفل الجبل ينظر إليهم ، وهم يصعدون**) لقد

فروا !... فما هم إلا بضعة رجال لا غناء فيهم بعد أن ذهب جيشهم !...

أبو سفيان : (**يصيح**) أنعمتِ فعال ، إن الحربَ سجال يوم بيوم « بدر » !.. اعل هُبَل !... اعل هُبَل !...

محمد : (**لأصحابه**) ألا تجيبونه ؟..

عمر : بماذا نجيبه يا رسول الله ؟..

محمد : قولوا : « الله أعلى وأجلّ !... لا سَواء ... قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار »...

(**عمر والمسلمون يصيحون بما أمرهم به النبى** ....)

أبو سفيان : (**يصيح**) يا أصحاب « محمد » !.. لنا « العزّى » ولا « عزّى » لكم !..

محمد : قولوا له : « الله مولانا ، ولا مولى لكم » !..

(**المسلمون يصيحون بما أمروا به** ...)

على : (**ينظر**) لقد ذهبوا !...

محمد : (**لعلى**) اخرج فى آثارهم فانظر ماذا يصنعون ، وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل فإنهم يريدون « مكة » ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرَنَّ إليهم فيها ثم لأناجزنهم !...

(**على يذهب لما أمر به** ....)

كعب : (**يقبل محزونا**) يا رسول الله !... إن « حمزة » فى القتلى !...

محمد : (**فى دهش**) حمزة ؟!...

كعب : (**مرتجف الصوت**) نعم !... وقد وقفت « هند » ونسوة معها من قريش ، يمثلن بالقتلى من أصحابنا ، يجدعنَ الآذان والآنفَ

وقد اتخذَتْ « هند » من آذان الرجال وآنفِهِمْ قلائدَ ، وقد بقرَتْ بطن « حمزة » عن كبِده ، فأخرجتها فلاكتها بأسنانها ، فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها !...

محمد : (فى دهش) من قتله ؟..

كعب : « وحشى » غلام « جبير بن مطعم » !...

هند : (تعلو صخرة مشرفة وتصيح) يا أصحاب « محمد » !..

كعب : (يلتفت) تلك هى !..

(هند تصيح ....)

نحن جزيناكم بيوم « بدر »
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن « عتبة » لى من « صبر »
ولا أخى وعمه وبِكرى
شفيتُ نفسى وقضيتُ نذرى
شفَيْتَ « وحشىّ » غليلَ صدرى !....
فشكر « وحشىّ » علىَّ عُمرْى
حتى ترِمَّ أعظمُى فى قبرى !..

(تهبط وتتبع قومها ....)

أبو سفيان : (يمر بجثة حمزة فيضرب فى شدقه بزج الرمح) ذق عُقَقُ ؟...

الحليس : (خلفه وقد رآه يفعل ذلك) هذا سيد قريش ، يصنع بابن عمه هذا !...

أبو سفيان : (يلتفت خلفه فيرى الحليس) ويحك !... اكتمها عنى !... فإنها كانت زلة !...

الحليس : (كالمخاطب لنفسه ساخطًا وقد رأى الجثث المبقورة) ما هذا

المَثْل بالرجال ؟!...

أبو سفيان : (**يلتفت ناحية المسلمين ، ويصيح**) يا أصحاب « محمد » !... إنه كان فى قتلاكم مَثْلٌ ، والله ما رضيت وما سخطت ، وما نهيت وما أمرت !... إن موعدكم « بدر » للعام القابل !...

(**يذهب مع القوم** ....)

محمد : (**لعمر**) قل نعم ... بيننا وبينكَ موعد !...

عمر : (**يصيح**) يا « أبا سفيان » !... هو بيننا وبينك موعد !..

أبو بكر : أين ذهب الناس ؟...

كعب : قومنا ؟... فى كل واد !.. لقد ولى الناس عن رسول الله ؛ إذ سمعوا من صاح فيهم : « محمد قد قُتل » !..

عمر : نعم ... والله ، لقد سمعنا هذا فلم ندر ما نصنع من الرَّوع !...

أبو بكر : لقد فتَّ فى أعضَاد المسلمين !...

محمد : (**يتلو**) ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ ؟!..

على : يا رسول الله !... إن قريشًا قد جَنَّبَتِ الخيلَ وامتطت الإبل ، ووُجِّهت إلى « مكة » !..

محمد : (**محزونا**) فلنرَ قتلانا !... هلموا بنا إلى بطن الوادى ، نـرَى قتلانا !..

(**يهبطان إلى بطن الوادى** .....)

على : رسول الله يلتمس حمزة !.. (**يصيح فجأة أمام جثة مبقورة**) ها هوذا .. اللهم غَفْرًا .. بئس ما صنعوا به !.. بئس ما صنعو به !..

محمد : (**أمام الجثة دهشًا متأثرًا حزينا**) عمَّاه !...

(**صمت عميق وحزن شامل يخيمان على الجميع** ......)

(محمد)

كعب : (**يدنو من النبى**) يا رسولَ الله !... إن « صفيَّة أختَ حمزة » قد أقبلت لتنظر إليه !...

محمد : إِلْقَهَا فأرجِعْها لا ترى ما بأخيها !..

كعب : (**لصفية خلف الناس**) إن رسول الله يأمركِ أن ترجعى !...

صفية : و لم ؟.. وقد بلغنى أنْ قدْ مثِّل بأخى وذلك فى الله ؛ فما أرضانا بما كان من ذلك !... لأحتسبنَّ ولأصبرَن إن شاء الله !!..

كعب : (**يتركها ، ويذهب للنبى**) يا رسول الله !... لقد بلغها أن قد مُثِّلَ « بحمزة » وتقول : « إن ذلك فى الله » !... وهى راضية صابرة ...

محمد : خَلِّ سبيلها !..

(**كعب يذهب إليها ويأتى بها ...**)

صفية : (**تأتى ، وتنظر إلى جثة حمزة المبقورة**) إنَّا لله وإنا إليه راجعون !... اللهم اغفر له !...

(**ثم تدير وجهها ، وتذهب لسبيلها**)

محمد : (**ناظرًا إلى جثة حمزة المبقورة**) والله لولا أن تحْزَن « صفيةُ » ، وتكون سنة من بعدى؛ لتركتُه حتى يكونَ فى بطون السباع وحواصِل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن ؛ لأمثِّلَن بثلاثينَ رجلا منهم !..

المسلمون : (**فى حزن وغيظ**) والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر ، لنمثلنَّ بهم مَثُلة لم يُمثِّلها أحدٌ من العرب !...

محمد : (**مخاطبا جثة حمزة**) لن أصابَ بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفًا قطُّ أغْيَظ إلىَّ من هذا !...

جبريل : (**يهبط على محمد**) .... ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم

به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضَيْق مما يمكرون !... ﴾

محمد : (**لأصحابه**) الصبر خيرٌ لنا !.. اصبروا ، ولا تمثلوا بأحد !...

المنظر الرابع عشر

(**فى المدينة ... أمام مسجد وَمساكن النبى ... المدينة تبكى ....**)

عمر : (**يصغى إلى البكاء والنوائح فى المنازل**) الناس تبكى على قتلاها !...

محمد : (**يذرف دمعة**) لكن « حمزة » لا بواكِىَ له !...

(**سعد بن معاذ ينهض ويهمس إلى أسيد بن النضر .....**)

سعد : اذهبْ يا « أسيد » وأمر نساءنا أن يتحزَّ من ، ثم يأتين فيبكينَ على عمِّ رسول الله !...

(**أسيد يذهب ....**)

عمر : (**يرى امرأة تسأل الناس**) مَن هذه المرأة ؟...

أبو بكر : تلك « حمنة » زوجة « مصعب بن عمير » ، تسأل فيما أرى عن ذويها ... انْعَ إليها أهلَها يا « سعد » !...

سعد : (**يدنو منها**) يا « حمنة » استرجعى واستغفرى لأخيك !...

حمنة : (**فى صبر وثبات**) إنا لله وإنا إليه راجعون ... اللهم اغفر له !..

سعد : واسترجعى واستغفرى لخالك !...

حمنة : (**فى صبر وثبات**) إنا لله وإنا إليه راجعون ... اللهم اغفر له !...

سعد : واسترجعى واستغفرى لزوجك !.

حمنة : (**لا تملك نفسها أن تصيح**) : « مصعب » ؟!... قتل ؟!... قتل مصعب زوجى ؟!... ويلاه .... ويلاه !... ويلاه !..

(**وتصيح وتولول ، تذهب لا تلوى على شىء** ....)

محمد : (**كالمخاطب لنفسه**) إن زوج المرأة منها لَبِمكانٍ !..

(**يأتى نساء الأنصار ويبكين على باب المسجد** ......)

النساء : (**باكيات**) ....

بــكت عينــى وحــقَّ لها بكاهــا
ومــا يغنــى البُكــاء ولا العويــلُ
على أسد الإلـــه غـــداةَ قالـــوا
أ « حمزة » ذاكـمُ الرجــل القتيــل
أصيب المسلمــون بـــه جميعًـــا
هنــاك وقــد أصيب بـــه الــرسول
علـــيك سلام ربك فى جنــــانٍ
مخالطُهــــا نـــعيم لا يـــزول

محمد : من هؤلاء ؟..

أبو بكر : نساء الأنصار !..

محمد : (**فى تأثر**) رحم الله الأنصار ، فإن المواساة منهم ــ ما علمت ــ لقديمة ، مروهن فلينصرفن !...

(**يقوم سعد بن معاذ إلى النساء ، فيشير إليهن بالانصراف ... يرتفع داخل المسجد صوت عبد اللهَ بن أبى ..**)

ابن أبىّ : أيها القوم ... هذا رسول الله بين أظهُركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ؛ فانصروه !...

المسلمون : (**ينهضون إليه**) اجلسْ أىْ عدوَّ الله !.. لست لذلك بأهل ؛ وقد

صنعت ما صنعتَ !...

ابن أبيّ : ألا تستمعون إلىَّ إذ أقولُ لكم انصروا رسول الله ؟...

المسلمون : (**يأخذون بثيابه**) أيها المنافق وهل نصرته أنتَ يوم انخذلت عنه بثلث الجيش ؟!... (**يخرجونه من المسجد**) لقد حق عليكَ القتل !...

ابن أبيّ : (**خارجا من المسجد**) والله لكأنما قلتُ شرًا ، أنْ قمت أشدِّدُ أمره !...

سعد : (**ينهض إليه**) مالك ، ويلك ؟!...

ابن أبي : قمت أشدّد أمره ، فوثب علىَّ رجال من أصحابه يجْبذوننى ويعنفوننى ؛ لكأنما قلت شرًا !...

سعد : ويلك !... ارجعْ يستغفرْ لك رسول الله !..

ابن أبيّ : والله ما أبتغى أن يستغفر لى !...

(**يذهب** ....)

محمد : (**لسعد وقد عاد**) أليس هذا « عبد الله بن أبيّ » ؟...

سعد : نعم ... يا رسول الله !...

محمد : ما له ؟...

(**زيد بن أرقم يدنو من النبى** ....)

زيد : إنه منافق يا رسول الله !... لقد سمعت منه قولاً عظيما فى ذات يوم ؛ فلقد ازدحم أحد الأنصار ، وأحد المهاجرين ، على الماء فاقتتلا ... فصرخ الأنصارى : يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجرى : يا معشر المهاجرين ، فغضب « ابن أبيّ » للأنصارى وقال فى رهط من قومه : « أوقدْ فعلوها ؟... قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيبَ قريش هذه إلا كما قالوا : سمِّن

كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذل » !...

عمر : أو هكذا قال ؟...

زيد : (**يمضى فى كلامه**) نعم والله ، ولقد أقبل على من حضره من قومه فقال لهم أيضًا : هذا ما فعلتُم بأنفسكم ، أحلَلتُموهم بلادَكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتُم عنهم ما بأيديكم ، لتحولوا إلى غير داركم » !...

عمر : (**لا يتمالك**) يا رسول الله !... مر به « بلالاً » فليقتله !...

محمد : (**فى تفكير وإطراق**) أقتُلُه ؟...

عمر : نعم !...

محمد : كلا !...

عمر : لماذا يا رسول الله ؟...

محمد : كيف يا « عمر » إذا تحدث الناس أن « محمدًا » يَقتُل أصحابه ؟... لا ... !

سعد : (**ينظر**) هذا ابنه قادمًا !...

أبو بكر : أرى والله أنْ قد بلَغَه رأىُ المسلمين فى أبيه !...

ابن ابن أبىّ : (**يمثل بين يدى النبى**) يا رسول الله !... إن أبى قد نافق فيما أسمع ... وقد بلغنى أنك تريد قتلَه ؛ فإن كنتَ لا بدَّ فاعلا ، فمرْنى به فأنا أحملُ إليكَ رأسه !...

محمد : أنت ؟...

ابن ابن أبىّ : نعم !... والله لقد علمت الناس ما كان من رجل أبر بوالده منى ؛ لكننىِّ أخشى أن تأمَرَ به غيرى فيقتلَه ، فلا تدعَنى نفسى أنظرُ إلى قاتل أبى يمشى فى الناس ، فأقتله !... فأقتلُ مؤمنًا بكافر فأدخل

النار !...

محمد : (**فى رفق وابتسام**) كلا ، لن نقتله !...

ابن ابن أبىّ : لن نقتله ؟!...

محمد : بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقى معنا !...

المنظر الخامس عشر

(فى مكـــة أصوات الفـــرح والسرور تنطلـــق بين أرجائها ...)

أبو سفيان : الآن فلنَضرب الدفوف ، ولتعزفْ لنا القيان !...

خالد بن الوليد : (**يلتفت**) انظروا ... من هؤلاء ؟..

عمرو بن العاص : (**ينظر**) هم فيما أرى : رجلان من أصحاب « محمد » قد جاء بهما رجال من « عضل » و « القارة » !...

(يأتى رجال فى سلاحهم معهم أسيران مـن أصحـاب محمد ، هما : خبيب بن عدى وزيد ابن الدهنة ......)

أبو سفيان : ممن الرجال ؟...

الرجال : نحن من « عضل » و « القارة » وقد جئناكم بأسيرين ؟...

عمرو : أين وجدتموهما ؟...

الرجال : عند « محمد » ... قدمنا عليه فقلنا له : إن فينا إسلامًا فابعثْ معنا نفرًا من أصحابك يُفقِّهونَنا فى الدين ، فبعث معنا نفرًا ستة من أصحابه ، فخرجنا ، حتى إذا كنا على « الرجيع » غدرنا بهم ، ولم يَرُعهم وهم فى رحالهم إلا نحن بأيدينا السيوف ، قد غشيناهم فأخذوا أسيافهم ، ليقاتلونا ؛ فقلنا

لهم : « إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل « مكة » ، فلم يقبل ثلاثة منهم ، فقاتلونا فقتلناهم ولحق بهم رابع ، ونحن فى بعض الطريق ، أراد أن يستل سيفَه فاستأخَرنا عنه ورميناهُ بالحجارة حتى قتلناه . وبقى هذان نريد أن نبيعَهما لمن له عليهما ثأر من أهل مكة » !..

أبو سفيان : مرحى !... مرحى !...

صفوان بن أمية : أنا أبتاع « زيدًا » لأقتله !...

حجير بن إهاب : وأنا أبتاع « خبيبًا » لأقتله !...

الرجال : جئنا أيضًا برأس أحد القتلى وهو « ابن أبى الأقلح » لِنبيعه من « سُلافةَ بنت سعد » ؟...

خالد بن الوليد : نعمْ !... لقد كانت نذرَتْ حينَ أصاب ابنَها « يوم أحُد . » لتَشْرَبَنَّ فى قحفِه الخمر !..

صفوان : (**يشير لعبده نسطاس**) إلى زيد ... يا « نسطاس » !... اقتله !...

نسطاس : (**يأخذ سيفا ما ضيا ويقترب من زيد**) نعم !...

أبو سفيان : (**لزيد**) يا « زيد » !... أتحب أن « محمدًا » عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟!..

زيد : (**وقد أعدت عنقه للضرب**) والله ما أحب أن « محمدًا » الآن فى مكانه الذى هو تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس فى أهلى !...

أبو سفيان : (**لمن حوله فى عجب**) ما رأيتُ من الناس أحدًا ، يحب أحدًا ؛ كحبِّ أصحابِ « محمد » « محمدًا » ..

قسطاس : (يضرب عنق زيد) خُذها إذَنْ !...

حجير : إنى أريد أن يصلب « خُبَيْب »

أبو سفيان : اصلبوه !...

(يقومون إلى خبيب ....)

خبيب : إن رأيتم أن تدَعُونى حتى أركعَ ركعتين ؛ فافعلوا ....

أبو سفيان : دونَك فاركعْ !...

(.... خبيب يركع ركعتّين ......)

حجير : هاتوا الخشبة ؟...

(... خبيب ينهض إليهم .....)

أبو سفيان : أفرغت ؟...

خبيب : نعم ... أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طَولت ، جزعًا من القتل ؛ — لا ستكثرتُ من الصلاة !...

حجير : ارفَعُوه على الخشبة وأوثقُوه !...

(يرفعونه ويصلبونه ويوثقونه ....)

أبو ميسرة : أعطونى الرمح أطعنْه حتى يموت !...

حجير : (يعطيه الرمح) خُذْ !...

خبيب : (وهو مصلوب) اللهمَّ إنَّا قد بَلَّغنا رسالة رسولِك فبلّغْه الغداة ما يصنعُ بنا !...

أبو سفيان : أين نبيك يدفعُ عنك القتل !...

خُبيب : (صائحا ووجهه للسماء) اللهمَّ أحصهمْ عددًا ؛ واقتلهم بَدَدًا ، ولا تغادر منهم أحدًا !...

(قريش تقف واجمة لهذه الدعوة ..)

عمرو : مالكم وجمتُم ، اضطجِعوا لجنوبكم حتى تزولَ عنكم الدعوة !.

(قريش تضطجع فى الحال لجنوبها ...)

حجير : اطعن يا « أبا ميسرة » !...

(يطعن خبيبا حتى يموت ......)

المنظر السادس عشر

(فى المدينة ... النبى أمام المسجد .)

أبو بكر : يا رسول الله .... إن النفر الستة من أصحابك ، الذين بعثتهم مع رَهط « عضل » و « القارة » ؛ ليعلّموهم شرائع الإسلام قد غدرَ بهمُ القومُ ... وقتلوا منهم من قتلوا ، وأسلمُوا الباقين لقريش فقتلوهم !...

محمد : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعُون !...

أبو بكر : وإن نفرًا من « اليهود » يطوفون بالقبائل يُحزّبون علينا الأحزاب ... ولقد ذهبوا إلى « مكة » يدعون قريشًا إلى حربك قائلين لهم فيما بلغنى : «إنا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصلهُ». وإن « قريشًا » قالت لهم : يا معشر « يهود » إنكم أهلُ الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و « محمد » ، أفدينتنا خيرٌ أم دينُه ؟... فقالوا لهم « بل دينكم خيرٌ من دينه » !..

محمد : (يتلو) ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * أولئك الذين لعنهم الله ... ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ !...

أبو بكر : نعم !... قد لعنهم الله !...

عمر : أَوَ نشِطوا للحربْ ؟...

أبو بكر : واتَّعدوا له ، واجتمعوا من كل القبائل ، وخرجوا فى جيش لم تر العرب مثله ...

عمر : وهل لنا قِبلٌ بحرب العرب مجتمعةً ؟...

محمد : نعم !... إن العربَ ترمينا الآن عن قوس واحدة !...

عمر : وما الرأى ؟...

محمد : أيها الناس ... أشيروا علىَّ !...

(**سلمان الفارسى يتقدم** ....)

سلمان : يا رسول الله !... إن عندى رأيًا ...

محمد : قل يا « سلمان » !... قل يا « سلمان » !...

سلمان : نجعل حول المدينة خندقا !...

عمر : خنْدَقًا ؟!؟..

سلمان : إنا — معشر الفارسيين — كنا إذا دَهمنا عدوٌ ، خنْدَقنا على أنفسِنا !...

محمد : (**يفكر قليلا**) نعم الرأى !... اضربوا الخندق على « المدينة » !..

(**ينهض ، وينهض معه المسلمون** ...)

عمر : الآن يا رسول الله ؟؟؟...

محمد : الآن !... وإنى أعملُ فيهِ معَكُم !...

المنظر السابع عشر

(**الخنـدق وقـد تم حفـره إلا صخـرة فيـه يعـالجون كسرها ....**)

أبو بكر : لقد حُفر الخندق !....

عمر : نعم !... ولم تبق إلا ناحية !...

أبو بكر : تلك ناحية « بنى قريظة » ، وهم حلفاؤنا من « يهود » ، ولا يأتينا منهم شر !...

سلمان : (**وقد جهد تعبا أن يكسر الصخرة**) يا رسول الله !... لقد غلُظتْ علينا هذه الصخرة !...

محمد : (**يقبل عليهم**) آتونى إناء من ماء !...

سلمان : (**يسرع ، ويحضر إناء**) ها هو ذا !...

محمد : (**يتفـل فى الماء وينضح بـه الصخـرة**) هـات المِعْـوَل يا « سلمان » !...

سلمان : خذ يا رسول الله !...

محمد : (**يرفع المعول فوق الصخرة**) بسم الله !...

(**ثم يضرب الصخرة ثلاث ضربات ، فيلمع برق تحت المعول ، وتنهار الصخرة ....**)

المسلمون : الله أكبر !...

عمر : قد انهارت الصخرة وعادت كالكثِيب !...

محمد : (**يعيد المعول إلى سلمان**) خذ !... إنها الآنَ لا ترد فأسًا ولا مِسحاة !...

سلمان : بأبى وأمى يا رسول الله !... ما هذا الذى رأيت قد لمع تحت المعول ، وأنت تضرب الضرباتِ الثلاث !..

محمد : أَوَ قد رأيتَ ذلك يا « سلمان » ؟...

سلمان : نعم !...

محمد : أما الضربة الأولى فإن الله فتح علىَّ بها « الشام » ، والله لقد أبصرت قصورها الحمر من مكانى هذا ؛ وأما الثانية فإن الله فتح علىَّ بها « فارس » والله لقد أبصّرت قصر « المدائن الأبيض » الآن ... وأما الثالثة فقد أعطانى الله بها مفاتيح « اليمن » و الله لقد أبصرت الساعة باب « صنعاء » !...

المسلمون : (فرحين) اللهم لك الحمد !...

(تمر بقرب النبى فتاة فى ثوبها حفنة من تمر ، فتردد ما يقول الناس .....)

الفتاة : اللهم لك الحمد !...

محمد : تعالى يا بُنية ، ما هذا الذى معك ؟...

الفتاة : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى « بَشير » وخالى « عبد الله » يتغدَّيانِه !...

محمد : **(يمد كفيه)** هاتيه !...

(الفتاة تضع التمر فى كف النبى .....)

الفتاة : إنه لا يملأ كفيك !...

محمد : ابسطوا ثوبًا !...

(يأتى بلال بثوب ، ويبسطه على الأرض فيدحو النبى بالتمر عليه ...)

بلال : قد تبدَّد التمر فوق الثوب !...

محمد : (**لبلال**) اصرخ فى أهل « الخندق » أن هلموا إلى الغداء !...

المنظر الثامن عشر

(**المسلمون عند الخندق وقد حاصرهم العدو ، وربض بخيامه وعسكره فى الجهة المقابلة ....**)

أوس : (**من المسلمين**) اللهم ارفع عنا الحصار !....

مغْتِب : (**من المسلمين ناظرًا إلى جيش العدو**) إنهم بحرٌ طام !...

أوس : لولا الخندق لأغرقنا !....

معتب : نعم لقد صدَّهم « الخندقُ » يوم جاءوا ووقفوا عليه ، وصاحوا إذ رأوه : إن هذه لمكيدة ما كانتِ العرب تكيدها !..

أوس : نعم ... تلك مكيدة فارسية ، ولكنهم مع ذلك لم يبرحوا ، وأقاموا قُبالتنا بضعًا وعشرين ليلة !...

معتب : صدقت يا « أوس » وما يكاد ينكشف لهم واحد منَّا حتى يرموه بالنَّبل !...

أوس : (**يريد أن ينصرف**) اللهم أَطِشْ سهامَهم ... إنى ذاهب !...

معتب : إلى أين يا « أوس » ؟...

أوس : إلى بعض حاجتى ، ثم أعود !...

معتب : إلى الغائط ؟... لا تفعل !... إن المكان لعورة ، وقد أصيب بنبل العدو كل من ذهب قبلك !...

أوس : وما نصنع ؟... لقد أتانا العدو من فوقنا ، ومن أسفلَ منَّا ، ولا نستطيع لأنفسنا حراكا !...

مغتب : حقًا !...

أوس : (**يلتفت إلى جهة النبى**) انظر يا « معتب » !.. هذا رسول الله مطرقًا مليًا !...

معتب : (**يلتفت**) إنه يرى أن قد اشتد علينا البلاء !...

أوس : إن « أبا بكر » و « عمر » يتسارَّان ... لكأنى أرى أن قد حل الخطب !... أنظرنى حتى أسترق السمع وأعلم الخبر !...

(**يقترب من أبى بكر وعمر ....**)

عمر : (**همسا فى دهش**) حلفاؤنا من « بنى قريظة » خانوا عهدنا ؟!...

أبو بكر : (**همسا فى دهش**) نعم !...

محمد : (**يرفع رأسه ، ويخاطب سعد بن معاذ وابن عبادة وابن رواحة**) انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القومِ أم لا ؟.. فإن كان حقًا فالحنوا لِي لحنًا أعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس ...

(**سعد وصاحباه ينطلقون مسرعين ...**)

أوس : (**يعود إلى معتب هامسا**) أتدرى ما الأمر ؟... لقد أُخِذنا من كل جانب !...

معتب : كيف ؟...

أوس : حلفاؤنا من « بنى قريظة » قد خانوا عهدنا !...

معتب : لئن كنت قد صدقتنى ؛ فقد والله أتينا !...

أوس : وما الرأى ؟...

معتب : لا أرى إلا أننا هالكون !...

أوس : والنصر الذى وعدنا نبى الله ؟...

معتب : لست أدرى والله ... ولقد وعدنا « محمد » أن نأكل كنوز « كسرى » و « قيصر » ، وأحدُنا اليوم لا يأمن على نفسه أن

يذهب إلى الغائط !...

أوس : (يلتفت نحو النبى) انظر !... « على بن أبى طالب » يسرع إلى النبى فى أمر !...

على : (للنبى) يا رسول الله !... أرى فرسانًا قد تيمموا مكانًا ضيقًا من « الخندق » فضربوا خيولهم ، فاقتحمت منه !..

أبو بكر : (ينظر) نعم ... وإنى والله لأرى على رأسهم ضرغام العرب وصنديدهم « عمرو بن وَدّ » !...

على : إيذَنْ لى يا رسول الله ، أخرج إليهم فى نفر من المسلمين ؛ حتى نأخذَ عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم !...

أبو بكر : (يلتفت) هذا « عمرو بن وَدّ » قد برز !...

عمر : وعليه درعه !...

(**عمرو بن ود يتقدم على فرسه** ...)

ابن ودّ : هل من مبارز ؟...

على : (**للنبى**) أنا له يا نبى الله !...

محمد : « لعلى » اجلس ... إنه « عمرو » !...

عمرو بن وَدّ: (**يصيح**) أين جنتكم التى تزعمون أن من قُتل منكم دخلها ... أفلا تبرزون لى رجلا ؟...

على : أنا يا رسول الله !...

محمد : إنه « عمرو » .... اجلس ...

(**عمرو بن ود يصيح** ......)

ولقد بحِحْتُ من النداء بجمعكم ، هل من مبارز

ووقفت إذ جَبن المُشجعُ موقف القِرنِ المناجز

على : يا رسول الله !... أنا له !...

محمد : (فى خشية) إنه « عمرو » !...

على : (فى قوة) وإن كان « عمرًا » ... إيذن لى !...

محمد : (فى صوت خافت ، بين خشية ورجاء) أذِنْتُ !...

(علىّ ينطلق وهو مقنع بالحديد إلى عمرو بن ود صائحا ....)

لاتعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غيرَ عاجزْ

إنى لأرجو أن أقيمَ عليكَ نائحة الجنائزْ

ابن ود : (**فى غضب وصوت كالرعد**) من أنت ؟...

على : أنا « على بن أبى طالب » !...

ابن وَدّ : (**فى شىء من الرفق**) غيرُك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك ... لقد كان أبوك لى صديقًا ... إنى أكره أن أهَرِيق دمك !...

على : ولكنى والله لا أكره أن أهَرِيق دمك !...

ابن وَدّ : (**مغضبا يقبل عليه راكبا فرسه**) إلى النزال !...

على : كيف أقاتلك وأنت على فرسِك ؟... ولكن انزل معى !...

(ابن ود ينزل عن فرسه ، ويضرب عليا بسيفه ...)

ابن وَدّ : خذ يا سَفيه !...

(على يتلقى الضربة بدرقته ، ثم يضرب خصمه بسيفه على حبل العاتق ....)

على : خذ يا عدوَّ الله !...

(يسقط ابن ود قتيلا ....)

المسلمون : (**يهتفون**) الله أكبر !... الله أكبر !...

أبو بكر : (**فى فرح للنبى**) إن « عليًا » قد قتله !...

عمر : نعم ... ها هو ذا علىّ مُقبلاً وهو متهلِّل !...

(محمد)

علي : (**يحضر باسما**) يا رسول الله !.. لقد خرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمتِ الخندقَ هاربةً بعدَ أنْ قُتِل الأسدُ !...

عمر : (**لعلى**) هلاّ سلبته دِرعَه ؟... فإنه ليس فى العرب درع خيرٌ منها !...

علي : إنى حين ضربته استقبلنى بسَوأته ، فاستحييْتُ ابن عمى أن أسْتِلِبَه !...

(**أبو بكر يلتفت يمينه** ......)

أبو بكر : « سعد بن معاذ » قد عاد مع صاحبيه !...

(**يأتى سعد** ....)

سعد : (**للنبى فى لهجة ذات مغزى**) ... « عضل » و « القارة » ؟!..

محمد : (**همسا فى تجهـــم كالمخاطب لنـــفسه**) ... « عضل » و « القارة » ؟!..

عمر : (**همسا لأبى بكر**) ماذا يعنى « سعد » ؟!...

أبو بكر : (**همسا لعمر**) يعنى أن « بنى قريظة » قد غدرت بنا غدر « عضل » و « القارة » بأصحاب « الرجيع » !...

عمر : بخبيب وأصحابه !؟...

أبو بكر : نعم !...

عمر : وما الرأى ؟...

أبو بكر : (**ينظر إلى محمد**) صه !...

محمد : (**يرفع رأسه متجلدا ، ويصيح**) الله أكبر !... أبشروا يا معشر المسلمين !..

(**سعد يلتفت حوله ، كأنما يبحث عن مصدر البشرى** ....)

محمد : (**يتفكر قليلا**) اقترب يا « سعد » وأشرْ علىَّ !... إنى أرى أن

نعطى « غطفان » ثلث ثمار المدينة على أن ترجع برجالها ومن تابعها عنا !...

سعد : يا رسول الله ، أمراً تحبُّه فنصنعه ، أم شيئًا أمركَ الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئًا تَصنَعُه لنا ؟...

محمد : بل شيء أصنَعُه لكم ، والله ما أصنع ذلكَ إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة ، وكالبُوكم من كل جانب ، فأردتُ أن أكسِر عنكم من شوكتهم ، إلى أمرٍ ما !.

سعد : يا رسول الله !... قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرىً أو بيعًا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزَّنا بك وبه ؛ نعطيهم أموالنا ... والله ما لنا بهذا من حاجة ... لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم !...

محمد : أنت وذاك !...

عمر : يا رسول الله !... هذا رجل من « غطفانَ » قادما إليك !...

محمد : أرسله !...

(**يأتى نعيم بن مسعود** ....)

نعيم : يا رسول الله !... إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت !...

محمد : إنما أنت فينا رجل واحد ، فاخذُلْ عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خدعة ...

نعيم : قد فعلتُ ؟...

سعد : (**فى استبشار ؛ كالمخاطب لنفسه**) ماذا فعلتَ ؟...

نعيم : (**للنبى**) ذهبت إلى « بنى قريظة » وكنت لهم نديماً فقلت :

يا « بنى قريظة » قد عرفتم وُدى إياكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتّهم ، فقلت إن « قريشًا » و « غَطفَان » ليسو كأنتم ، البلد بلدُكم فيه أموالُكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تَحولُوا منه إلى غيره،وإن « قريشًا » و « غطفان » قد جاءوا الحرب « محمد » وأصحابه ، وقد ظاهر تموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ؛ فإن رأوا نَهْزَةً أصابوها ، وإن كان غيرَ ذلك لحِقوا ببلادهم ، وخلَّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوه مع القوم ؛ حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم ، على أن تقاتلوا معهم « محمدًا » حتى تناجزوه ، فقالوا لقد أشرت بالرأى !... »

فغادرتُهم وذهبت إلى « قريش » فقلت « لأبى سفيان » ومن معه من رجال « قريش » :

« قد عرفتم ودّى لكم وفراق « محمدًا » وإنه قد بلغنى أمرٌ ، قد رأيت علىَّ حقًا أن أبلغكموه ؛ نصحًا لكم ، فاكتموا عنى !... قالوا : نفعل !... قلتُ :

إن معشر « يهود » قد ندموا على غدرهم بمحمد وقد أرسلوا إليه أنهم قد ندموا على ما فعلوا ، وأنهم يعرضون عليه أن يأخذوا له من « قريش » و « غطفَانَ » رجالاً من أشرافهم ؛ ليضربَ أعناقهم ، ثم يكونون معه على منْ بقى منكم حتى يستأصلوكم ؛ فإن بعثتْ إليكم « يهود » يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا ، ثم تركتهم وخرجت ، حتى أتيت « غطفان » ، فقلت :

يا معشر « غطفان » ... إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحبُّ الناس إلىّ ، ولا أراكم تتهموننى !... قالوا : صدقتَ ! فقلت لهم مثلما قلت لقريش ، وحذرتهم ما حذَّرتهم ... وبعد ... »

محمد : جزاك الله خيرًا ، يا نعيم ؟!.... وبعد ؟..

(**تعصف ريح شديدة** ......)

نعيم : (**يلتفت**) ما هذه الريح العاصفة !!...

سعد : وبعد يا « نعيم » ؟... ما حدث ؟...

نعيم : حدث فيما بلغنى أن « أبا سفيان » ورءوس « غطفان » أرسلوا إلى « بنى قريظة » قائلين لهم : إنا لسنا بدار مقام ... قد هلك الخُفُّ والحافر ، فاغدُوا للقتال حتى نناجزَ « محمدًا » ... فأرسلوا إليهم : إن اليومَ يومُ السبت ، وهو يومٌ لا نعملُ فيه شيئًا ، وقد كان أحدثَ فيه بعضنا حدَثًا فمسخوا قردة وخنازير ، ولسنا مع ذلك بالذينَ نقاتِلُ معكم « محمدًا » حتى تعطونا رهنًا من رجالكم ... فلما سمع ذلك « أبو سفيان » ورجاله ، قالوا : والله إن الذى حدثنا « نعيم » لحق ، فأرسلوا إلى « بنى قريظة » : « إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدًا من رجالنا » فقالت « بنو قريظة » ... عند ذاك : إن الذى ذكر لنا « نعيم » لحق إنا والله لا نقاتل معهم »!...

سعد : أفسد ما بينهم وبينَ « قريش » ؟..

نعيم : هذا ما انتهى إلىَّ !...

أبو بكر : الحمد لله !... خذل الله بينهم ...

عمر : يا رسولَ الله !... انظر ... ! إن الريحَ قد كفأتْ قدورهم ، وطرحتْ آنيتهم وهدَّمت بناءهم !...

محمد : تلك جنود الله !...

على : (**يتقدم فرحا**) يا رسول الله ، أبشر !...

عمر : ماذا ؟..

على : قريش ترحل !...

عمر : (**ينظر**) نعم ... أرى « أبا سفيان » على جَمله فى الناس ...

أبو بكر : صه !... إنه يريد أن يخطبهم !...

أبو سفيان : (**عن كثب ، قائما على جمله**) يا معشر « قريش » !.. إنكم واللاّت ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلكَ الكراعُ والخفُّ ؟... وأخلفتنا « بنو قريظه » ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون : ما تطمئن لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نارٌ ولا يستمسكُ لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مُرتحل !...

(**يضرب جمله وينطلق والناس فى أثره**)

محمد : (**متنفسا الصعداء**) الحمد لله !... لقد انطلق الأحزاب منهزمين من غير قتال !...

على : يا رسول الله !... أننصرف عن « الخندق » ونضع السلاحَ ؟...

محمد : نعم ...

(**وفجأة ينزل عليه الوحى ....**)

جبريل : أوقدْ وضعْتَ السلاح ؟...

محمد : نعم !...

جبريل : ما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعدُ ... إن الله يأمركَ يا « محمد » أن تسيرَ إلى « بنى قريظة » فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم !...

(**يصيح جبريل ....**)

محمد : (**يصيح**) أين « بلال » ؟...

بلال : (**يقبل مسرعا**) لبيك يا رسول الله ....

محمد : أذّن فى الناس : « من كان سامِعًا مطيعًا ؛ فلا يصلينّ العصر إلا فى « بنى قريظة » !...

المنظر التاسع عشر

(**محمد وجيشه أمام حصون بنى قريظة**)

على : (**راجعا من قرب الحصون**) يا رسول الله !... لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث !!...

محمد : (**متجها إلى قرب الحصون**) لم ؟... أظنك سمعت منهم لى أذى ....

على : نعم !... سمعتهم ينالون منك !...

محمد : قد أوذِى « موسى » بأكثرَ من هذا ....

(**يدنو من الحصون ، فيراه أحد رؤساء بنى قريظة : وهو كعب بن أسد** ....)

كعب : (**صائحًا**) مَنْ هذا ؟...

محمد : (**يصيح**) يا إخوة القردة والخنازير !... إيَّاى ... إيَّاى !... هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته ؟!...

كعب : (**همسا لمن حوله من بنى قريظة**) هذا « أبو القاسم » !!...

بنو قريظة : « أبو القاسم » ؟!... ما عهدناه فحاشًا !...

كعب : يا معشر « يهود » !... قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثًا ؛ فخذوا أيَّها شئتم !...

بنو قريظة : وما هى ؟...

كعب : نتابع هذا الرجلَ ونصدقُه ، فتأمنون على دمائكم وأموالِكم وأبنائِكم ونسائكم !...

بنو قريظة : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ، ولا نستبدل به غيره !...

كعب : إذا أبيتم علىَّ هذه ،فهلمَّ فلنقتُل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى « محمد » وأصحابه ، رجالا مصْلِتينَ السيوفَ ، لم نترك وراءنا ثقلا ولا نسْلاً نخشَى عليهِ ...

بنو قريظة : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خيرُ العيش بعدهم !...

كعب : إن أبيتم علىَّ هذه ؛ فإن الليلةَ ليلةُ السَّبتِ ، وإنه عسى أن يكون « محمد » وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلَّنا نصيبُ منهم غِرَّةً !...

بنو قريظة : نُفسِد سبْتَنا علينا ، ونُحدِثُ فيه ما لم يُحْدِث مَنْ كان قبلنا ، إلا مَنْ علمتَ ، فأصابه ما لم يَخفَ عليك من المَسْخ ...

كعب : (ساخطًا) ما بات رجل منكم — منذ ولدته أمه — ليلة واحدة من الدهر حازما ...

أخطب : عندى رأى !...

بنو قريظة : ما هو ؟...

أخطب : نطلب إلى « محمد » أن يبعث إلينا أبا « لُبابة » ؛ لنستشيره فى أمرنا ...

بنو قريظة : نِعْم الرأى !...

كعب : انتظروا حتى أفعل !.. (ينادى) يا « أبا القاسم » !... أرسل إلينا حليفَنا « أبا لبابة » نستشيره فى أمرنا !...

محمد : لكم هذا !...

(ثم يبتعد آمرًا من حوله بإرسال أبى لبابة)

كعب : أَوَ تنزِلُونَ على رأيه ؟...

بنو قريظة : نعم !...

كعب : ها هو ذا مقبلا !...

بنو قريظة : « أبا لبابة » !... « أبا لبابة » !...

(يقبل أبو لبابة ، ويقوم إليه الرجال ويجهش إليه النساء والصبيان ، يبكون فى وجهه ......)

أبو لبابة : (**فى رقة**) أتبكون !...

النساء : حليفنا « أبا لبابة » !... رقَّ لحالنا !...

الرجال : يا « أبا لبابة » أترى أن ننزل على حكم « محمد » !؟

أبو لبابة : (**يشير بيده إلى حلقه ، ويهمس لهم**) نعم !... إنه الذبح ...

(القوم يصمتون واجمين ......)

بنو قريظة : إنا ننزل إذن على حكم « محمد » !...

كعب : (**يصيح**) : يا « أبا القاسم » ... إنا قد نزلنا على حكمك فاصنع بنا ما أنت صانع ....

محمد : (**صائحًا بهم**) اختاروا رجلا يحكم فيكم ...

كعب : (**لبنى قريظة**) من ترضونَ يحكم فينا ؟...

بنو قريظة : « سعد بن مُعاذ » ....

كعب : يا محمد !... ننزل على حكم « سعد بن معاذ » ...

محمد : (**لمن حوله**) علىَّ بسعد !...

عمر : ألا ننزلهُم أولا من حصونهم ، ونحبسهم فى مكان حتى يُحكم فى أمرهم ؟...

محمد : نعم !... اذهب إليهم يا « على » !...

علی : (**يصيح**) يا كتيبةَ الإيمان !...

(**ثم يذهب إلى الحصون على رأس الكتيبة**)

أبو بكر : (**للنبى**) هذا « سعد بن معاذ » قد أقبل فى رهط من « الأوس » !...

الأوس : (**همسا لسعد**) يا « أبا عمرو » !... أحسِنْ فى مواليك من « بنى قريظة » فإن رسول الله إنما ولاّك ذلك لتُحْسن فيهم !...

سعد : (**فى قوة**) لقد أتى لسعد ألا تأخذه فى الله لومةُ لائم ...

محمد : (**للأنصار**) قوموا إلى سيدكم !...

الأنصار : (**قائمين إلى سعد ....**) يا « أبا عمرو » !... إن رسول الله قد ولاك أمرَ مواليك ؛ لتحكم فيهم !...

سعد : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه أن الحكْمَ فيهم : — لمَا حَكَمْتُ ؟؟...

الأنصار : نعم !...

سعد : (**مشيرًا إلى النبى**) وَعَلى مَنْ هَهُنَا ؟...

محمد : نعم ....

سعد : إنى أحكُم فيهم أن تُقتّل الرجال ، وتقسَّمَ الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، وتكون الدورُ للمهاجرين دون الأنصار !...

الأنصار : إخوتُنا ... كنا معهم ...

سعد : إنى أحببتُ أن يستغنوا عنكم !...

محمد : (**لسعد**) لقد حكمتَ فيهم بحكم الله ، من فوق سبعة أرْقِعَة !...

عمر : أرى يا رسول الله أن نخندِقَ فى سوق المدينة خنادق ، ثم نبعث إلى رجالهم ، فنضرب أعناقهم فى تلك الخنادق !...

محمد : نعم !...

عمر : وأن نبعثَ أحدًا بسبايا من سباياهم إلى « نجد » ، فيبتاعَ لنا بها خيلا وسلاحا ...

محمد : نعم !...

المنظر العشرون

(النبى عند الخنادق ، ورجال بنى قريظة يؤتى بهم أرسالا فتضرب أعناقهم ......)

بنو قريظة : **(مقيدين فى أغلال من حبال ، وسائرين إلى الخندق)** إنهم يبيعون نساءنا فى أسواق « نجْد » !...

كعب : لقد ارتأيتُ لكم ما هو خيرٌ من هذا فأبيتم !...

بنو قريظة : وقد اصطفى « محمد » لنفسه من بين السبايا « ريحانةَ بنت عمرو » !...

حيى بن أخطب : أوَقد أسلمتْ ؟!...

بنو قريظة : من ذا يدرى ؟!...

كعب :**(متنهدا)** كتب علينا كل هذا !...

بنو قريظة : **(لكعب)** يا كعب !... ما تراه يصنع بنا ؟...

كعب : **(نافد الصبر)** أوَ فى كل موطن لا تعقلون ؟... ألا ترون الداعىَ لا ينزِع ، وأنه من ذهبَ به منكم لا يرجع ؟... هو والله القتل !...

بنو قريظة : القتل !؟!...

كعب : ألا تروْن أمامكم الخنادق تجرى فيها الدماء !...

حيى بن أخطب : **(وقد أشرف على الخندق)** وهذا « محمد » يأمر بضربِ الأعناق !...

محمد : (**وقد أبصر حيى بن أخطب**) ألم يخزك الله يا « حيى »؟...

حيى : (**للنبى**) كل نفس ذائقةُ الموت ، ووالله ما لمْت نفسى فى عداوتِك !...

الجلاد : تقدَّم !...

حيى : (**للناس**) أيها الناس !... إنه لا بأس بأمر الله ، كتابٌ وقدَرٌ وملحمةٌ كتبها الله على « بنى إسرائيل » !...

(**ثم يجلس فيضرب عنقه الجلاد** ....)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(عائشة فى مسكنها مع خادمتها بريرة)

بريرة : مالك ؟...

عائشة : (**مطرقة**) ما بى من شىء !..

بريرة : أتكتئبين ، وقد عاد النبى ظافرًا من غزوة جديدة ؟!...

عائشة : « بنى المُصْطلِق » !...

بريرة : نعم ...

عائشة : (**فى قلق**) أجاءوا بسبايا كثيرات ؟...

بريرة : نعم ، ومن بينهن ابنه سيد القوم ، وقد وقعتْ فى سَهمِ أحد الأنصار !...

عائشة : (**تنفرج أساريرها**) وقعت فى سهم أحد الأنصار !... اللهم حمدًا !... (**تعود إلى القلق والإطراق**) نعم ... لكن هناك أخرى !...

بريرة : من ؟.. تلك المرأة التى خطبها ؟...

عائشة : (**فى إطراق**) لقد أرسلنى أنظر إليها !...

بريرة : وماذا وجدْتِ ؟!...

عائشة : (**ترى النبى داخلا**) صه !... اذهبى يا « بريرة » !...

محمد : أتوجهت إليها يا « عائشة » ؟...

عائشة : نعم !...

محمد : وماذا رأيتِ منها ؟...

عائشة : (فى فتور) ما رأيت طائلا !....

محمد : (باسما) بلى ... لقد رأيتِ خَالاً فى خدها ، اقشعرت منه كل شعرة فى جسدك !...

بريرة : (تدخل) يا رسول الله !... امرأة من سبايا « بنى المصطلق » أتتك فى أمرٍ هالها !..

محمد : مَنْ هِىَ ؟...

بريرة : (جُوَيرِيةُ بنت الحارث) !...

محمد : أين هى ؟..

بريرة : بالباب !...

محمد : (متجها إلى الباب) تعالَى يا « جوَيرية » !...

عائشة : (همسا) يا « بريرة » !...

بريرة : (همسا) إنها امرأة حلوة ملاحة !...

(عائشة تدنو من الباب وتلقى نظرة على المرأة ... فيصفر وجهها ، وتهمس كالمخاطبة لنفسها ...)

عائشة : نعم !...

بريرة : (همسا) والله ما هو إلا أن رأيتها الساعة على بابك ، فكرهتها !...

عائشة : (كالمخاطبة لنفسها) أنا كذلك !...

بريرة : (همسا) لقد عرفتُ أنه سيرى منها والله ما رأينا !..

(**عائشة تطرق مليا صامتة** .....)

محمد : (**بالباب**) ماشأنك يا « جويرية » !..

جورية : (**من الخارج**) يا رسول الله !... أنا بنت « الحارث بن أبى ضرار » سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخفَ عليك ، فوقعتُ فى السهم لـ « ثابتِ بن قيس » فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابَتى !...

محمد : (**يطيل إليها النظر**) هل لك فى خير من ذلك ؟...

جويرية : ومن هو يا رسول الله ؟...

محمد : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك !...

جورية : (**بغير تردد**) نعم يا رسول الله !..

محمد : قد فعلتُ !..

عائشة : (**من خلفه غير متمالكة**) أتتزوَجها ؟..

محمد : (**يلتفت إلى عائشة**) نعم !...

عائشة : (**تخفى ما بها وتبتسم**) على خير طائر !...

محمد : أتكرهين ذلك ؟؟...

عائشة : ليس لى أن أكره ما تحب !...

محمد : أصبتِ !...

عائشة : لقد حُبِّبَ إليك النساء !...

محمد : حبِّب إلّى الطيبُ والنساء !

المنظر الثانى

(أمام المسجد بالمدينة ... بعض النـاس يتهامسون ... على رأسهم « عبد الله بن أبى » وحسان بن ثابت ومسطح .....)

حسان : أصدقنا الخبر يا « مسْطح » !...

مسطح : والله لقد صدقتُكم ... إن العسكرَ كلَّه يتحدث به !...

حسان : **(فى عجب)** « عائشة » و ... « صفوان » ؟!...

مسطح : نعم ... لقد رأيتها بعينى على بعيره فيمن رآهما ، وقد طلعا مع الصبح ، وحدهما لا ثالث معهما ، وقد عاد العسكر من غزوة « بنى المصطلق» ونزل واطمأن !...

ابن أبىّ : إن « صفوانَ » فتى جميلٌ فى الرجال !..

حسان : وهى صغيرة السن ...

(أحد الأنصار ينهض صائحًا غير متمالك)

الأنصارى : كفُّوا عن هذا القولِ واتقوا الله !...

المنظر الثالث

(عائشة ، فى مسكنها على فراش المرض ، وإلى جوارها أمها زينب أم رومان .)

عائشة : يا أمّى !... أتذكرين أنى كنت إذا اشتكيت ، رحمنى رسول الله ولطف بى ؟...

زينب : **(مطرقة)** نعم !...

عائشة : إنه لم يفعل ذلك بى فى شكوایَ هذه ...

(**زينب تطرق ولا تجيب** ....)

عائشة : (**تنظر إلى وجه أمها**) ما للوَنِك مصفَرًا ؟...

زينب : لا شىء بى !...

عائشة : إنك تكتمينني أمرًا ...

أم مسطح : (**تدخل مسرعة هامسة**) رسول الله !...

(**زينب تنهض ، ويدخل النبى** ...)

محمد : (**متغير الوجه**) كيف تيكُمْ ؟!..

زينب : (**فى إطراق**) بخير يا رسول الله ....

(**يخرج النبى دون أن ينظر إلى عائشة وتخرج زينب فى أثره تشيعه** ....)

عائشة : (**تتبعه بأنظارها حتى يذهب ، ثم تلتفت إلى أم مسطح**) أرأيت جفاءه لى ؟

أم مسطح : (**تنظر إليها مشفقة**) صبرًا يا « بنت أبى بكر » !..

عائشة : لقد جاء وانصرفَ ، دون أن يخاطبنى بكلام !... إنى أرى فى وجهه شيئًا ما كنت أراه من قبل ؟..

أم مسطح : (**كالمخاطبة لنفسها**) تعِسَ « مسطح » !...

عائشة : ماذا تقولين ؟...

أم مسطح : تعِسَ « مسطح » !...

عائشة : لماذا تقولين ذلك له ؟... بئس لَعَمْر الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين ... قد شَهِدَ « بدرًا » !...

أم مسطح : أوَ تجهَلين ما يتحدثُ به الناسُ ؟...

عائشة : (**فى قلق**) بماذا يتحدث الناس ؟...

(محمد)

أمْ مسطح : أنتِ و « صفوان » ؟...

عائشة : (**فى قلق**) ماذا ؟...

أمْ مسطح : ليلةَ عادَ العسكرُ من « غزوة بنى المصطلق » قد رآكما « مسطح » منفردَين ، وأنت على بعير « صفوان » ، وحدَّث به النـاس ، ولا أرى إلا أن النبى قد علم به !...

عائشة : (**صائحة قائمة مستوية فى فراشها**) أنا و « صفوان » ؟...

أمْ مسطح : إنى أراه والله حديثَ إفْك !...

عائشة : أنا و « صفوان » ؟!.. أنا ؟.. أنا ؟...

(**تنفجر باكية** ......)

أمْ مسطح : هوّنى عليك !... هوّنى عليك !..

زينب : (**تعود مسرعة**) ما بكاؤك هذا ؟...

عائشة : (**لأمها**) يغفـر الله لك !... تحدَّث النـاس بما تحدثـوا بـه ، ولا تذكرينَ لى من ذلك شيئًا ؟!...

زينب : (**مطرقة**) أى بُنَيّة ، خفِّضى عَليك الشأنَ ؛ فوالله لقَلمَّا كانت امرأة حسناء عند رجلٍ يحبها لها ضرائر ؛ إلا كَثَّرنَ وكثَّرَ النَّاس عليها !...

عائشة : (**تبكى**) أنا و « صفوان » !. أنا و « صفوان » !..

زينب : (**فى ألم**) لا تبكى هذا البكاء !...

عائشة : (**لأم مسطح وهى تجهش**) أتقـولين إن « مسطحًـا » قـد رآنا ؟!...

أمْ مسطح : هوّنى عليكِ إنه حديثُ إفكٍ !...

عائشة : (**باكية**) إنى ... إنى حقًا كنت على بعير « صفوان » ...

أمْ مسطح : (**فى عجب**) حقًا ؟!..

زينب : (**تلتفت إلى ابنتها**) أنت ؟!..

عائشة : انتظرا ، أقصَّ عليكما الخبر !...

زين : قُصِّى !...

عائشة : (**تكفكف دموعها**) تعلمان لمَّا كانت غزوة « بنى المصطلق » اقترع رسول الله بين نسائه كما يصنع ، فخرج سهمى عليهن ، فخرج بى فلما فرغ من سفره ذلك ، وجَّه قافلا حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ، ثم أذنَ فى الناس بالرحيل فارتحل الناس ، وخرجتُ لبعض حاجتى وفى عنقي عقدٌ فيه « جَزْع ظَفَار » فلما فرغت انسَلَّ من عنُقى ولا أدرى ، فلما رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمِسُه فى عنقى فلم أجدْه ، وقد أخذ الناسُ فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبتُ إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القومُ الذين كانوا يرحِّلونَ لى بعيرى ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس فتلفَّفْتَ بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت أن لو افتقدْتُ لرُجع إليه ... فوالله إنى لمضطجعة إذ مرّ بى « صفوان السلمى » وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى ، فلما رآنى قال : إنَّا لله وإنا إليه راجعون ..ظعينة رسول الله !!... وأنا متلففة فى ثيابى ، قال ما خلَّفك يرحمك الله ؟... فما كلمته ، ثم قرَّب البعير ، فقال : اركبى واستأخرَ عنى ، فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعًا يطلب الناس ، فوالله ما افتُقِدتُ حتى أصبحتُ ، ونزل

الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ... ووالله ما أعلم بشىء من ذلك إلاّ منكِ يـا « أم مسطح » الآن !..

أم مسطح : لا تبكى !...

عائشة : الآن أدركتُ علّة ما كنتُ أنكر من رسولِ الله !... إنى لأدرك الساعةَ ما به !!...

المنظر الرابع

(محمد قائم فى الناس يخطبهم أما المسجد)

محمد : « أيها الناس !... ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمت منه إلا خيرًا ، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى ؟؟!... »

(ينهض أسيد بن خضير ....)

أسيد : يا رسول الله !... إن يكونوا من « الأوس » نكفِكَهُمْ ، وإن يكونوا إخواننا من الخزرج ، فمُر بأمرك ؛ فوالله إنهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم ...

(ينهض سعد بن عبادة ...)

سعد : كذبتَ لعمر الله !... لا تضربُ أعناقُهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من « الخزرج » ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا !...

أسيد : كذبتَ لعمْرُ الله !... ولكنك منافقٌ تجادل عن المنافقين !...

(الناس يتساورون ، ويكاد يكون بين الفريقين شر ...)

محمد : (**ينزل بينهم**) انفضّوا !... انفضوا !...

على : (**يصيح فى الناس**) : انفضوا أيها الناس ؛ كما أمركم رسول الله ...

محمد : ابق أنت يا « علىّ » !...

على : أنا يا رسول الله ؟...

محمد : (**وهو ينظر إلى أسامة بن زيد**) نعم وابق أنت يا « أسامة » !...

(**ينصرف الناس ، ويبقى النبى وعلى وأسامة** ......)

أسامة : فداك أبى وأمى يا رسول الله !...

محمد : أشيرا علىّ !...

أسامة : يا رسول الله أهلكَ ، ولا نعلم إلا خيرًا ، وهذا الكذب والباطل !!...

محمد : وأنت يا « على » ما ترى ؟..

على : يا رسول الله إنَّ النساء لكثير !... وإنك لقادر على أن تستخلفَ وسلْ جاريتها فإنها ستصدُقكَ !...

محمد : علىّ بالجارية !...

على : (**يخطو نحو مسكن النبى وينادى**) يا « بريَرة » !...

بريرة : (**تخرج مسرعة**) لبّيكَ !...

على : (**يقبض على ذراعها ويضربها**) أصدق رسولَ الله !...

بريرة : (**تصرخ ألما**) فيم ؟.. فيم ؟...

على : ما تعلمين عن مولاتك ؟...

بريرة : والله ما أعلم إلا خيرًا ، وما كنت أعيبُ عليها شيئًا ، إلا أنى كنتُ أعجنُ عجينى ، فأرجو منها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتى الشَّاةُ فتأكُلهُ !...

المنظر الخامس

(**فى مسكن عائشة ... وهى بين أبويها تبكى ، والنبى مطرق على مقربة منهم .**)

محمد : (**يرفع رأسه**) يا « عائشة » !... إن كنت قارفتِ سوءا مما يقول الناس ؛ فتوبى إلى الله يقبل التوبة عن عباده !...

عائشة : (**يقلص دمعها وتنظر إلى أبويها لحظة ؛ كأنها تنتظر منهما شيئًا**) ألا تجيبان ؟!...

أبو بكر : (**فى إطراق ، وفى صوت خافت**) والله ما ندرى بماذا نجيب ؟...

عائشة : (**للنبى منفجرة**) والله لا أتوبُ إلى الله مما ذكرتَ أبدًا ، والله إنى لأعلمُ لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ؛ لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تصدّقوننى ... ولكن سأقول كما قال « أبو يوسف » : فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون !...

(**تنهمر عبراتها بلا شهيق .....**)

(**محمد يطيل النظر إلى عائشة متفكرًا ... وفجأة تأخذه غشية ....**)

أبو بكر : (**همسًا ، وهو مسرع إليه**) الوحى !...

(**ثم يسجيه بثوبه ، ويضع تحت رأسه وسادة ...**)

عائشة : (**فى دهش**) الوحى !...

زينب : (**فى رجفة**) اللهمَّ عفوك ورضوانك !...

عائشة : (**كالمخاطبة لنفسها**) الوحى ؟.. من أجلى ؟!.. وايم الله لأنا أحقرُ

وأصغر شأنًا من أن يُنزل الله فيَّ قرآنـا يُقـرأ ويصلـىَّ بـه فى المساجد !...

أبو بكر : (**فى رجفة**) اللهمَّ رحمتك !..

عائشة : (**فى صوت خافت**) لماذا تفرقانِ هذا الفَرَق ؟... فوالله ما أفزع ؛ فإنى أعرف أنّى بريئة وأن الله غير ظالمى !...

أبو بكر : (**وهو لا يحيد عن النبى بنظره**) رُحماك اللهم !...

عائشة : أتخشيان أن يأتى من الله تحقيقُ ما قال الناس ؟..

أبو بكر : صهْ !...

زينب : (**وقد رأت النبى يتحرك**) صه !...

محمد : (**يسرى عنه ، ويجلس ويمسح العرق عن جبينه**) أبشرى يـا « عائشة » !.. فقد أنزل الله براءتك !...

عائشة : (**صائحة**) لربِّى الحمد !... لِربىَ الحمد !...

زينب : (**تتنفس فى فرح**) الحمد لله !...

أبو بكر : (**رافعا يديه إلى السماء**) لك الحمد اللهم !...

محمد : (**يتلو**) ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم !.. لا تحسبوه شرّا لكم ، بل هو خيرٌ لكم ؛ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كِبَره منهم له عذابٌ عظيم ﴾ !...

المنظر السادس

(فى المدينة — على مقربة من المسجد الناس تتأهب للرحيل ... أنصارى ومهاجرى يتحادثان ....)

الأنصارى : ما الخبر ؟..

المهاجرى : رسول الله يخرج إلى « مكة » ، يريد زيارة البيت الحرام ...

الأنصارى : وهل تتركه قريش يدخل مكة ؟...

المهاجرى : إنه يدخلها معتمرًا ، لا يريد حربًا ولا قتالا ....

الأنصارى : (**يلتفت**) انظر .... مَنْ هذا الرجل ؟...

المهاجرى : هذا « بشر بن سفيان » ، قادما ولا ريب من مكة يُفضى إلى النبى بشىء !..

الأنصارى : (**يلتفت**) وهذا النبى قد خرج إليه !...

(يخرج النبى وقد تهيأ للرحيل ومعه الناس ، يتقدم بشر إليه ، ويسلم عليه .)

بشر : يا رسول الله !... « هذه قريش » قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذُ المطافيلُ ... قد لبسوا جلودَ النمورِ ، وقد نزلوا « بذى طُوًى » يعاهدون الله لا ندخلها عليهم أبدًا ، وهذا « خالد بن الوليد » فى خيلهم ... قد قدموها إلى كُراع الغَميم !...

محمد : يا ويح قريش !... لقد أكلتهم الحرب !... ماذا عليهم لو خَلَّوْا بينى وبينَ سائر العرب ؛ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن « قريش » ؟... فوالله لا أزال أجاهد على

الذى بعثنى الله به حتى يظهرَه الله ، أو تنفرد هذه السالفة !...

بشير : على بركة الله !...

محمد : (فى عزم) على بركة الله !... أزورُ بيتَ الله ...

بشر : عسى أن تلين « قريش » ؛ إذْ تعرف أنكَ لا تريد حربَهم !..

محمد : (لمن حوله) مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غيرِ طريقهم التى هم بها؟..

المنظر السابع

(« عبد الله بن أبىّ » أمام المسجد بالمدينة ومعه أحد الأنصار .....)

ابن أبىّ : أعُدتم من « مكة » ؟...

الأنصارى : نعم ... أوَ ما بلغَكَ خبر الصلح ؟...

ابن أبىّ : الصلح ؟...

الأنصارى : لقد تم بين رسول الله و « قريش » الصلحُ !...

ابن أبىّ : ماذا أسمع ؟... كيف ذلك ؟...

الأنصارى : عندما كنا « بالحُدَيْبِيَةِ » أسفلَ « مكة » ، بعثتْ قريشٌ « سُهيلَ بنَ عمرو » إلى رسول الله ، فكتبا عهدًا أن توضع الحرب عن الناس عشرَ سنين ، يأمن فِيهِنَّ الناسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، وأنه من أحبَّ أن يدخل فى « عَقدِ النبى » وعَهدِه ؛ دخل فيه ... ومن أحبَّ أن يدخل فى « عَقدِ قريش » وعهدهم ؛ دخل فيه ....

ابن أبىّ : عجبًا !...

الأنصارى : (يلتفت) .... صَه !... رسولُ الله !...

(عبد الله بن أبي ينصرف سريعا ، ويأتى النبي ومعه أبو بكر وعمر وعلى .)

عمر : اليوم قد أمنّا شرَّ « قريش » !...

أبو بكر : نعم .. إنه لفتح مبين !...

عمر : يا رسول الله !.. الآن قد ثبت دينك وأقر به الجاحدون ..

محمد : لله الحمد ... « إن الله قد بعثنى رحمةً وكافة » !..

أبو بكر : لا للعرب وحدَهم ، إنما للعرب والعجَم وخَلقِ الله كافة !...

محمد : صدقت يا « أبا بكر » إن الله أرسلنى إلى « هرقلَ » و « وكسرَى » و « المقوْقِس » و « نِجَاشيِّ الحبشة » !... أدعوهم إلى الإسلام !...

أبو بكر : فلنوجه إليهم يا رسولَ الله مَنْ يحملُ إليهم كتُبًا تدعوهم إلى الإسلام !..

محمد : نعم !.. أريد أنِ أوجه « دحية بن خليفة الكلبى » إلى « هرقل » و « عبد الله بن حذافة » إلى « كسرى » و « حاطب بن أبى بلتعة » إلى « المقوقِس » و « عمرو بن أمية الضمرى » إلى « النّجاشى »

على : أنأتى بهم إليك يا رسول الله ؟...

محمد : نعم !...

(على ينصرف مسرعًا مع بعض الناس)

عمر : لى يا رسول الله رأى !...

محمد : قل لى « أبا حفص » !...

عمر : إن اليهود ما برحتْ لهم شوكة فى « خيبر » ، وإنى لأخشى أن يؤلبهم علينا « الفرسُ » أو « الرومُ » ، أو يُنهضَهم الثأرُ (لبنى قريظة) !...

محمد : (**يفكر قليلا**) أصبتَ !...

عمر : لا بد لنا من غزو « خيبر » !...

محمد : (**فى عزم**) نعم ... تجهزوا لغزو « خيبر » !...

المنظر الثامن

(**فى خيبر — النبى بين أصحابه متهلل الوجه** ......)

محمد : الله أكبر !... خَرِبَت « خيبر » !...

على : نعم ... ما بقى حصن إلا فُتح !...

(**يتقدم دحية ، وهو أحد المقاتلين .**)

دحية : يا رسول الله !... لقد وقعت « صفية » فى سهمى . وهى جارية جميلة !...

محمد : لقد اشتريتها منك بسبعة أرؤس !...

دحية : قبلتُ يا رسولَ الله ...

محمد : ادفعها إلى « أم سليم » تصنّعها وتهيئها !...

دحية : (**منصرفًا هامسًا**) أين « أم سليم » ؟...

أحد الناس : (**همسا**) مع ظعينة رسول الله !...

(**يدنو أحد الأنصار من دحية ويسأله**)

الأنصارى : (**همسا**) « صفية » سيتزوجها رسول الله ؛ أم يتخذُها أمَّ ولد ؟..

دحية : ما أدرى !... إن حجبَها فهى امرأته ، وإن لم يحجُبْها فهى أمُّ ولد ؟...

(**يذهب** ....)

(تدنو من الأنصارى امرأة يهودية ومعها شاة مشوية ....)

اليهودية : أين محمد ؟...

الأنصارى : لماذا تسألين عنه أيتها المرأة ؟...

اليهودية : معى شاة مشوية أحب أن أهْدِيَها إليه !...

الأنصارى : هو هذا الجالس بين أصحابه !...

اليهودية : أىُّ الشاة أحب إليه ؟...

الأنصاري : الذراع !..

(اليهودية تترك الأنصارى ، وتخرج من ثوبها شيئًا تضعه فى الشاة ، وتكثر منه فى الذراع .....)

محمد : **(يرى المرأة بقربه)** من المرأة ؟...

اليهودية : **(تتقدم الشاة)** يا « أبا القاسم » !... هدية أهديتُها لك !...

محمد : جزاك الله خيرًا ، خذوها منها !...

(يتناولها منها بشر بن البراء أحد الحاضرين ، وتنصرف المرأة وتقف عن كثب تنظر إليه ......)

بشر : **(فى نهم)** إنها شاة مصلية !..

محمد : **(لأصحابه)** ادْنُوا فتَعَشَوْا !...

بشر : إنك تحب الذراع يا رسولَ الله !..

محمد : نعم ... ناولْنى الذراع !...

(... بشر يناول النبى الذراع ، فينتهش منها ، ويأخذ بشر عظما آخر ينتهش منه ....)

(بشر يقف قليلا دون أن يزدرد ، وينظر إلى النبى ...)

محمد : **(يقف فجأة عن النهش)** ارفعوا أيديكم ، فإن ذراع الشاة تخبرنى أنها مسمومة !...

الجميع : (**فى فزع**) مسمومة ؟!...

بشر : (**للنبى**) والذى أكرمك ، لقد وجدت ذلك من أكلتى التى أكلت حين التقمتها ، فما منعنى أن ألفظها إلا أنى كرهتُ أن أُبغِّضَ إليك طعامك ، فلما أكلتَ ما فى فيكَ لم أرغبْ بنفسى عن نفسك ، ورجوتُ ألا تكون ازدَرَدْتَهَا وفيها بغى !...

على : (**لأحد الحاضرين**) اطرحوا منها لكلب !..

(**يطرحون منها لكلب مار فيموت فى الحال ...**)

عمر : إنه لم يتبع يده حتى مات !...

على : انظروا !... لقد عاد لون « بشر » كالطيلسان !...

محمد : (**صائحًا**) ائتوه بحجَّام !...

أبو بكر : أرى والله أن تحتَجمَ يا رسول الله !...

محمد : نعم ... أريد أن أحتجم على كاهلى !...

أبو بكر : (**لمن حوله**) أسرعوا فى طلب الحجَّام !...

محمد : أين هذه المرأة ؟...

الأنصارى : (**وقد قبض عليها**) ها هى ذى يا رسول الله !...

محمد : (**للمرأة**) ما حملكِ على ما صَنعتِ ؟...

اليهودية : إنك نلتَ من قومى ما نلت ؛ قتلت أبى وعمى وزوجى ، فقلت إن كان نبيًا لم يضرُره ، وإن كان كاذبًا أرحت الناسَ منه !...

محمد : (**لمن حوله**) اقتلوا هذه المرأة !...

المنظر التاسع

(فى مكة ــ عمرو بن العاص فى أصحاب له من قريش ....)

عمر : تعلمون ، و « اللاتِ » أنى أرى أمر « محمد » يعلو الأمور علوًا منكرًا ... وإنى قد رأيت أمرًا ، فما ترون فيه ؟...

قريش : ماذا رأيت ؟...

عمرو : رأيت أن نلحَقَ بالنَّجاشىِّ فنكونَ عندَه ، فإن ظهر « محمد » على قومنا كنا عند « النَّجاشى » ... فإنا أنْ نكُونَ تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَى « محمدٍ » ... وإن ظهر قومُنا فنحنُ منْ قد عَرَفوا ؛ فلن يأتينا منهم إلا خيرٌ !...

قريش : إن هذا لَرأى ...

عمر : اجمعوا لنا إذنْ ما نُهديه إلى « النَّجاشى » !...

المنظر العاشر

(عند النجاشى وبين يديه رسول محمد وهو عمرو بن أمية الضمرى ...)

الضّمرى : يا « أصحمة » !... إن علىَّ القول وعليك الاستماع .. إنك كأنك فى الرِّقة علينا منا ؛ وكأنّا بالثقةِ بك منك ؛ لأنا لم نظنَّ بك خيرًا قطُّ إلا نلناه ، ولم نخفْك على شىء قطُّ إلا أمناه ... وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ، ألا يُحيلَ بيننا وبينك شاهدٌ لا يُردُّ وقاضٍ لا يجور ، وفى ذلك وقع الحزِّ وإصابة المفصَل وإلا فأنت فى هذا

النبى الأمىّ كاليهود فى « عيسى ابن مريم » ، وقد فرق النبى رسله إلى الناس ، فرجاكَ لما لمْ يرجهم له ، وأمِنك على ما خافهم عليه ، لخيرٍ سالف وأجر ينتظر !...

النجاشىُّ : أشهد بالله إنه النبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب ، وإن بشارة « موسى » براكب الحمار ؛ كبشارة « عيسى » براكب الجمل ، وإن العِيان له ليس بأشفَى من الخبر عنه ... ولكنّ أعوانى من الحبش قليل ، فأنظِرنى حتى أكثر الأعوان وألِّين القلوب !...

(يدخل عمرو بن العاص وأصحابه ، فيلمح الضمرى ....)

عمرو بن العاص : (**لأصحابه هامسا**) أتدرون من هذا بين يدى « النِّجاشى » ؟... هذا « عمرو بن أمية الضمرى » رسول « محمد » ، لو قد دخلت على « النجاشى » لسألته إياه ، فأعطانيه ، فضربت عنقه ؛ فإذا فعلتُ ذلك رأت قريش أنى أجزأت عنها ، حين قتلتُ رسول « محمد » ... ها هو ذا قد ودَّع « النجاشىَّ » وخرج ... هلموا بنا !...

(يتقدم إلى النجاشى ويسجد له.)

النجاشىُّ : مرحبًا بصديقى !..

عمرو : أيها الملك !...

النجاشى : أهديتَ إلىَّ من بلادك شيئًا ؟...

عمر : نعم أيها الملك !... قد أهديت إليك أُدمًا كثيرًا !...

(يقرب إليه الهدية ......)

النجاشىُّ : (**ينظر إليها معجبا**) مرحى !... مرحى !... وشكرًا شكرًا !...

عمرو : أيها الملك !... إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسولُ رجلٍ عدوٍ لنا .... فاعطنيهِ لأقتله ؛ فإنه قد أصاب من أشرافِنَا وخِيارِنا !...

(النجاشي يغضب ويمد يده ، فيضرب بها أنفه ضربة شديدة ....)

عمرو : (**فى فرق**) أيها الملك !... واللاَّتِ لو ظننت أنكَ تكرهُ هذا ما سألْتُكَه !..

النجاشي : أتسألنِي أن أعطيَك رسولَ رجل يأتيهِ « الناموس الأكبر » الذى كان يأتى « موسى » ؛ — لتقتله ؟!...

عمرو : أيها الملك !... أكذاكَ هو ؟!..

النجاشي : ويحك يا عمرو !... أطِعنِي واتَّبِعْه ؛ فإنه والله لعلـىَ الحق ، وليظْهَرَنَّ على من خالفَه كما ظهرَ « موسى » على « فرعـونَ » و جنوده !..

عمرو : أفتبايعني له على الإسلام ؟...

النجاشي : نعم !...

(يبسط يده فيبايعه عمرو ..)

المنظر الحادى عشر

(فى الطريق إلى المدينة ... عمرو بن العاص يقابل خالد ابن الوليد ....)

عمرو بن العاص : (لخالد) أين « يا أبا سليمان » ؟...

خالد بن الوليد : والله لقد استقام الميسَم ، وإن الرجل لنبى ... أذهبُ والله فأُسْلِم ... فحتى متَى ؟...

عمرو : أنت أيضا ؟!...

خالد : نعم !...

عمرو : والله ما جئتُ أنا كذلك إلا لأسْلِمَ !...

خالد : هلم بنا !!..

(يسيران فى طريق المدينة .....)

المنظر الثانى عشر

(فى المدينة ... النبى فى المسجد ...)

عمر : يا رسول الله !.. لقد عاد من أرسلناهم إلى الملوك من الرسل !...

محمد : أدخلهم !...

(يدخل الرسل وهم : دحية بن خليفة ، وعمرو بن أمية ، وعبد الله بن حذافة ، وحاطب بن أبى بلتعة .....)

عمر : (لهم) لقد أذن لكم رسول الله !..

(محمد)

محمد : (**لدحية بن خليفة**) ما وراءك يا « دحية » !..

دحية : لقد وجهتني يا رسول الله إلى « قيصر الروم » ، فرد عليك بهذا الكتاب !...

محمد : اقرأه !..

دحية : (**يفتح الكتاب ويقرأ**) « ... إلى محمد رسول الله !... إني مسلم ولكني مغلوبٌ على أمري ... »

محمد : كذب عدو الله !... ليس بمسلم ؛ بل هو على نصرانيته !... (**يلتفت إلى عمرو بن أمية**) وأنت يا « عمرو » ما وراءك ؟...

ابن أميَّة : توجهت إلى « نجاشي الحبشة » فأجاب أنه يشهد بالله أنك النبي الآتي الذي ينتظره أهل الكتاب ، ولكن أعوانه من الحَبَشِ قليل ، وطلب أن تنْظِره ؛ حتى يُكثِرَ الأعوان ، ويُلَيِّنَ القلوب !...

محمد : (**يلتفت إلى عبد الله بن حذافة**) وأنت يا« عبد الله »

عبد الله : توجهت إلى « كسرى » ، وقدَّمت له كتابك ، فأخذ الكتاب فمزقه !..

محمد : مزق الله ملكه !...

عبد الله : ثم أجاب : « مُلكٌ هَنِئٌ لا أخشَى أن أُغْلَبَ عليه ، ولا أشَارَك فيه ، وقد ملك فرعونُ بنى إسرائيلَ ولستمْ بخيرٍ منهم ؛ فما يمنعنى أن أملكَكُم وأنا خيرٌ منه ، فأما هذا المُلك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلابِ ، وأنتُمْ أولئك : تشبَعُ بطوُنكم وتأبى عيونُكم !...

محمد : (**يلتفت إلى حاطب بن أبى بلتعة**) وأنت يا « حاطب » ما وراءك ؟...

حاطب : قدمت على المُقَوْقِسِ فأجابني : « إنى قد نظرت فى أمر هذا « النبى » فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ، و لم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهنِ الكـاذب ... وسأنظر ».ثم أهدَى إليك يا رسول الله : « جارية قبطية » جميلة اسمها « مارية » !...

المنظر الثالث عشر

(فى المدينة ــ النبى وأبو بكر فى المسجد ، بين نفر من الخزرج ، وهم : عبد الله بن أنيس ، ومسعود بن سنان ، وابن عتيك ، وأبو قتادة و خزاعى ...)

عبد الله : يا « رسول الله » !... لقد أصابت « الأوسُ » عدو الله اليهودى « كعبَ بنَ الأشراف » !..

محمد : متى ؟...

مسعود : اليوم ...

محمد : و كيف أصابوه ؟...

عبد الله : قتلوه بأسيافهم ، ووالله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عندك فى الإسلام ، ولن ننتهىَ حتى نوقعَ مثلها ، فَائذَن لنا فى قتل اليهودى « ابن أبى الحقيق » وهو بخيبر !...

أبو بكر : (**لمحمد باسمًا**) إن هذين الحيين من الأنصار « الأوس » و « الخزرج » ، ليتصاولانِ تصَاولَ الفَحْلين ، لا تصنَعُ « الأوسُ » شيئًا فيه غَناء ، إلا صنعت « الخزرج » مثلهم !...

عبد الله : نعم ... وإنا لنستأذن رسولَ الله فى أن نصنع مثل ما صنعت « الأوس » !..

محمد : (**باسمًا**) قد أذنتُ لكم !...

الخزرج : (**صائحين فرحا**) الله أكبر !..

محمد : ولكنى أنهاكم أن تقتلوا وليدًا أو امرأة !...

(**يخرج رجال الخزرج** .....)

بلال : (**يدخل فرحا**) يا نبىَّ الله !...

أبو بكر : ما لك يا « بلال » ؟..

بلال : (**فى فرح**) لقد جاء « خالد بن الوليد » و « عمرو بن العاص » كى يُسْلما ...

محمد : (**مبتهجا**) أدخلهما !...

(**يدخل خالد وعمرو** ....)

خالد : يا رسول الله !... لقد تبين لى الحق من الباطل ، وعلمت أنك رسول الله ، وإنى أبايعك على الإسلام !..

محمد : (**فرحا**) الله أكبر !... الله أكبر !...

عمرو : (**يتقدم**) يا رسول الله !... وأنا أبايعك على أنْ !...

أبو بكر : (**لا يتمالك**) على أنْ ماذا ؟...

عمرو : على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكُرُ ما تأخر !...

محمد : يا « عمرو » بايعْ ؛ فإن الإسلام يَجبُّ ما كان قبله ، والهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها !...

المنظر الرابع عشر

(محمد أمام المسجد مع أبى بكر يقبل عليه نفر من الخزرج مهللين ....)

عبد الله : (فى فرح) الله أكبر !...

محمد : ما وراءكم ؟...

مسعود :قتلنا عدوَّ الله ابنَ أبى الحقيق !...

محمد : كيف ؟..

ابن عتيك : خرجنا حتى إذا قدِمنا « خيبر » قمنا على باب « ابن أبى الحقيق » ليلا فأستأذنا عليه ، فخرجتْ إلينا امرأته ، فقالت من أنتم ؟... قلنا : ناس من العرب نلتمس الميرَة !... قالت : ذاكم صاحبُكم فادخلوا عليه ، وأغلقْنا علينا وعليها الحجرة ؛ تخوفا أن تكون دونه محاولةٌ تحول بيننا وبينه ، وصاحت امرأته ؛ فنوَّهتْ بنا ، وابتدرْناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلُّنا عليه فى سوادالليلِ إلا بياضُه ؛ كأنه قبطية ملقاة ، ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجلُ منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكرُ نَهْىَ رسول الله ألاَّ نقتلَ امرأةً فيكُفُّ يدة ، ولولا ذلك لَفرَغنا منها !...

عبد الله : (متمما) ولما ضربناه بأسيافنا ، تحامَلْت عليه بسيفى فى بطنه ، حتى أنفذته وهو يقول : « حسبى !... حسبى !.... » وخرجنا ، فوقع « ابن عتيك » لسوء بصره من الدرجة ، فوثِئَتْ رجله وثأ شديدًا فحملناه !...

ابن عتيك : نعم ... وأوقَد « يهود » النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا ،

حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم ، فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات !... فقال « خزاعى » أنا أذهب فأنظرُ لكم ... فانطلق ...

خزاعى : انطلقت حتى دخلت فى الناسِ ، فوجدت امرأته ، ورجال « يهود » حوله وفى يدها المصباح ، تنظر فى وجهه ، وتقول : « فاظَ وإلهِ « يهود » !... » فما سمِعْتُ من كلمة كانت ألذَّ إلى نفسى منها ....

أبو قتادة : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ...

أبو بكر : (**باسما**) ومن منكم قتله ؟...

ابن عتيك : أنا !..

عبد الله : بل ضربتى أنا !...

خزاعى : إن أردتم الحقيقة فأنا الذى ...

محمد : هاتو أسيافكم !...

الخزرج : (**يسرع كل إلى سيفه ويقدمه إلى النبى**) ها هى ذى !...

محمد : (**ينظر إلى السيوف ، ويشير إلى أحدها**) لمن هذا السيف ؟...

الخزرج : لـ « عبد الله بن أنيس » !...

محمد : (**يشير إلى سيف عبد الله**) هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام !...

المنظر الخامس عشر

(**النبى فى حى بالمدينة بين رهط من الناس .....**)

أبو رافع : (**يأتى وهو يجرى ويلهث**) يا رسول الله !... أبشر !.. أبشر !...

محمد : بماذا ؟..

أبو رافع : ولدتْ لك « ماريةُ القبطية » الليلةَ غلامًا !...

محمد : (**فى فرح**) ولد لى غلام ؟!...

أبو رافع : نعم ... وربك قد ولد لك غلام !...

محمد : (**فرحًا**) يا « أبا رافع » !.. لقد وهبتُ لك عبدًا !...

أبو رافع : (**صائحا يجرى فى الناس**) أبشروا أيها الناس !... أبشروا !...

محمد : (**ينهض**) أيها الناس !... ولد لى الليلةَ غلام !... وإنى سميته .... باسم أبى « إبراهيم » !...

(**يذهب مسرعا ، ومعه أبو رافع ....**)

المنظر السادس عشر

(**عائشة فى مسكنها مع أمها زينب أم رومان ....**)

أم رومان : لا تحزنى يا بُنَيتى !...

عائشة : ودِدتُ والله أنى أنا أمُّ هذا الغلام !...

أم رومان : عسى أن تُرزقى غلامًا مثله !...

عائشة : أما علمتِ ؟...

أم رومان : ماذا ؟...

عائشة : لقد حجبَ رسولُ الله « مارية » !...

أم رومان : نعم ... إنها قد ثقلت على نسائه !....

عائشة : (**كالمخاطبة لنفسها**) قد عقَّ عنه رسول الله بكبشين يوم سابعه ، وحَلق رأسه ، فتصدق بزِنة شعرِهِ فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدُفِن فى الأرض ... وتنافست فيه نساء الأنصار : أيتُهن ترضعه ؟!...

بريرة : (**تدخل**) رسول الله جاء !...

(**تخرج أم رومان وتترك عائشة** ....)

محمد : (**يدخل فرحا ، حاملا ابنه إبراهيم بين ذراعيه**) ...

يا « عائشة » !... انظرى !... انظرى !....

عائشة : (**ترفع رأسها فى فتور**) ماذا ؟...

محمد : (**ينظر إلى الغلام بين ذراعيه**) انظرى إلى شَبهه بى !...

عائشة : ما أرى شبهًا !...

محمد : ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟!...

عائشة : من سُقِىَ ألبانَ الضأن سَمِنَ وابْيَض !...

محمد : (**ينظر إلى الغلام**) أما دَرَيتِ يا « عائشة » ؟... لقد جاء إلى « جبريل » فقال : السلام عليك يا « أبا إبراهيم » !... »

عائشة : (**فاترة**) حقًا ؟...

محمد : ألا يسرُّكِ هذا ؟...

عائشة : ما الذى جاء بكَ الساعَة يا رسول الله ؟!...

محمد : جئت لكِ بـ « إبراهيم » ؛ كى تنظرى إليه ...

عائشة : (**مطرقة**) قد نظرتُ إليه !...

محمد : (**يلتفت إليها**) مالك يا « عائشة » ؟...

عائشة : ما بى من شيء !...

محمد : (**ينظر إليها مليا**) أغِرْتِ ...

عائشة : (**مطرقة**) كلاً !...

محمد : إنك والله قد غِرْت ...

عائشة : (**ترفع رأسها صائحة**) ومالى لا يَغارُ مِثلى على مثلك !...

محمد : (**يبتسم**) أو قد جاءك شيطانُك ؟...

(صمت عميق ... تهدأ عائشة قليلا ....)

عائشة : أمعى شيطان ؟...

محمد : نعم !...

عائشة : ومع كلِّ إنسان ؟...

محمد : نعم !...

عائشة : ومعكَ يا رسول الله ؟...

محمد : نعم ؟... ولكنَّ ربى أعاننى !...

المنظر السابع عشر

(عائشة فى مسكنها ... تدخل عليها بريرة تجرى .....)

بريرة : **(وهى تلهث)** أجاءك الخبر ؟...

عائشة : أى خبر ؟...

بريرة : مات « إبراهيم » !...

عائشة : **(فى فرح ظاهر)** غلامُ « القبطية » ؟!...

بريرة : نعم !... نعم !...

عائشة : **(تنهض وثبًا)** من أين عرفتِ ذلك ؟...

بريرة : الناسُ تتحدث به ، ونساء النبى قد ذهبن يحضرن دفنه !...

عائشة : على بإزارى !..

بريرة : أين ؟...

عائشة : أذهب لأرى هذا الأمرَ !...

المنظر الثامن عشر

(النبي فى البقيع ، ومعه الفضل بن عباس ، وأسامة بن زيد ، يحملان جثةِ إبراهيم وخلفهم مارية تبكى ، ونساء من الأنصار والمهاجرين ، وحفار يحفر قبرًا ....)

الفضل : أندفنه هنا فى « البقيع » ؟...

محمد : (**مطرقا**) نعم !...

أسامة : (**قرب الحفرة**) ادن يا « ابن عباس » !... هذا الحفار قد فرغ ...

الفضل : (**يدلى بالجثة فى الحفرة**) فى جنَّةِ الخلد يا « إبراهيم » !...

النساء : (**صائحات**) إن له إن شاء الله مُرْضِعًا فى الجنة !...

محمد : (**على شفير القبر**) أرى فُرْجةً فى اللحد !...

الحفار : إنها يا رسول الله لا تضر ولا تنفع !...

محمد : (**يسوى بإصبعه الجدث**) أما إنها لا تضرُّ ولا تنفع ، ولكن تقرُّ بعين الحى ، إن العبدَ إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه ...

النساء : (**ينظرن إلى السماء صائحات**) انظروا !.. انظروا !...

محمد : (**يلتفت**) ماذا ؟...

النساء : انكسفت الشمس !...

أسامة : (**ناظرًا إلى السماء**) إى والله !... انكسفت الشمس لموت « إبراهيم » !...

النساء : (**صائحات**) : لموت « إبراهيم » انكسفت الشمس !... انكسفت الشمس لموت « إبراهيم » !...

محمد : (ينهض ويلتفت إلى الناس) أيها الناس !... إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، ولا ينكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد !...

(يسكت الناس لحظة ، ويعود النبي إلى إطراقه .....)

الفضل : (ناظرًا إلى التراب وقد أهيل على إبراهيم) رحمة الله على إبراهيم !... لو عاش كان صِدِّيقًا نبيًا !...

محمد : (للحفار) أقَدْ فرغْت ؟.....

الحفار : نعم !...

محمد : مَنْ أحدٌ يأتى بِقِرْبَة ماء ؟...

أسامة : (يسرع إلى قربة ، فيحملها ويجئ بها إلى النبى) هذى قربة الماء يا رسول الله !...

محمد : رُشَّها على قبر « إبراهيم » !...

أسامة : (يرش الماء على القبر) استودعناك الله يا « إبراهيم » !...

محمد : (لا يملك نفسه) لو عاش « إبراهيم » لو ضعتُ الجِزْيَةَ عن كل قبطى !...

(تسيل من عينى النبى الدموع ...)

أسامة : أتبكى ، وقد نهيْتَ عن البكاء ؟!...

محمد : (باكيًا) إن « إبراهيم » ابنى ، وأنه مات فى الثدى ، وإن له لظِئرين تُكمِلان رَضاعه فى الجنة ....

الفضل : يا رسول الله تبكى وأنت رسولُ الله ؟!...

محمد : إنما أنا بشر ، تدمعُ العينُ ويخشع القلب ، ولا نقولُ إن شاء الله إلا ما يُرضى الرب ، والله لولا أنه أجلٌ معدودٌ ، ووعد صادقٌ ، ووقت معلومٌ ، وأن آخرَنا لاحِق بأولِنا ، لجزِعنا عليه جَزعًا غير هذا ... إنَّا عليك يا « إبراهيم » لمحزونون !...

المنظر التاسع عشر

(**النبي بين أصحابه فى المدينة أمام المسجد**)

بلال : (**يتقدم بين يدى النبى**) يا رسول الله !... لقد نقضتْ « قريش » صلح « الحديبية » ...

(**النبي يطرق مفكرًا** ....)

عمر : ما تقول يا « بلال » ؟...

بلال : رجال من « خُزاعة » قدموا بهذا الخبر !..

على : ولمَّا يمض على الصلح اثنان وعشرون شهرًا !...

أبو بكر : (**يلتفت**) نعم !... هذا « عمرو بنُ سالم الخزاعى » فى رجال من (خزاعة)!...

(**النبي يرفع رأسه ناظرًا إلى رجال خزاعة** ....)

الخزاعى : (**يتقدم بين يدى النبى**) يا رسول الله !... بعد أن دخلنا فى عَقْدِك وعهدك عَدَتْ علينا « قريش » ليلا ، ونحن آمنون ، فقتلوا منا عشرينَ رجلا ، فقدمنا عليك نخبرك ونستنصرك !...

محمد : (**يقوم يجر رداءه**) لا نصِرتُ إن لم أنصرْكم مما أنصرُ منه نفسى !..

الخزاعى : لقد بلغنا أن قريشًا رَهِبوا الذى صنعوا ؛ ونَدموُا عليه !...

بلال : (**ينظر**) هذا رجل « كأبى سفيان » مقبلا مسرعًا !...

أبو بكر : (**ينظر مليا**) نعم ... هو « أبو سفيان » !...

محمد : (**يقف**) كأنى به قد جاء ليَشُدَّ العقد ، ويزيد فى المدة !...

أبو سفيان : (**يتقدم إلى النبى**) يا « أبا القاسم » !.. إنى جئتك فى أمر !...

(.. **محمد لا يرد عليه شيئا** ...)

أبو سفيان : جئتُ للعهد الذى بيننا وبينك !...

(... **محمد لا يجيب** ....)

أبو سفيان : (**يمضى فى القول**) ألك فى أنَ نشُدَّ العقدَ ، ونزيد فى المدة ؟...

محمد : (**فى صوت خافت كالمخاطب لنفسه**) هيهات !... هيهات !...

(**يترك أبا سفيان وينصرف** ....)

أبو سفيان : (**لمن حوله**) لماذا لا يردّ علىّ شيئًا ؟!.. يا « أبا بكر » !.. كلم لى « أبا القاسم » أن يستمع إلىّ !...

أبو بكر : (**يتركة ويمشى فى أثر النبى**) ما أنا بفاعل !...

أبو سفيان : (**يتجه إلى عمر بن الخطاب**) وأنت يا « أبا حفص » !.. ألا تكلمه لى ؟..

عمر : (**يزور عنه**) أأنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟... فوالله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به !...

(**يتركه ويتبع النبى** ....)

أبو سفيان : (**لعلى بن أبى طالب**) يا « على » !.. إنك أمَس القوم بى رحمًا ... وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعَنَّ كما جئتُ خائبًا فاشفعْ لى إلى « أبى القاسم » !..

على : ويحَك يا « أبا سفيان » !.. والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه !...

أبو سفيان : (**لعلى**) يا « أبا الحسن » إنى أرى الأمور اشتدت علىَّ فانصحنى !...

على : والله ما أعلم شيئًا يغنى عنك شيئًا ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجِرْ بين الناسِ ، ثم الحقْ بأرضِك ...

أبو سفيان : أَوَ ترى ذلك مُغنيا عنى شيئًا ؟...

على : لا والله ما أظنُّه ، ولكننى لا أجد لك غير ذلك !...

(**يتركه ويذهب كى يلحق بالنبى** ...)

أبو سفيان : (**يقف وسط الناس**) أيها الناس !... إنى قد أجرتُ بين الناس !...

الناس : (**هازئين**) اركبْ بعيرَك وانطلق !..

أبو سفيان : صدقتم !.. هذا أولى بى !...

(**يركب بعيره وينطلق** .....)

بلال : (**يأتى مسرعا من جوار النبى**) أيها الناس !... إن رسول الله يأمركم أن تتجهزوا للقتال !...

المنظر العشرون

(**فى مكة أبو سفيان فى رجال من قريش ليلا** ....)

قريش : (**لأبى سفيان**) ما وراءك ؟...

أبو سفيان : جئت « محمدًا » فكلمته ، فواللات ما ردّ على شيئًا ثم جئت « أبا بكر » فلم أجد فيه خيرًا، ثم جئت « عمر بن الخطاب » فوجدته أعدَى العدوِّ ، ثم أتيت « عليًا » فوجدته أليَنَ القوم ، وقد أشار علىَّ بشىء صنعته ، فواللاتِ ما أدرى هل يغنى ذلك شيئًا أم لا ؟!...

قريش : وبم أشار عليك ؟..

أبو سفيان : أمرنى أن أجيرَ بين الناس ... ففعلت ...

قريش : وهل أجازَ ذلك « محمد » ؟..

أبو سفيان : لا !...

قريش : ويلك !.. واللاتِ ما زاد الرجلُ على أن لعبَ بك ... فما يغنى عنك ما قلت !...

أبو سفيان : لا واللات ما وجدتُ غير ذلك !...

(يأتى أحد رجال قريش ، وهو « بديل بن ورقاء » يجرى ....)

بديل : يا معشر قريش !.. العسكر !.. العسكر !...

قريش : (**تقوم**) أين ؟...

بديل : (**يشير إلى ضوء منبثق عن بعد**) انظروا تلك النيران !...

قريش : (**فى دهش وخوف**) نعم ... نعم !....

أبو سفيان : (**ينظر إلى النيران**) نعم ... ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا !...

بديل : هذه واللات « خزاعة » حَمشتْها الحرب !...

أبو سفيان : (**ناظرًا إلى النيران**) « خزاعة » أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ...

(يمر العباس بن عبد المطلب على ظهر بغلة النبى البيضاء ....)

العباس : (**صائحا بأبى سفيان**) ... يا « أبا حنظلة » !...

أبو سفيان : (**يلتفت**) ... « أبو الفضل » ؟!...

العباس : نعم !...

أبو سفيان : مالك .. فداك أبى وأمى !...

العباس : ويحك يا « أبا سفيان » !... هذا رسول الله فى الناس !...

أبو سفيان : (**مرتاعا**) « محمد » ؟!...

العباس : نعم .. واصباح « قريش » !.. والله لئن دخل « مكة » عنوة

أن تأتوه فتستأمنوه ؛ إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر !...

أبو سفيان : فما الحيلة فداك أبى وأمى ؟!...

العباس : والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك ... فاركبْ فى عجز هذه البغلة . حتى آتى بك رسولَ الله فأستأمنهُ لك ...

أبو سفيان : نعم !... هلم بنا !...

(يركب فى الحال خلف العباس ......)

المنظر الحادى والعشرون

(فى معسكر النبى ـــ العباس يمر بين المسلمين على البغلة ، فى طريقه إلى النبى وخلفه أبو سفيان ......)

المسلمون : (**صائحين**) من هذا ؟...

العباس : أنا !...

المسلمون : عمُّ رسول الله على بغلته ؟...

أبو سفيان : (**قلقا**) خشيت أن يكونوا قد أمِرُوا فىَّ بشىء !...

العباس : لا تخش شيئًا !...

عمر : (**يلمح أبا سفيان**) من هذا !...

العباس : أنا !...

عمر : (**صائحا**) « أبو سفيان » على عَجُز الدابَّة !... « أبو سفيان » عدو الله !... الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد !...

العباس : (**يركض بالبغلة**) فلنسبِقْه إلى رسول الله !....

أبو سفيان : (**ينظر خلفه فى قلق**) إنه يشتد خلفنا ...

العباس : إن سبقنا إلى رسولِ الله فأنت هالك !...

أبو سفيان : أسرِعْ بنا فِدَاك أبى وأمى !...

العباس : (**يوقف البغلة أمام مضرب النبى**) قد بلغنا المكان !... هذا رسول الله !...

(**ينزلان ويتقدمان نحو النبي ، وهو جالس أمام مضربه ....**)

أبو سفيان : (**همسا للعباس**) كَلِّمهُ لى أولَ الأمر !...

العباس : (**يتقدم**) يا رسول الله !...

عمر : (**يصل مسرعا ، وهو يصيح**) يا رسول الله ... هذا « أبو سفيان » قد أمْكن الله منه بغير عَقْدٍ ولا عهد !... فدعنى فلأضرِبْ عُنقَه !...

العباس : يا رسول الله !... إنى قد أجَرْتُه !...

عمر : يا رسول الله !... مرنى أتكلمْ !...

العباس : (**يجلس إلى النبى ، ويأخذ برأسه ، ويلتفت إلى عمر**) والله لا يُناجيهِ الليلة دونى رجل !...

عمر : إن « أبا سفيان » عدو الله !...

العباس : مهلا يا « عمر » !... فوالله أن لو كان من رجال « بنى عدى بن كعب » ما قلتَ هذا ... ولكنك قد عرفتَ أنه من رجال « بنى عبد مناف » !...

عمر : (**يهدأ ويتلطف**) مهلا يا « عباس » !... فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلَّى من إسلام « الخطاب » لو أسلم ، وما بى إلا أنى عرفتُ أن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ الله من إسلام « الخطاب » لو أسلم !...

أبو سفيان : (**للعباس خافتا فى قلق**) كَلِّم لى ابن أخيك !...

محمد : (**يلتفت إلى أبى سفيان**) « أبا سفيان » !...

(محمد)

أبو سفيان : نعم يا « أبا القاسم » !...

محمد : ويحك ! ألم يَأنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟...

أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ... ما أحلَمك وأكرَمَك ، وأوصَلك !... والله لقد ظننتُ أنْ لَوْ كان مع الله إله غيره — لقد أغنى عنى شيئًا بعد !...

محمد : ويحك يا « أبا سفيان » !... ألم يَأن لكَ أن تعلم أنى رسول الله ؟..

أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ، ما أحلَمك ، وأكرمَك ، وأوصَلك !... أما هذهِ والله ، فإنَّ فى النفسِ منها حتى الآنَ شيئًا !...

العباس : (**يغمزه بيده**) ويْحك !.. أسْلم ، واشهْدْ أن لا إلهَ إلا الله ، وأن محمدًا رسولُ الله ، قبل أن يُضربَ عنقك !...

أبو سفيان : أشهْد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ...

العباس : يا رسول الله !... إن « أبا سفيان » رجلٌ يحبُّ هذا الفخر ؛ فاجعل له شيئًا ...

محمد : نعم ... من دخل دارَ « أبى سفيان » فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن !...

أبو سفيان : (**للنبى وهو منصرف مع العباس**) إنك والله لكريم !...

: (**همسا للعباس**) !... يا « عباس » احبسه بمَضِيقِ الوادى عند خَطمِ الجبل ؛ حتى تمرَّ به جنود الله فيراها !...

المنظر الثانى والعشرون

(بمضيق الوادى عند خطم الجبل ــ النبى مار فى جيشه ، العباس وأبو سفيان فى ناحية ينظران إلى الجنود تمر بهما ....)

العباس : انظر إلى جنودِ الله !...

أبو سفيان : (**مأخوذًا**) نعم !... نعم !... ما هذه القبائل كلها ....

العباس : (**يشير إلى قبيلة مارة**) هذه « سُليم » !...

أبو سفيان : نعم ... نعم ... ومن هؤلاء ؟...

العباس : هؤلاء « مزيْنَة » !..

أبو سفيان : نعم ... نعم ...

العباس : وهؤلاء قبائل « أسلم » و « غِفار » و « جهينة » !..

أبو سفيان : نعم ... نعم ...

العباس : انظر إلى القبائل تمرُّ على راياتها !...

أبو سفيان : (**فى صيحة**) سبحان الله يا « عباس » !.. من هؤلاء ؟!...

العباس : هذا « رسول الله » فى كتيبته الخضراء !...

أبو سفيان : (**فى إعجاب**) الكتيبة الخضراء !؟...

العباس : نعم المهاجرون والأنصار !..

أبو سفيان : يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة !.. لا يُرى والله منهم إلا الحَدق من الدروع والحديد !...

العباس : نعم !...

أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قبلٌ ولا طاقة ، والله يا « أبا الفضل » لقد أصبح ملك ابنِ أخيك الغدَاةَ عظيما !...

العباس : يا « أبا سفيان » إنها ، النبوَّة !...

أبو سفيان : فَنَعم إذَنْ !...

العباس : (**يدفعه**) يا « أبا سفيان » !... النجاء إلى قومك !...

أبو سفيان : صدَقتَ !...

(**ينصرف قومه** ......)

العباس : أسْرِع !...

المنظر الثالث والعشرون

(**فى مكة ... الناس مجتمعون ، أبو سفيان بينهم يخطبهم** ......)

أبو سفيان : (**يصرخ بأعلى صوته**) يا معشر « قريش » !... هذا « محمدٌ » قد جاءكم فيما لا قبلَ لكم به ، فمن دخل دار « أبى سفيان » فهو آمن !...

(**تقوم إليه هند بنت عتبة غاضبة ثائرة من بين الناس** ....)

هند : أأنت تقول هذا ؟...

أبو سفيان : نعم ... أقول هذا فاستمعوا إلَّى !...

هند : (**تأخذ بشارب أبى سفيان وتصيح**) اقتلوا الحميت الدسم الأحمس !... قُبِّح من طليعة قوم !...

أبو سفيان : اغرُبى أيتها المرأة !...

هند : (**للناس**) لا تصغوا إلى هذا الرجل !...

أبو سفيان : (**للناس**) ويلكم !... لا تغرَّنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار « أبى سفيان » فهو آمن ...

الناس : قاتلكَ الله !... وما تغنى عنا دارك ؟...

أبو سفيان : (**يمضى فى الكلام**) ومن أغلقَ عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجدَ فهو آمن !...

الناس : (**يرون الجيش مقبلا ، فيتفرقون مسرعين متصايحين**) الجيش !... الجيش !... محمد !... النجاء !... إلى المسجد !... إلى دوركم !...

(**يدخل النبى وجيشه ظافرين** ......)

عمر : (**صائحا فى أمراء الجيش**)يا أمراء الجيش !... لقد أمر رسول الله ، إذا دخلتم مكة ، ألا تقاتلوا إلاّ منْ قاتلكم !...

محمد : (**على دابته ناظرًا إلى السماء**) لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزابَ وحده !...

(**يخفض رأسه ويسير فى طريق الكعبة**)

أبو سفيان : (**يلمح العباس**) يا « أبا الفضل » !...

العباس : (**يدنو منه**) انظر إلى النبى !... إنه يضع رأسه تواضعًا لله ؛ لما أكرمه به من الفتح حتى أن عُثْنونَهُ يكادُ يمسُّ واسِطةَ الرحْل !...

أبو سفيان : (**ناظرًا إلى النبى**) نعم !...

العباس : اللهم لك الحمد !.. فتحت « مكة » بغير قتال !...

أبو سفيان : لقد بلغ النبيُّ « الكعبة » !...

العباس : (**يتبع ببصره النبى**) نعم !...

أبو سفيان : إنه قد رفع يده ، وأمر فى الكعبة بشىء !...

العباس : (**يرى محمدًا على وشك الكلام**) إنه يشير إلى الأصنام !...

أبو سفيان : نعم ... صه !... إنه يتكلم !...

محمد : (**صائحا**) جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ...

عمر : (لرجاله) حطموا هذه الأحجار !...

(المسلمون يحطمون أصنام الكعبة ..)

(ابن رواحة الشاعر يقف إلى جوار النبى ، ويصيح فى حماسة ....)

خلوا بنى الكفارِ عن سبيلهِ
اليوم نضربُكم على تنزيلهِ
ضربًا يُزيل الهَامَ عن مَقِيلهِ
ويُذهِلُ الخليلَ عن خليلهِ

عمر : يا « ابن رواحة » !... أبين يدى رسول الله ، وفى حرَم الله تقول الشعر ؟!..

محمد : خلِّ عنه يا « عمر » !... فلَهِىَ فيهم أسرعُ من نَضْحِ النَّبل !...

أبو بكر : (للنبى فى فرح وتأثر) يا رسول الله !... لقد تم نصر الله لك ، ولِمَا جئتَ به !...

محمد : (يتلو) ﴿ إذا جاء نصرُ الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توَّابا ﴾

الخاتمة

المنظر الأول

(فى المدينة ... عائشة على فراشها فى مسكنها ....)

زينب : (**تدخل على ابنتها**) أتعلمين الخبرَ ؟...

عائشة : نعمْ ... رسول الله يتجهز للحج ، وقد أمر الناسَ بالجهاز له ...

زينب : نعم !... رأيت الناس يسوقون الهَدْىَ !...

عائشة : (**باكية**) اللهم أعنِّى !...

زينب : أتبكين ؟...

محمد : (**يدخل**) مالَكِ يا « عائشة » ؟...

زينب : (**تنهض**) رسول الله !...

محمد : (**لعائشة**) لعلك نفست ؟...

عائشة : نعم ... والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا السفرَ ...

محمد : لا تقولى ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاجُّ ... إلا أنك لا تطوفين بالبيتِ !...

المنظر الثانى

(فى مكة ـــ الناس مع النبى عند البيت الحرام)

عمر : (لأبى بكر) مالك ؟... ما يحزنُك ؟...

أبو بكر : إن رسول الله قد أرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهّم ...

عمر : وما فى ذاك ؟...

أبو بكر : (كالمخاطب لنفسه) أخشى أن تكون « حجة الوَداع » !...

عمر : (يلتفت إلى ناحية النبى) إن رسول الله قام يخطب الناس !

أبو بكر : نعم ... هلُمَّ إليه !..

(يدنوان من النبى ....)

محمد : (يخطب) أيها الناس !... اسمعوا قولى ؛ فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبدًا !!...

أيها الناس !.. إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربَّكم ؛ كحرمة يومكم هذا ؛ وكحرمة شهرِكم هذا ... وإنكم ستلقَونَ ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم ؛ وقد بلغت : فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كلَّ رِبًا موضوعٌ ، ولكِنْ لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلِمون ولا تُظلمون ... وإن كلَّ دمٍ كان فى الجاهلية موضوع ...

أما بعد أيها الناس !... فإن الشيطان قد يئس أن يُعبَدَ بأرضكم هذه أبدًا ، ولكنه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضى به ؛ مما تحقرون من أعمالكم ؛ فاحذروه على دينكم ...

ايها الناس !... إنما النَّسِيء زيادة فى الكفر ، يُضل به الذين كفروا ، يحِلُّونه عامًا ، ويُحرِّمونه عامًا ؛ ليواطئوا عدة ما حرَّم الله ، فيحِلّوا ما حرم الله ويحرِّموا ما أحلَّ الله ، وإن الزمانَ قد استدار كَهَيْئتِهِ يومَ خلق الله السمواتِ والأرضَ،وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا ؛ منها أربعة حُرم : ثلاثة متواليةٌ ، و « رجب مضرَ » الذى بينَ « جمادى » و « شعبان » ...

أما بعد ... أيها الناس !.. فإن لكم على نسائكم حقًا ، ولهن عليكم حقًا : « لكم عليهن ألا يوطِئن فرشَكمْ أحدًا تكرهونه ، وعليهنَّ ألا يأتين بفاحشةٍ مبينة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أذِن لكم أن تهْجُروُهنَّ فى المضاجع ، وتضربوهنَّ ضربا غيرَ مُبرح ، فإن انْتهَيْن فلهنَّ رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرًا ، فإنهنَّ عندكم عَوان لا يملكن لأنفسهنَّ شيئًا ، وإنكم إنما أخذتُموهنَّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهنَّ بكلمة الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ؛ فإنى قد بلّغت،وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا ، أمرًا بيّنًا ، كتاب الله وسنة نبيه ... أيها الناس !... اسمعوا قولى واعقلوه !... تعلمُنَّ أن كلَّ مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمينَ إخوة ؛ فلا يحِلُّ لا مرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ؛ فلا تظلمُنَّ أنفسكم ، اللهم هل بلّغتُ ؟!...

الناس : (صائحين) اللهمَّ نعم !...

محمد : (ناظرًا إلى السماء) اللهم اشهد !...

المنظر الثالث

(فى المدينة — عائشة جالسة ليلا فى مسكنها ... تدخل عليها أمها زينب ...)

زينب : ما لك يا ابنتى ؟...

عائشة : رسول الله ؟...

زينب : ما به ؟...

عائشة : وثب من مضجعه فى جوف الليل ، فلبس ثيابه ثم خرج !...

زينب : أين ؟...

عائشة : لست أدرى ، قد أمرتُ خادمتى « بريرةَ » أن تتبعه ...

(بريرة تدخل ....)

بريرة : مولاتى ....

عائشة : خبرينى !...

بريرة : تبِعتُ رسولَ الله ، فرأيته قد انطلق ومعه مولاهُ « أبو رافع » إلى الخلاء

عائشة : الخلاء ؟!...

المنظر الرابع

(... **النبى وأبو رافع أمام المقابر بالبقيع**)

أبو رافع : أين يا رسول اللهِ فى جوف الليل ؟...

محمد : يا « أبا رافع » !... إنى قد أمرتُ أن أستغفر لأهل هذا « البقيع » !...

أبو رافع : (**كالمخاطب لنفسه**) عجبًا !...

محمد : (**متجها إلى القبور**) السلام عليكم يا أهل المقابر !.. ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلتِ الفتن كِقطَعِ الليل المظلم يتبع آخرُها أولَها : الآخرة شرٌّ من الأولى !...

أبو رافع : (**كالمخاطب لنفسه**) أهو وداع من الدنيا ؟!...

محمد : (**يلتفت إلى أبى رافع**) يا « أبا رافع » !... إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرتُ بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة !...

أبو رافع : (**مبادرًا**) بأبى وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة !...

محمد : لا ... والله يا « أبا رافع » لقد اخترتُ لقاءَ ربى والجنة !...

أبو رافع : (**فى حزن كالمخاطب لنفسه**) لقد اخترتَ فراقنا !...

محمد : (**متجها إلى المقابر**) السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين ، إيانا وإياكم ما توعَدون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ... اللهم اغفر لأهل « البقيع » !... اللهم اغفر لأهل « البقيع » !..

المنظر الخامس

(فى مسكن عائشة ، وهى جالسة واضعة يدها على رأسها ....)

بريرة : (**جالسة إلى جوار عائشة**) ألا ترقدين ؟...

عائشة : إنى أجد صداعا فى رأسى !...

بريرة : لقد سهرتِ الليل فى انتظار أوبةِ رسولِ الله !...

عائشة : لو أنك عرفتِ أين ذهب يا « بريرة » ؟...

بريرة : لا تجزعى !.. لعله أمر بشيء !... هذا رسول الله قد أقبل !...

(**تنهض لدخول النبى ... وتذهب** ....)

محمد : (**يدخل معصوب الرأس**) مالك يا « عائشة » ؟...

عائشة : (**واضعة يدها على رأسها**) وارأساه !..

محمد : (**فى توجع**) بل أنا والله يا « عائشة » وارأساه !....

عائشة : (**تنهض إليه فى الحال**) ما بك يا رسول الله ؟...

محمد : (**ينظر إليها طويلا**) ما ضرّكِ لو مِتِّ قبلِي ، فقمتُ عليكِ وكفَّنتُك وصليْتُ عليكِ ودفنتكِ ؟!...

عائشة : كأنى بك والله تحب موتى !... ولو كان ذلك ... لرجعتَ إلى بيتى فأعرسْتَ فيه ببعضِ نسائِك !...

محمد : (**يبتسم**) إنك غَيرَى !..

(**يبدو على النبى التعب** .....)

عائشة : (**يغشاها قلق**) ما بك ؟...

محمد : آه !..

عائشة : (فى جزع) اجلس يا رسول الله على فراشك !...

محمد : (يجلس متوجعا) مازلتُ أجدُ من الأُكْلَةِ التى أكلتُها « يوم خَيْبَرَ » عدادًا حتى كأن هذا أوانُ انقطاع أبْهَرِى !...

عائشة : (فى جزع) لا ، يا رسولَ الله ، لم يَأنِ الأوانُ !...

محمد : إنى أشتكى ولا أستطيعُ أنْ أدورَ على نسائى فأرسلى إليهنَّ !... فإن شئنَ أذِنَّ لى أمرَّض عندكِ !..

عائشة : (وهى مطرقة) نعم !...

(تدخل فاطمة بنت النبى جزعة ......)

فاطمة : مابك يا رسول الله ؟.:. قد أخبرتْنى « بريرة » أنك عدت عاصبًا رأسَك !..

محمد : مرحبًا يا بنتى !...

فاطمة : أبَتِ !... ما لكَ ؟...

محمد : (يدعوها ويسارها) لا أظن إلا أجلى قد حضر !...

فاطمة : (تبكى) أبتاه !...

محمد : (همسا) لا تبكى ، فإنك أوَّل أهلى بى لحوقًا !...

بريرة : (تدخل) قد دعا « بلال » إلى الصلاة !...

محمد : أوَ صلَّى الناسُ ؟...

بريرة : لا !... هم ينتظرونك يا رسول الله !...

محمد : (ينهض) ضعُوا لى ماء فى المِخْضَبِ !... آه !...

(ينوء مغشيًا عليه ...)

فاطمة : (تسرع إليه) إنه ينوء !...

عائشة : (صائحة مسرعة إليه) أدركونى !... قد أغمى عليه !...

(بريرة تهرع فى أثر مولاتها جزعة ......)

محمد : (**يفيق**) أصَلَّى الناس ؟...

عائشة : لا تتركْ فراشَك يا رسول الله !... مرْ مَنْ يصلى بالناس ...

محمد : (**فى صوت ضعيف**) مُرُوا « أبا بكر » فليصلِّ بالناس ...

(**تسرع بريرة بالخروج صادعة بالأمر .**)

عائشة : (**على رأس النبى**) يا رسول الله !... إن « أبا بكر » رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن !...

محمد : مُروه فليُصلِّ بالناس !...

عائشة : (**همسا لفاطمة**) كنت أحب أن يُصرف ذلك عن أبى .. إن الناس لن يحبوا رجلا قام مقام رسول الله أبدًا ، وإنهم سيتشاءمون به !..

(**يرتفع صوت عمر فى المسجد ....**)

عمر : (**من الخارج**) الله أكبر !... الله أكبر !...

محمد : (**يتحرك**) صوت من هذا ؟؟..

فاطمة : هذا « عمر بن الخطاب » !...

محمد : لا ، لا ، يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون ... أين « أبو بكر » ؟... أين « أبو بكر » ؟...

عائشة : لا ريبَ أنه غائب !..

محمد : (**يحاول النهوض**) ضعوا لى ماء ، حتى أخرجَ إلى الناس فأعهدَ إليهم !...

المنظر السادس

(فى المسجد ـــ الناس فى هرج وقد انتقضت صفوفهم .....)

عمر : **(لبلال)** ويحك !... ماذا صنعتَ بى يا « بـلال » ؟.. والله ما ظننت حين أمرتنى ، إلا أن رسولَ الله أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صلَّيت بالناس !...

بلال : والله ما أمرنى رسول الله بذلك ، ولكنى حين لم أر « أبا بكر » رأيتُك أحق من حضر بالصلاة بالناس !...

عمر : **(يلتفت)** هذا « أبوبكر » ... هلمَّ إلى الصلاة !...

(أبو بكر يدخل مسرعا ، ويصلى بالناس فتنتظم الصفـوف خلفه ....)

أبو بكر : الله أكبر !...

(يظهر النبى عاصبا رأسه بخرقة ويستند إلى بابه اللافـظ فى المسجد ، فيراه المسلمون فتبدو منهم حركـة افتـان وفـرح به .....)

محمد : **(يبتسم لفرحهم ، ويشير إليهم هامسًا)** اثبتوا على صَلاتكم !..

(أبـو بكـــر يشعـــر بالنبـــى فينـــكص عـــن مصلاه)

(محمد يدفع فى ظهره برفق ....)

محمد : صل بالناس ...

(ثم يجلس إلى يمين أبى بكر ويصلى قاعدًا)

الناس : **(لا تتمالك بعد ختام الصلاة أن تصيح فرحا)** رسول الله !. رسول الله قد برأ ... هذا رسول الله !..

(بين المصلين أنس بن مالك ينظر إلى النبي ، ويهمس لمن فى جواره ...)

أنس : انظر إلى وجهه !... كأنه ورقة مصحف !...

محمد : **(يتحامل ويعتلى المنبر ، معتمدًا على ذراعى أبى بكر وعمر)** اللهم اغفر لأصحاب « أحد » !.. أيها الناس !... ألا من كنتُ جلدْتُ له ظهرًا ؛ فهذا ظهرى فَلْيستَقِدْ مِنهُ ، ومن كنتُ شتَمْت له عِرضًا ، فهذا عرضى فَليستقِدْ منه ، ومن أخذت له مالاً فهذا مالى فليْأخُذْ منه ولا يخشى الشحْنَاء مِن قبلى فإنها ليست مِن شأنى ... ألا وإن أحبَّكم إلَّى من أخذ منى حقًا إن كان له ، أو حلَّلنى فلقيتُ ربى وأنا طيبُ النفس !...

أحد الناس : **(ينهض)** ... لى عليكَ ثلاثة دراهم !...

(يشير النبى فيؤتى بالمال من مسكنه ويعطى الرجل ....)

محمد : **(يمضى فى خطبته)** أيها الناس !... إن عبدًا خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله !...

أبو بكر : **(يفهم ويبكى)** بل نحن نَفدِيكَ بأنْفُسنا وأبنائنا ...

محمد : على رِسْلِكَ يا « أبا بكر » !.. انظروا هذه الأبواب اللافظةَ فى المسجد فسدوها إلاّ بيتَ « أبى بكر » ؛ فإنى لا أعلم أحدًا كان أفضلَ فى الصُّحبةِ عِندى يدًا منه ، ولو كنت متخِذاً خليلا لا تخذتُ « أبا بكر » خليلا ، ولكن أخوَّة الإسلام !...

المنظر السابع

(فى مسكن عائشة ـــ النبى على فراش الموت ، ونساؤه خلف ستار يحجبن عن ذويه وأصحابه من الرجال .....)

عمر : (**يدخل ويهمس لعلى والعباس بن عبد المطلب**) الناس يسألون : كيف أصبح رسولُ الله ؟...

على : (**همسا**) أصبح بحمد الله بارئًا !...

العباس : (**ينظر إلى وجه النبى ويهمس**) أحلِفُ بالله لقد عرفتُ الموتَ فى وجه رسول الله ؛ كما كنتُ أعرفه فى وجوه بنى « عبد المطلب » !...

أبو بكر : (**يلمس النبى**) يا رسول الله ، إنك لتُوعك وعكًا شديدًا ...

محمد : (**فى صوت ضعيف متعب**) أجل ... إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم !.

أبو بكر : إنَّ لك لأجرَيْن ...

محمد : نعم ... والذى نفسى بيده ، ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه ، إلا حطَّ الله به عنه خطاياه ، كما تحط الشجرة ورقَها ...

(يسمع صوت لغط وبكاء فى المسجد ....)

أبو بكر : (**يهمس لعلى**) ما هذا الصوتُ فى المسجد ؟...

على : (**همسا**) أخشى أن يكون « العباس » قد خرج يخبر الناس ...

محمد : (**يشير إلى الستار الذى بين المسكن والمسجد**) من هؤلاء ؟...

على : هذه الأنصار فى المسجدِ ، نساؤها ورجالها ، يبكون عليك ؟..

(محمد)

محمد : وما يبكيهم ؟...

علي : (**فى تردد وصوت خافت**) يخافون أن تموت !...

محمد : أهريقوا عليَّ سبع قِرَب من آبار شتَّى ... ثم أتونى بدَواة وصحيفة أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده !...

عمر : (**لمن حوله همسا**) إن رسول الله قد غلبه الوَجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله !...

أبو بكر : بل قربوا يكتب لكم رسولُ الله !...

علي : كلاًّ ... الرأى ما قال « عمر » ....

(**يشتد اللغط بين الرجال** ....)

محمد : (**يضيق بهم**) قوموا عنى !... قوموا عنى !...

أبو بكر : لقد أثقلنا على النبى فى وجعه ... هلمُّوا بنا !...

(**يذهب الرجال — وتخرج عائشة والنساء من خلف الستر** ...)

عائشة : يا رسول الله ! إنك لتجزع وتضجر ، لو فعلتْه امرأة منا عجبتَ منها !...

محمد : إن المؤمن يُشدد عليه ؛ ليكون كفارة لخطاياه !...

(**فاطمه تبكى** ....)

محمد : لا تبكى يا بُنيَّة ... قولى إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ فإن لكل إنسان بها من كل مصيبة معوَّضةً !...

فاطمة : ومنك يا رسولَ الله ؟...

محمد : ومِنى !

عائشة : (**لفاطمة**) إنه يوعك من الحمُى ...

محمد : (**ينهض قليلا**) يا عائشة ؟... ما فعلتْ تلك الذُّهب ؟؟...

عائشة : أى ذهب ؟...

محمد : الدنانير الستة التى عندى ....

عائشة : هى عندى ....

محمد : ما ظن « محمد » بربه أن لو لقى الله وهذه عنده !... أنفقيها كلها صدقة ... إن النبى لايورث !...

عائشة : سأنفقها !...

محمد : اللهم توفنى فقيرًا ، ولا توفّنى غنيًا ، واحشرنى فى زمرة المساكين !.. (**يرقد**) الآن استرحت !..

عائشة : (**تضع رأس النبى فى حجرها**) يا رسولَ الله !... أسأل الله لك الشفاء والعافية !...

محمد : (**يشخص ببصره إلى السماء كالمخاطب لنفسه**) بل الرفيق الأعلى !...

عائشة : (**تسقط من عينها قطرة دمع بلا شهيق**) خيِّرتَ فاخترتَ والذى بعثك بالحق !...

محمد : (**فى صوت خفيض**) قدحا من ماء !...

عائشة : (**للنساء**) أسرِعْنَ إلَّى بقدحٍ من مَاء !...

(**يحضرن قدح الماء ....**)

محمد : (**يبلل يده ويمسح وجهه**) اللهم أعنى على سكرات الموت !...

فاطمة : واكرب أبتاه !...

محمد : ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم ، ادْنُ منِّى ... ادْن يا جبريل !... ادْنُ منى يا جبريل !... ادن منى يا جبريل !...

(**يرى جبريل قد هبط عليه ....**)

جبريل : يا أحمد !... إن الله أرسلنى إليك إكراما لك ، وتفضيلا

لك ، وخاصة لك ... يسألك عما هو أعلم به منك ، ويقول لك كيف تجدك ؟...

محمد : **(شاخص العينين يتكلم من قلبه ، دون أن يبدو لمن حوله شيء)** أجدُنى يا « جبريلُ » مغمومًا ، وأجدنى يا « جبريل » مكروبًا !...

جبريل : **(يشير إلى ملك خلفه)** يا « أحمد » !... هذا ملك الموت ، يستأذن عليك ، ولم يستأذن على آدمى كان قبلك ، ولا يستأذن على آدمىٍّ بعدك !...

محمد : إيذنْ له !...

ملك الموت : يا رسول الله يا « أحمد » !... إن الله أرسلنى إليك ، وأمرنى أن أطيعك فى كلِّ ما تأمُرنى ، وإن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتُها ، وإن أمرتنى أن أتركهَا تركتها ...

محمد : وتفعلُ يا ملك الموت ؟..

ملك الموت : بذلك أمرتُ أن أطيعك فى كل ما أمرتنى !...

جبريل : يا « أحمد » !... إن الله قد اشتاق إليك !...

محمد : امض يا ملك الموتِ لما أمرتَ به !...

جبريل : السلام عليك يا رسول الله !... اليوم آخر عهدِى بهبوط الأرض !...

(يرتفع الملكان ويتركان محمدًا جثة هامدة)

عائشة : **(ترى النبى قد ثقل فى حجرها فتضعه على الفراش وتغطى وجهه ببرده وتصيح)** أدركونى !.. أدركونى !...

النساء : **(فى جزع وروع)** ماذا ؟!...

عائشة : **(تضرب وجهها)** واثكلاه !... ماتَ رسولُ الله !.... مات

رسولُ الله !...

فاطمة : أبتاه !...

النساء : واثُكْلاه !..

فاطمة : (**ترى الجثة فتصيح**) أبتاه !... يا أبتاه !... أجابَ ربّا دعاه ..... يا أبتاه !... جنة الفردس مأواه ، أبتاه !... إلى « جبريل » ننعاه ، يا أبتاه !... منْ ربّه ما أدْنَاه !...

عائشة : (**فى بكاء وشهيق**) رسول الله قد مات !... واحَرَّ قلباه !... وامصيبتاه ، الآن قد انقطع عنا خبر السماء !...

بريرة : (**تدخل مسرعة**) إن « عمر » و « العباس » ورجالا معهما يستأذنون فى الدخول على النبى !...

عائشة : (**للنساء**) احتجبن خلف الستر !...

(**يحتجب النساء فى الحال وهن يبكين .**)

عمر : (**يدخل ويسرع إلى محمد ويرفع الغطاء عن وجهه**) واغَشْيَاه !... ما أشد غَشْيَ رسول الله !..

(**أحد الرجال وهو المغيرة ينظر فى وجه النبى ....**)

المغيرة : يا « عمر » مات والله رسول الله !..

عمر : (**فى غضب**) كذَبت !... ما مات رسول الله ، ولكنك رجل تحوشك فتنه ؛ ولن يموتَ رسول الله حتى يُفنيَ المنافقينَ !...

(**العباس ينظر فى وجه النبى ، ولا يجيب يخرج عمر والعباس والرجال ...**)

الناس : (**فى الخارج**) أمات النبى ؟... أمات النبى ؟...

عمر : (**يصيح فى الخارج**) أيها الناس !... لا أسمعنَّ أحدًا يقول إن محمدًا قد مات ، ولكنه أرسِلَ إليه كما أرسِلَ إلى « موسى بن

عمران » فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إنى لأرجو أن تُقطَّع أيدى رجال وأرجلهُم يزعمون أنه مات !...

الناس : (فى الخارج) لا تدفنوه !... إنه لم يمت !.....

رجل : (فى الخارج) إن رسول الله قد رفع ؛ كما رُفِعَ « عيسى ابن مريم » وليرجِعَنَّ !...

العباس : (فى الخارج) هل عند أحد منكمَ عهْد من رسول الله فى وفاته فيحدِّثناهُ ؟..

الناس : (فى الخارج) لا !...

العباس : (فى الخارج) هل عندك يا « عمر » من ذلك !...

عمر : (فى الخارج) لا !...

العباس : (فى الخارج) اشهدوا أن أحدًا لا يشهد على نبى الله بعهد عَهدَه إليه بعد وفاته إلا كذابٌ ، والله الذى لا إله إلا هو ، لقد ذاق رسولُ الله الموتَ ، وإنه ليأسَنُ كما يأسَن البشر ، فادفنوا صاحبكم ، أيميت الله أحدَكم إماتةً ، ويميته إماتتين ؟... هو أكرم على الله من ذلك ، إنه ما مات حتى ترك السبيلَ نَهجًا واضحًا ، أحلَّ الحلال وحرم الحرام ، ونكح وطلق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غنم يتبع بها رءوسَ الجبال بأنصبَ ولا أدأبَ من رسول الله فيكم !...

النساء : (**خلف الستر**) أماتَ رسول الله أم لم يمتْ ؟...

فاطمة : (**تدنو من الجثة ، وتتأمل وجه النبى طويلا ، وتجهش بالبكاء**) قد تُوفِّى رسول الله !...

(**أبو بكر يدخل مسرعا ، ويتجه إلى الجثة ، ويرفع الغطاء عن النبى المسجى ويقبله ويبكى**)

أبو بكر : بأبى أنتَ وأمى ، طبتَ حيًا وميتًا !... أما الموتة التى كتبَ الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها مَوتَةٌ أبدًا ....

(**يرد البرد على وجه النبى ويخرج** .....)

عمر : (**فى الخارج**) أيها الناس !... والله ما مات رسولُ الله ، إنما عُرِج بروحه كما عُرِجَ بروح « موسى » !..

أبو بكر : (**فى الخارج**) على رِسلِكَ يا « عمر » !.. أنصت ...

عمر : (**مستطردًا**) والله لا يموت رسول الله حتى تُقَطَّع أيدى أقوام وألسنتُهم !...

أبو بكر : (**فى الخارج صائحًا**) أيها الناس !...﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبلة الرسلُ ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومَنْ يَنقلبْ على عقبيهِ فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾ أما بعد فمن كان منكم يعبد « محمدًا » فإنَّ « محمدًا » قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت !...

الناس : (**فى الخارج يبكون**) ماتَ رسولُ الله !...

المنظر الثامن

(النبى مسجى على سريره ، يدخل الناس عليه زمرًا زمرًا ، يصلون عليه ويخرجون ، بغير أن يؤمهم إمام ....)

(... أبو بكر وعمر وعلى فى الصف الأول أمام جثة النبى مطرقين ....)

على : (**همسا للجثة والعبرات فى عينيه**) أنت إمامنا حيًا وميتًا !...

أبو بكر وعمر : (**للجثمان**) السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته !... اللهم إنَّا نشهد أنْ قد بلَّغ ما أنزِل إليه ، ونصحَ لأمَّته ، وجاهد فى سبيل الله ، حتي أعز الله دينَه ، وتمتْ كلماته ... فآمن به وحدَه لا شريك له ، فاجعلْنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذى أنزِل إليه وثبِّتنا بعده ، واجمع بيننا وبينه ؛ فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رحيما ... لا نبتغى بالإيمان بدلا ، ولا نشترى به ثمنًا أبدًا ...

الناس : (**فى صوت واحد**) آمين !... آمين !...

فهرست الكتاب

صفحة	المنظر	الإيضاح
		« جبريل » يبلغه بإنذار عشيرته . « محمد » يعرض الأمر عليهم فيكذبونه ... إسلام « على » ... تأنيب « أبى لهب » لـ « محمد » واستهجانه لمذهبه !...
٣٢	الثامن	رجال من أشراف « قريش » مجتمعون فى « الكعبة » وهم : « أبو جهل » و « أبو سفيان » و « أمية بن خلف » وغيرهم ... يعارضون « محمدًا » ويشكونه إلى « أبى طالب » مكذبين إياه !...
٣٣	التاسع	فى دار « أبى طالب » ، وهو جالس مع « أبى جهل » و « أبى سفيان » و « أمية » ... تطلب « قريش » من « أبى طالب » استبدال « عمارة بن الوليد » بـ « محمد » .... « أبو طالب » يرفض ... « محمد » مصر على تبليغ رسالته ... « أبو طالب » لا يخذله !...
٣٥	العاشر	« محمد » واقف على منازل « بنى عامر » فى موسم « الحج » ، يعرض عليهم أمره ... يناوئه « أبو لهب » وفريق من سادات العرب !...
٣٧	الحادى عشر	نفر من « قريش » فى حى من أحياء مكة بينهم « الوليد بن المغيرة » و « أبو لهب » ... حيرة العرب فى أمر « محمد » : أساحر كذاب ؟... أم شاعر مجنون ؟... الخ .
٣٨	الثانى عشر	أشراف « قريش » يجتمعون فى حجر « الكعبة » ... إهانة أشراف العرب لـ « محمد » ... صموده أمامهم فى صبر وإيمان ، مرددًا آيات من كتاب الله ... قلوم عمه « حمزة » وعلمه بما لحق بابن أخيه من إهانة ... « حمزة » يعلن إسلامه ؟...
٤٢	الثالث عشر	« محمد » جالس وحده فى المسجد . أشراف « قريش » يجلسون عن كثب يتهامسون ... سادات « قريش » وأشرافها يساومون

صفحة	المنظر	الإيضاح
		« محمدا » على دينه بعروض الحياة من ملك وجاه عريض فيرفض . يطرحون أمر « محمد » على « أحبار اليهود » و « رهبان النصارى » !...
٤٦	الرابع عشر	فى « المدينة » ... « عقبة بن أبى معيط » ، و « النضر بن الحارث » بين أحبار « اليهود » ...
٤٧	الخامس عشر	فى « مكة » ... قريش مجتمعة فى حى من أحيائها ... يقبل « النضر » و « عقبة » ، يسألان « محمدًا » عن ما هية الروح ، فيعدهما إلى الغد ...
٤٨	السادس عشر	فى شعاب « مكة » : النبى ساجد عند « غار حراء » ... الراعيان يرقبانه عن كثب ... « محمد » يناجى ربه ... « جبريل » يهبط عليه ، فيتهلل « محمد » ويتلقى من الوحى آية الروح : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى !.. ﴾ الآية ...
٤٩	السابع عشر	بعد غروب الشمس ... أشراف « قريش » عند ظهر « الكعبة » .. يساومون « محمدًا » من جديد .. تهكمهم به ، واستهتارهم برسالته ، وعدم اقتناعهم بما أتى به من شأن الروح . بوعد «أبى جهل » لـ « محمد » ...
٥٣	الثامن عشر	« أبو طالب » وقد حضره الموت ... يدخل عليه سادات « قريش » ، يستمطرونه إرجاع ابن أخيه عن غايته ، فلا يخذله فى آخر رمق من حياته ، يخرج القوم يائسين من رجوع « محمد » عن دعوته ... « محمد » يطلب النطق بالشهادة من عمه « أبى طالب » فتحضره الحشرجة ، فيسر إلى أخيه « العباس » بأمر ... « العباس » يشهد بنطق « أبى طالب » للشهادة ... « محمد » يقرر أنه لم يسمع !...
٥٥	التاسع عشر	بيت النبى فى « مكة » .. « بلال » و « فاطمة » يتألمان من إيذاء

صفحة	المنظر	الإيضاح
		« قريش » للنبى بعد موت عمه « أبى طالب » !..
٥٦	العشرون	« أبو لهب » و « أبو سفيان » يتقابلان فى طريق بمكة ... « أبو لهب » ينبئه أن « خديجة » فى الموت . تآمر « أبى لهب » مع التجار على رفع الأسعار ليجوع « محمد » وأصحابه !...
٥٧	الحادى والعشرون	فى دار « النبى » ... « خديجة » على فراش الموت ، وإلى جوارها « محمد » مطرق فى حزن ... « محمد » يسمع صوتًا ؛ فيرفع رأسه فيرى « جبريل » !... موت « خديجة » بعد أن يبشرها « محمد » ببيت فى الجنة !...
٥٨	الثانى والعشرون	فى بطحاء « مكة » وقد حميت الظهيرة ... رجال ونساء من أتباع « محمد » يضربون ويعذبون ويعلو صياحهم ... تعذيب « بلال » وإنقاذه على يد « أبى بكر » ... « محمد » يأمر بالهجرة إلى « الحبشة » !...
٦١	الثالث والعشرون	جماعة من « قريش » بينهم « عمر بن الخطاب » والشاعر « لبيد » و « الوليد » و « عقبة » و « ابن مظعون » يتسامرون ، ويحتسى بعضهم الخمر ، عند « إسحق » الخمار ... إيقاع الأذى بالمهاجرين ... « ابن مظعون » يفقد عينه ... « ابن الدغنة » يجير « أبا بكر » ثم يتخلى عن جواره !...
٦٦	الرابع والعشرون	فى « الطائف » ... « محمد » فى نفر من سادة « ثقيف » وأشرافهم على مقربة من حائط « لعتبة بن ربيعة » وأخيه « شيبة » وهما فيه ينظران استهزاء أشراف « ثقيف » بالنبى ... « محمد » يدعو ربه بعد أن انصرف عنه القوم ... عتبة يرسل خادمة « عداسا » بطبق من العنب ليقدمه « لمحمد » ... « عداس » يعود مسرورا من مقابلة « محمد » ويقص على « عتبة » وأخيه ما رأى من « محمد » !.. وما سمع !...

صفحة	المنظر	الإيضاح
٧٠	الخامس والعشرون	فى « الحبشة » بين يدى « النجاشى » ... « النجـاشى » على عرشه بين بطارقته ... قدوم «عمرو بن العاص» وصاحبه لرد المسلمين إلى « مكـة » ... « النجـاشى » يستمـع لدفـاع المسلمين ، وتعـاليم الإسلام ، وآيـات القـرآن .... إعجـاب « النجـاشى » بهم . عـودة «عمرو بن العاص» وصاحبـة مخذولين ...
٧٥	السادس والعشرون	فى « مكة » ... « النبى » فى داره وحيدا مطرقا ، ومعه « خولة بنت حكيم » .. تعرض الزواج على النبى !...
٧٦	السابع والعشرون	فى طريق من طرق « مكة » ... ليلا ... « نعيم بن عبد الله » و « عمر بن الخطاب » يتقابلان ... «نعيم» ينبئ «عمر» بإسلام أخته وزوجها !!...
٧٧	الثامن والعشرون	فى دار « فاطمة » أخت « عمر بن الخطاب » ... « فاطمة » وزوجها « سعيد » ، ومعهما « خباب » وهو أحد المؤمنين ، يقرأ عليهم قرآنًا من صحيفة . خشوع « عمر » بعد اعتدائه على أخته وزوجها وميله إلى الإسلام !...
٨٠	التاسع والعشرون	فى بيت « بالصفا » ... « محمد » بين أصحابه ... الباب يضرب عليهم ... إسلام « عمر » بين يدى « النبى » !...
٨١	الثلاثون	أمام دار « أبى جهل » رجال من « قريش » بينهم « عمر بن الخطاب » .. « عمر » يعلن إسلامه ولا يخشى « أبا جهل » ... « محمد » ينتصر للأراشى من « أبى الحكم بن هشام » ... عجب قريش من استسلام « أبى الحكم » ...
٨٦	الحادى والثلاثون	عند « العقبة » فى موسم الحج ... « محمد » يلقى رهطًا من العرب ... قبول الرهط دعوة « محمد » ، ومعاهدته معهم على نصرته !...

صفحة	المنظر	الإيضاح
١٠٨	الثانى	تحت نخلة لأحد اليهود .«سلمان الفارسى» و عبد من العبيد يتحادثان ؛ كل منهما يقص على صاحبه قصته .
١١١	الثالث	فى المسجد ... « محمد » يخطب ، والناس يستمعون ... إسلام « الحصين » ومجادلة اليهود للنبى ... مقابلة « سلمان » للنبى ... الأذان !...
١١٨	الرابع	جمع من الناس عند مساكن « النبى » ... أحد « الأنصار » يدنو من أحد المهاجرين .. زواج « محمد » بـ « عائشة » !...
١١٩	الخامس	نفر من المهاجرين بينهم « عمر » و « أبو بكر » بجوار المسجد يتحادثون ... دعوة « محمد » المسلمين للخروج إلى عير « قريش » !...
١٢١	السادس	فى « مكة » بجوار « الكعبة » ... « عاتكة بنت عبد المطلب » تحادث أخاها « العباس » . رؤيا « عاتكة » ... « ضمضم الغفارى » يستنفر الناس لإنقاذ « أبى سفيان » !...
١٢٥	السابع	فى وادى « ذفران » ... « محمد » فى رجاله ... « محمد » يدعو الأنصار لنصرته ... خروج المسلمين إلى « بدر » ...
١٣٠	الثامن	ماء « بدر » . قلب ماء عديدة بالوادى ، بينها « قليب » أمامه كثيب ... « أبو سفيان » يتعرف على عيون « محمد » ... « محمد » ينزل بقومه عند الماء ويصفهم ... « محمد » يرى « قريشا » فيدعو الله لنصرته ... رؤيا «جهيم» .. تردد « قريش » فى الحرب بعد نجاة العير ... بدء القتال بالمبارزة وانتصار المسلمين !...
١٤٤	التاسع	« محمد » و « عائشة » فى مسكنهما ... ليلا ... غيرة « عائشة » من ذكرى « خديجة » ... « محمد » و « عائشة » يتعاتبان،غضب « عائشة » ومجئ والدها !...

صفحة	المنظر	الإيضاح
		« حمزة » وغيره من الشهداء ... « ابن أبى » مع النبى ... الرسول يهدر دمه بعد مجئ ولده !...
١٨٢	الخامس عشر	فى « مكة » ... أصوات الفرح والسرور تنطلق بين أرجائها ... بعض المشركين ومعهم الأسيران « زيد بن الدمنة » و « حبيب بن عدى »... شجاعة الأسيرين عند تنفيذ الإعدام !...
١٨٥	السادس عشر	فى « المدينة » ... النبى أمام المسجد .. « أبو بكر » ينبئ النبى بقتل الستة الذين بعثهم مع رهط من « عضل » و « القارة » كما يخبره باجتماع كلمة المشركين على القتال ... «سلمان» يشير بحفر « الخندق » !..
١٨٧	السابع عشر	«الخندق» وقد تم حفره إلا صخرة فيه يعالجون كسرها .. « محمد » يكسر الصخرة بفأس بعد ضربات ثلاث : الأولى فتح الشام ، والثانية فتح فارس ، والثالثة أعطى بها مفاتيح اليمن !..
١٨٩	الثامن عشر	المسلمون عند « الخندق » وقد حاصرهم العدو رابضا بخيامه وعساكره فى الجهة المقابلة ... خوف المسلمين من كثرة المشركين . بعض فرسان المشركين يقصدون مكانًا ضيقا من « الخندق » ... المبارزة ... « نعيم بن مسعود » وتخذيلة المشركين واليهود ... نجاح « نعيم » فى تخذيله ... انصراف « الأحزاب » بعد هزيمتهم من القتال !...
١٩٠	التاسع عشر	« محمد » وجيشه أمام حصون « بنى قريظة » ... « كعب بن أسد » يعرض على قومه عروضا مختلفة ... موقف « أبى لبابة » من النبى واليهود وخيانته للنبى ... « بنى قريظة » يختارون « سعد بن معاذ » للتحكيم ، فيحكم بالقتل والسبى وتقسيم الأموال !...

صفحة	المنظر	الإيضاح
٢١٥	السادس	فى «المدينة» على مقربة من المسجد ... الناس تتأهب للرحيل ... أنصارى ومهاجر يتحادثان . « بشر بن سفيان » ينبىء النبىء بخروج قريش وقد تهيأ للرحيل ومعه الناس !...
٢١٦	السابع	« عبد الله بن أبى » أمام المسجد بالمدينة ومعه أحد الأنصار ... « صلح الحديبية » ... كتب النبى إلى الملوك ... عمر يشير بغزو « خيبر » قبل فتح « فارس » و « الشام » .
٢١٨	الثامن	فى « خيبر » ... النبى بين أصحابه متهلل الوجه .. « يهودية » تتقدم إلى النبى بشاة .. « محمد » يقبل الشاة ، فيوحى إليه بأنها مسمومة ، ثم يتحقق من ذلك .. اليهودية تقر بأنها دست له السم فيها !...
٢٢١	التاسع	فى « مكة » ... « عمرو بن العاص » فى أصحاب له من « قريش » .. « عمرو » يعرض على أصحابة الذهاب إلى الحبشة وقد عز عليه شأن الإسلام !...
٢٢١	العاشر	عند « النجاشى » وبين يديه رسول « محمد » ... وهو « عمرو بن أمية الضمرى » !.. « الضمرى » يعرض الإسلام على « النجاشى » ... « عمرو بن العاص » ... يطلب من « النجاشى » قتل « الضمرى » ، « النجاشى » يقنع « عمرو بن العاص » « عمرو » يبايعه على الإسلام !...
٢٢٤	الحادى عشر	فى الطريق إلى « المدينة » ... « عمرو بن العاص » يقابل « خالد بن الوليد » ثم يسيران فى طريق « المدينة » ... بعد اقتناع « خالد » !...
٢٢٤	الثانى عشر	فى طريق « المدينة » : النبى فى المسجد ... عودة الرسل إلى « محمد » وإفضاؤهم له بما رأوا وسمعوا !..

صفحة	المنظر	الإيضاح
٢٢٦	الثالث عشر	فى « المدينة » ... « النبى » و « أبو بكر » فى المسجد بين نفر من « الخزرج » هم : « عبد الله بن أنيس » و « مسعود بن سنان » و « ابن عتيك » و « أبو قتادة » و « خزاعى » .. « محمد » يخبر بمقتل « كعب بن الأشرف » ... إسلام « عمرو » و « خالد » بين يدى « محمد » !..
٢٢٨	الرابع عشر	« محمد » أمام المسجد مع « أبى بكر » يقبل عليه نفر من « الخزرج » مهللين ... « ابن عتيك » يخبر النبى بقتل « ابن أبى الحقيق » .. « ابن عتيك » يختلف مع أصحابه على قتل « ابن أبى الحقيق » !..
٢٢٩	الخامس عشر	النبى فى حى بالمدينة بين رهط من الناس .. النبى يبشر بمولد ولده « إبراهيم » ...
٢٣٠	السادس عشر	« عائشة فى مسكنها مع أمها « زينب أم رمان » .. « عائشة » تبث أمها شكواها بعد ميلاد « إبراهيم » .. النبى يحمل « إبراهيم » ويخبر « عائشة » بأن « جبريل » بشره به ... « عائشة » تغار عاتبة بمارية !..
٢٣٢	السابع عشر	« عائشة » فى مسكنها تدخل عليها « بريرة » تجرى . « بريرة » تخبر « عائشة » بموت « إبراهيم » . « عائشة » تذهب لتتحرى الأمر !..
٢٣٣	الثامن عشر	« النبى » فى « البقيع » ومعه « الفضل بن عباس » و « أسامة بن زيد » يحملان جثة « إبراهيم » و خلفهم « مارية » تبكى ونساء من الأنصار والمهاجرين ، وحفار يحفر قبرا ... « محمد » يودع « إبراهيم » ... انكساف الشمس وموقف الناس منها . محمد يقول : « إن الشمس لا تنكسف لموت أحد !.. »

صفحة	المنظر	الإيضاح
٢٥٠	الثالث	فى المدينة . « عائشة » جالسة ليلا فى مسكنها !.. تدخل عليها أمها « زينب » ... « عائشة » تخبر أمها بأن محمدا قد خرج فى جوف الليل إلى الخلاء !..
٢٥١	الرابع	النبى و « أبو رافع » أمام المقابر بالبقيع . « محمد » يودع الدنيا ويناجى الموتى .
٢٥٢	الخامس	فى مسكن « عائشة » وهى جالسة واضعة يدها على رأسها. « محمد » يدخل معصوب الرأس يشكو المرض .. « محمد » يستأذن نساءه فى البقاء عند عائشة . اشتداد مرض النبى وأمره « أبا بكر » بالصلاة بالناس . « فاطمة » مع النبى !...
٢٢٥	السادس	فى المسجد . الناس فى هرج وقد انتقضت صفوفهم ... « أبو بكر » يصلى بالناس .. « محمد » يتحامل ويعتلى المنبر معتمدا على ذراعى « أبى بكر » و « عمر » ... « محمد » ينعى نفسه ويزكى « أبا بكر » !..
٢٥٧	السابع	فى مسكن « عائشة » النبى على فراش الموت ونساؤه خلف ستار يحجبهن عن ذويه وأصحابه من الرجال . « محمد » يسمع صوت بكاء الناس . « محمد » يأمر « عائشة » بأن تنفق الدراهم الستة فى سبيل الله أو صدقة ... « جبريل » يخبر النبى باستئذان ملك الموت .. ملك الموت يخاطب النبى ويخاطبه من بعده « جبريل ».. موت النبى .. الناس يقابلون النبأ بالشك .. « أبو بكر » يقطع الشك باليقين !..
٢٦٤	الثامن	النبى مسجى على سريره ... يدخل الناس عليه زمرًا زمرا يصلون عليه ، ويخرجون بغير أن يؤمهم إمام .. « أبو بكر » و « عمر » يودعان جثمان الرسول صلوات الله وسلامه عليه !...

رقم الإيداع : ٢٠٤١ / ٨٨
الترقيم الدولى : ٧ — ٠٣٦٨ — ١١ — ٩٧٧

SS

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٣٠٠ قرش